

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

ما ليس من القرآن وما ضاع منه

سامي الذيب

الروح و الآنا
مصطفى عابدين

فلسفة الدين

Hasna Nina Khaled

مجلة الملحدين العرب هي مجلة هدفها نشر
أفكار الملحدين العرب على إختلاف توجهاتهم
السياسية و العرقية بحرية كاملة

المجلة عبارة عن مجلة رقمية مبنية بجهود فردية
ولا تنتمي لاي توجه سياسي ..

المعلومات و المواضيع الموضوعة في المجلة تعتبر
مسؤلية أصحابها من الناحية الأدبية و ناحية
حقوق النشر و حفظ الملكية الفكرية

رواية فاتنة

سام مار

كلمة تحرير المجلة

من المثير للسخرية عند الملحد، أن يرى أتباع الأديان وخصوصاً الإبراهيمية، يستخدمون نفس الحجج لإثبات وجود إلههم الوهمي، رغم أنهم لا يعبدون نفس الإله!

قد يقول قائلٌ، ولكن هذه الأديان كلها أتت من مصدرٍ واحد رغم اختلافها ظاهريًا، وحين تسأله: لم لا تتبعها إذن؟ يجيبك: لكن ديني هو الحق! حسناً، وصلنا لمربط الفرس، فكل واحدٍ يعتقد أن دينه هو الحق، واليهودية ترى المسيحية والإسلام متسلقين عليها، ومتطفلين على مقدساتها، ولا تعترف بهما، وكذلك المسيحية، لا تعترف بمن لا يؤمن بالمسيح كخلص، والإسلام قال بتحريفهما وأراح رؤوس أتباعه.

وما يثير تعجب الملحد أكثر، هو كيفية نقدهم لعقائد بعضهم البعض، حيث يفكرون بعقلانية دون هالة قداسة وبتعرية تامة لتناقضات كتب بعضهم البعض المقدسة ونصوصها، فتجد الشيخ المسلم ينتقد الإبادات والقتل التي ذكرت في العهد القديم، وينسى أن الإله في القرآن قام بإبادات مماثلة! وتجد المذيع المسيحي يستقتل في محاولة تلميع صفحة المسيحية، وينسى جرائمها عبر التاريخ! ولو أن كل واحدٍ منهم، نظر للصورة الكبيرة وخرج قليلاً من الإطار الذي حبس عقله فيه، لاكتشف أن ما يسقطه على خصمه هو موجودٌ فيه، ونحن هنا لنساعدهم على ذلك، فمتى سيبصرون!

رئيس التحرير
Gaia Athiest

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير:
..... Gaia Athiest

أعضاء هيئة التحرير و بناء

المجلة

John Silver

الغراب الحكيم

McKie Theman

Aliaà Damascéne

Ali Alnajafi

Ghaith Jabri

almolhed alarabi

Abdulkarim Ahmad Azizi

Raghd Rustom

ماري غزال

Hasna Nina Khaled

أسامة الوراق

ميتيس عزازيل

الفهرس

2 كلمة رئيس التحرير

3 الفهرس

4 - الروح و الأنا
مصطفى عابدين

27 - هل خول الدين في عصر العلم الي خرافة مؤذية
أسامة الوراق

35 - فلسفة الدين
Hasna Nina Khaled

57 - ماهية الدين من وجهة نظر الفلاسفة
ماري غزال

60 - في حوار مع ... سامي الذيب

77 - رواية فاتنة
سام مار

100 - ما ليس من القرآن وما ضاع منه
سامي الذيب

108 - الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة
Kurt Eichenwald

ترجمة : أسامة الوراق - McKie Theman



الروح والأنا



مصطفى عابدين

استيقظت في صباح يوم الثلاثاء، سألت نفسي: «كم هي الساعة الآن؟» نظرت إلى الساعة المجاورة لسريري: «جيد، مازال لديّ بعض الوقت، أستطيع أن أنام عشر دقائق إضافية». ذهبت في عالم الأحلام، لم تكن لديّ مشكلةً منطقيةً في انتقالتي بدقائق قليلةً من سور الصين العظيم إلى الأهرام في مصر وكلّ هذا لم يؤثر على أدائي كمدرّس للفيزياء في جامعة دمشق. بدأت أسمع صوت مطحنة للقمح قريبةً من مكتبي. نعم صوت المطحنة عالٍ ولا أستطيع التركيز، صوت المطحنة منتظمٌ وحادٌ. لا، إنّه المنبه مرةً ثانيةً. يجب أن أنهض وأتجه إلى عملي.

عندما سألت نفسي عن الوقت، لماذا كنت أخاطب نفسي؟ أأست مدركاً أنّي استيقظت وأريد معرفة الوقت؟ لماذا عليّ أن أطلب من نفسي أن أعرف الوقت؟ ألم تنظر عينيّ إلى المنبه ورصدت كم هي الساعة بالضبط؟ المفروض أنّي أعلم الوقت الآن ولا حاجة لأن أستفسر من نفسي عن الوقت؟ عندما قرّرت أن أعود للنوم لعشر دقائق إضافية، من كنت أخاطب ولماذا عليّ أن أقنع نفسي بالعودة للنوم؟ لماذا في بساطةٍ لا أقرر العودة إلى النوم دون أن أخبر نفسي بذلك؟ أأست أنا من قرر العودة إلى النوم؟ عندما انتقلت إلى الصين وثم مصر وبعدها سورية.

لماذا لم أتوقف عند المغالطة المنطقية التي تخالف جميع قوانين الفيزياء؟ أنا لست مدرس فيزياء، لماذا لم أجد الموضوع غريباً أنّني فجأةً أصبحت مدرّساً للفيزياء؟ لماذا ربطت صوت المطحنة مع صوت المنبه؟ عندما استيقظت



مصطفى عابدين

هل أنا نفسي الذي اقنعت نفسي بالعودة للنوم من عشر دقائق؟ لماذا هذه المرة قررت أن أذهب إلى العمل عوضاً عن النوم ولم لم أحاول اقناع نفسي من جديد؟ سنعود لهذه القصة لاحقاً...

الحديث عن الروح والأنا هو حديث منقوص إن لم نفسر العمل الدماغي وشرح ماهية العقل. لفترة قريبة جداً كان الدماغ وآليات عمله من أكثر الأقسام غموضاً في جسم الإنسان. اليوم لدينا فكرة جيدة عن كيفية العمل الدماغية وعن القوالب التي يبنها الدماغ ليستطيع التعايش مع محيطه. من بعض نتائج العمل الدماغي وهمي الأنا وحرية الإرادة وثم يتبعها بالنتيجة وهم الروح.

سأحاول في هذه المقالة تفسير العمل الدماغي بعيداً عن التعقيد التقني، ثم سأفسر لماذا شعورنا بأننا نحن من يصيغ قراراتنا هو مجرد وهم ونتيجة دماغية بحتة بهدف وضع القارئ على الطريق الصحيح في فهم الظواهر الدماغية، وتوضيح بعض النقاط حول موضوع الروح والأنا، ولماذا هما مجرد وهم.

تاريخ الدماغ

منذ بزوغ الحياة المتعددة الخلايا، وجدت الأحياء نفسها في منافسة شديدة على الموارد فيما بينها. هذه المنافسة ليست فقط متعلقة بالعثور على الموارد، ولكنها أيضاً مرتبطة بأن لا يصبح الكائن مورد غيره، فقد وجدت هذه الأحياء نفسها ضمن بيئة فيزيائية معينة تحكمها عوامل طبيعية ثابتة تقريباً: ضوء ينعكس على مادة، أمواج صوتية تنتشر على شكل اهتزازات في الهواء، جزيئات كيميائية طيارة بشكل روائح، الكترولونات تعطي انطباعاً عن ملمس المادة.. إلخ.

تتفاعل الكائنات الحية مع الواقع بشكل أفضل كلما زادت قدرتها على رسم نموذج يحاكي الظواهر الفيزيائية كما هي، وقد شكّل هذا ضغطاً تطورياً على الكائنات التي لم تستطع رسم نماذج دقيقة للواقع، وبدأت الكائنات بالتنافس أكثر فأكثر. كلما طورت خصائصاً أفضل لرسم الواقع كلما زادت الفرص في البقاء.

مع الوقت أصبح وجود أقسام مسؤولة عن استشعار الظواهر الفيزيائية شرطاً أساسياً في البقاء. الكائنات التي لم تتطور في اتجاه تطوير وسائل لرصد الفوتونات أصبحت أقل حظاً من الكائنات التي تستطيع استشعار اتجاه مصدر الضوء، وهكذا، حتى أصبح لدينا كائنات لديها أجهزة استشعار معقدة قادرة على رصد العديد من الظواهر الفيزيائية.

لكي نفهم آليات عمل الدماغ، علينا أن ننظر إلى تاريخ تطوره، فمن دون فهم هذا التاريخ لن نستطيع تحديد أقسامه ووظائفه. فكلما عدنا إلى الوراء نجد وظائفاً أكثر بدائية، لأن التطور الدماغي يتم بحيث تكون أقسامه السابقة أساساً

الروح و الأنا



مصطفى عابدين

للأقسام اللاحقة. من هنا أودّ أن أحفّز القارئ لأن يذهب معي برحلة قصيرة إلى داخل الدماغ، لكي نفهم طبيعة هذه الكتلة العصبية التي تعطينا انطباعا وكأن لنا كيانا منفصلا قادرا على اتخاذ القرارات وقيادة مركبة بيولوجية نسميها الجسد. لا بد من فوائد بقائية لهذا الوهم، لنذهب داخل الدماغ البشري، خالق الأنا والروح .. دخلت مركبتي الذرية التي ستمكّني من التحرك ضمن أقسام الدماغ البشري. سألتقي مدراء الأقسام الدماغية وأسألهم عن أقسامهم وأفهم كيف تعمل هذه الأقسام مع بعضها البعض. سأبحث خلال رحلتي عن الروح، وأدرس كيف تتفاعل مع الدماغ وسأعمل على حلّ لغز (الأنا).

انطلقت مركبتي الصغيرة من خلال النخاع الشوكي باتجاه الدماغ في الرأس. وجدت لافتة مكتوب عليها: Welcome to the Brain.

نزلت من المركبة وقابلت موظف الإستقبال

سألته: أين أنا الآن؟ أعلم أي في الدماغ، لكن ما هو هذا القسم؟.

قال: «أنت في جذع الدماغ Brain stem! قسمنا موجودٌ أسفل الدماغ، وهو أقدم أقسامه وأوّل ما نشأ منه، وهو

بوابة التواصل بين أقسام الدماغ العليا وبقية أقسام الجهاز

العصبي المنتشرة في الجسم».

سألته: «ماذا تعني أوّل الأقسام؟ أخبرني أكثر عن تاريخ

قسمكم ووظائفه»

قال: « عندما بدأت الحيوانات بالحركة عن طريق

العضلات، كان لا بدّ من وجود ما يتحكم بحركة هذه

العضلات بما يتناسب مع هدف الحركة، وقد تطلّب هذا

وجود قسم ينسّق الحركات ويؤقّنها كي تكون الحركة ذات

فائدة للجسم، فمع تكوّن العضلات بدأت تتشكل أنواع

جديدة من الخلايا: خلايا تستطيع استشعار الظواهر

الطبيعية الخارجية، وخلايا تستطيع التواصل داخل الجسم

وإرسال الرسائل والأوامر لتنظيم الحركات.



جذع الدماغ

جميع الوظائف الأساسية لبقاء الجسم على قيد الحياة هي من مسؤوليات قسمنا: قسم جذع الدماغ، فنحن نملك مليارات الخلايا العصبية ولا نتوقف عن العمل إطلاقاً.

حتى أنّ توقّف قسمنا عن العمل يؤدّي إلى موت الجسم مباشرة، كما أنّ قسمنا مسؤول عن تنظيم دقات القلب والتنفس والهضم والمضغ وردات الفعل اللا إرادية مثل التقيؤ وغيرها من الوظائف الأساسية الضرورية لاستمرار

الروح و الآنا



مصطفى عابدين

الحياة. قسمنا أيضاً مسؤولاً عن تنظيم المشاعر الأساسية مثل الجوع والعطش والخوف، وبسبب موقع قسمنا الاستراتيجي، فإن جميع الإشارات الآتية من الجسم تمرّ عبر قسمنا، كما تمرّ عبره جميع الأوامر الخارجة من الإدارة باتجاه الجسم».

سألت: «ماذا تعني موقعكم الاستراتيجي؟»

فأجابني: «نحن أول الأقسام الدماغية التي تطوّرت عند الأحياء، لذلك موقعنا هو الأقرب إلى النخاع الشوكي، فكلما صعدت إلى الأعلى، ستكتشف أقساماً حديثة وخصائصاً معقدة أكثر. قسمنا هو في قاعدة المخ ويصل أقسام المخ مع النخاع الشوكي. إن أردت، راقب مراحل تشكّل جنين الإنسان وستشاهد كيف يبدأ تشكّل قسمنا أولاً وثم تبدأ الأقسام الأخرى بالتشكّل فوقه إلى أن يأخذ شكل الدماغ المتعارف عليه، ففي المراحل الأولى من التكوّن الجنيني يتخذ قسمنا شكلاً متطابقاً مع جميع الكائنات الحية الأخرى. ففي النهاية جميع الأحياء تحتاج من ينظم دقات قلبها ونسبة ضغط الدم وإدارة عملية الهضم وغيرها من الوظائف الأساسية؛ يُسمى البعض قسمنا باسم «قسم الزواحف»، نسبةً لنشوئه عند الزواحف أولاً، وطبعاً نحن لا نكثرث لما يجري في الأقسام العليا ومشاكلهم».

سألته: «ماذا تعني بقولك: لا نكثرث لما يجري في الأقسام العليا؟».

قال: «نحن لا نكثرث مثلاً لما يجري في الأقسام الأحدث من الدماغ التي تتعلق بالأحاسيس والإرادة وغيرها، فنستمرّ في تنظيم عمليات التنفس والهضم وضغط الدم مهما كان شعور الكائن، وفي بعض الأحيان تأتينا إشارات استغاثة من أحد أقسام الجسم، مثلاً عند تعرض الجلد لحرارة مرتفعة بشكل مفاجئ، وبحكم خبرتنا الواسعة، نقوم بإرسال إشارات للعضو الذي يتعرض للحرارة بما يتوجب فعله مباشرة دون العودة إلى الإدارة العليا، إذ لا يكون لدينا وقتٌ نضيّعه في الروتين الإداري».

قلت: «شكراً لك على وقتك. أين يتوجب أن أذهب الآن؟».

قال: عليك الذهاب إلى قسم المخيخ cerebellum، فهو خلفنا مباشرةً.

قلت ممتناً: «حسناً شكراً لوقتك». ثم صعدت إلى الأعلى عن طريق السيالة العصبية فرأيت شاخسة تقول: «أهلاً وسهلاً، هنا قسم المخيخ، حيث يتعلم الأطفال ركوب الدراجة».

الروح و الأنا



مصطفى عابدين



هبطت من مركبتي واقتربت من مسؤول الإستقبال في قسم المخيخ وقلت له: «أنا هنا لأتعرف على قسمكم!». رد قائلاً: أهلاً وسهلاً، سأخذك بجولة داخل القسم، لكي تتعرف عليه. عموماً، نحن قسم تنسيق الحركة الإرادية في الجسم. كالوقوف والتوازن والمشي وكل ما يتعلق بالحركة. فنحن من يقوم بتحريك العضلات أثناء السير أو السباحة أو قيادة السيارة أو الأكل. نتلقى أوامر الحركة من عدة أقسام في الدماغ ونخزّن هذه الحركات ضمن الذاكرة. سألته: «هل هذا هو سبب الشاخصة عند المدخل التي تقول (هنا يتعلم الأطفال ركوب الدراجة)؟ قال: نعم، إنه شعارنا. فنحن مركز الذاكرة الحركية. جميع الحركات التي نقوم بها نضعها في أرشيفنا لكي يسهل علينا استخدامها مجدداً. مثلاً عند تناول الطعام قسمنا هو من ينسّق الحركات لكي تتم العملية بنجاح عند السباحة أو

ممارسة الرياضة أو قيادة السيارة. قسمنا يأخذ المسؤولية في تنفيذ الحركات دون تأثير من مركز الإدارة.

قلت له: «هل يمكن لقسمكم بالتعاون مع قسم جذع الدماغ ابقاء الجسم حياً دون مساعدة بقية الأقسام الأخرى؟». ابتسم قائلاً: «لا، ليس بالضرورة، قد يبدو لك هذا لكن الأمر يتعلق بنوع الكائن الذي نتحدث عنه، لربما كان ماتقول ممكن في مرحلة من مراحل تطوّر الحياة، لكننا اليوم نعيش في واقع تنافسي كبير ونحتاج جميع الأقسام الأخرى، فلا تتسرع بالحكم. كل قسم من أقسام الدماغ ذو أهمية ويعمل على الحفاظ على الجسم حياً.

إنّ المقولة القائلة بأنّ الإنسان لا يستخدم سوى 20 % من دماغه، نعتبرها إهانةً للعمل الشاق الذي نقوم به جميعاً، فلا مكان للعاطلين عن العمل بيننا.

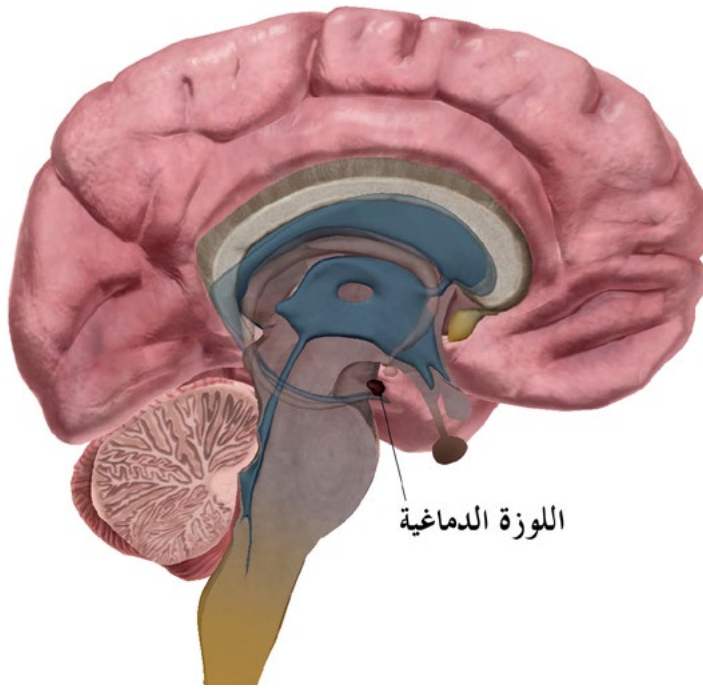
الروح و الآنا



مصطفى عابدين



سألته: هل تأخذون قسطاً من الراحة أم أنكم تعملون بشكل مستمر مثل قسم جذع الدماغ؟
أجاب: عند نوم الجسم تأتي الأوامر بفصل قسمنا عن العمل وابقائه في حالة متابعة، فالإدارة لا تريدنا أن نقوم بتنفيذ ما يحدث أثناء الحلم من حركات.
تنفيذ حركات الحلم قد يكون خطراً، فمثلاً القفز من السرير، أو ركل الكرة أثناء النوم، لهذا نضع القسم في حالة متابعة إلى أن تأتي الأوامر بالاستيقاظ.
وعند الاستيقاظ، يرسل لنا قسم الإدارة إيعازاً بالإقلاع والبدء بتنفيذ الحركات الواردة إلينا.. وبما أنك سألتني أيضاً عن موضوع النوم، فقسم الإدارة يفصل قسم المنطق أثناء النوم، لهذا لكي لا تستنفر بقية الأقسام في حال تخيل قسم الذاكرة البصرية بعض الأمور الغير منطقية.. هل تريد أن تسمع طرفة؟
قلت له: «تفضل!».



قال: في بعض الأحيان، وبسبب النوم العميق والإرهاق العام، يتأخر قسمنا في الإقلاع عند مرحلة الاستيقاظ.
فيرسل لنا قسم الإدارة أوامراً بالحركة، فلا نستطيع تنفيذها مباشرةً، وفي هذه الحالة يشعر قسم الإدارة بالذعر وتستنفر مديرية اللوزة Amygdala في جذع الدماغ. إذ أن أوامر قسم الإدارة لا تلقى من يستقبلها.
وفي هذه الحالة نسمع ضجيجاً ورسائل استغاثة من هنا وهناك، وتعلن جميع الأقسام حالة الطوارئ. ستتعرف على بقية الزملاء بعد قليل. آه، بالمناسبة ...

سمعت أنهم يعتقدون في العالم الخارجي أن سبب هذا جنّي أو غول يجلس على الجسم ويمنعه من الحركة.

يسمون هذا الجنّي الجاثوم، لكن واقع الأمر هو أن قسمنا لم يقلع في الوقت المناسب، والاسم الصحيح لهذه الحالة هو شلل النوم Sleep Paralysis.

قلت: «جميل، أين موقعنا الآن بالنسبة للمراقب الخارجي؟».

قال: «نحن في مؤخرة الرأس في الأسفل».

الروح و الآنا



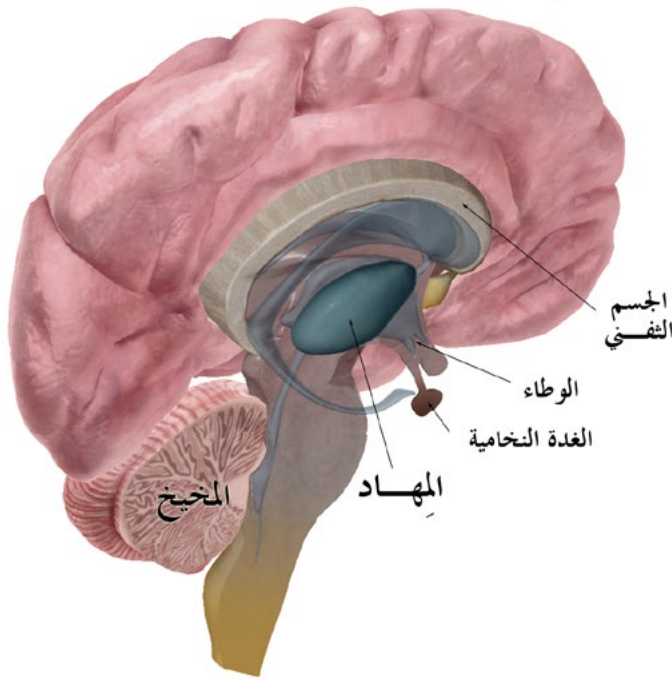
مصطفى عابدين



قلت له: «شكرًا على وقتك. إلى أين تنصحنى بالذهاب الآن؟».

قال لي: محطتك القادمة تقع في الطابق الثاني. عليك أن تذهب إلى قسم المهاد Thalamus .

انطلقت نحو الأعلى حتى وصلت المهاد أو مايسمى أحياناً بالسريير البصري، وهو يقع فوق الفم تقريباً في مركز الرأس. نزلت من المركبة وتفحصت المكان. إنها غرفة كبيرة بشكلٍ بيضوي، مليئة بالوصلات الدماغية. وظيفة المهاد توزيع المعلومات بين جميع الأقسام في الدماغ، فهو يشبه مركز السنترال الخاص بالهاتف، مليء بالوصلات والشبكات.



قابلت المسؤول عن القسم وسألته عن مهام قسمه، فقال لي: «أحد أهم مهامنا هو توزيع المعلومات بين الأقسام، إذ علينا تحديد الأولوية في توزيع المعلومات: من يعلم بماذا ومتى. مثلاً، عندما تأتي إشارة بصرية مصحوبة مع إشارة سمعية، علينا توزيع هذه الإشارة إلى جميع الأقسام المسؤولة عن تحليلها ثم نقل النتيجة لقسم الادارة والإدراك.

قلت له:

يبدو عملاً في غاية الأهمية، لكن ماذا يوجد في المنتصف؟ يبدو وكأنه سلّم ينزل إلى الأسفل. ماذا يوجد هناك؟.

قال لي: تعال معي كي ترى. هذا قسم الوطاء (تحت المهاد) Hypothalamus

هنا يتم انتاج هرمونات التحكم بالجوع والعطش ودرجة حرارة الجسم، والتحكم بالعواطف والأنشطة الجنسية. يتم هنا أيضاً التحكم بالنمو والحب والإعجاب والخوف وأغلب المشاعر التي يشعر بها الإنسان.».

قلت متعجباً: «كل هذا يحدث من خلال هذا القسم الصغير؟».

الروح و الآنا



مصطفى عابدين

قال: «نعم، هنا تتواجد الغدة النخامية Pituitary gland التي تعمل على إنتاج الهرمونات، وهذه من أهمّ وسائل التواصل بين الدماغ وبقية الأعضاء».

سألته: «إدًا ما الفرق بين الهرمونات والسيالة العصبية؟ أليست السيالة العصبية مسؤولةً عن إرسال الاشارات بهدف التواصل؟».

قال لي: «صحيحٌ، نحن نستخدم السيالة العصبية للرسائل المستعجلة ذات التأثير السريع، بينما نستخدم الهرمونات في حالات التواصل الأكثر استقرارًا والتي تحتاج أثرًا طويل الأمد، بين عدّة ساعاتٍ إلى عدّة أسابيعٍ. لكن كِلا الهرمونات والسيالة العصبية هي وسائل الجهاز العصبيّ في نقل المعلومات».

دخلت داخل غرفة الغدة النخامية. هي موجودةٌ تقريبًا خلف العيون في مركز الرأس. ووجدت مصنعًا كيميائيًا كاملًا، تقدّمت إلى الداخل وسألته المسؤول عن الإدارة: «أرجو أن تخبرني عن عمل الغدة النخامية!».

قال لي: «أهلًا بك في الغدة النخامية، نحن بشكل عام جزءٌ من قسم الهيبوثلاموس نتحكّم وننظّم بقية الغدد في الجسم عن طريق إفراز الهرمونات. من هنا يتم التحكّم بالغضب والحبّ والحزن والقلق وغيرها من المشاعر. قسمنا أيضًا يقوم بتنظيم دورة النوم والاستيقاظ. نحن نفرز الهرمونات من خلال هذا الوعاء الدمويّ الذي تراه أمامك لينتشر الهرمون المراد توزيعه داخل الجسم عبر الدورة الدموية وينقل المعلومات لبقية الغدد وأعضاء الجسم عن ما يتوجّب فعله».

قلت له: «هل تقصد أنّ الحبّ يصنع هنا؟».

قال لي: «نعم .. هل ترى هذا الوعاء الأزرق؟ هنا لدينا مخزونٌ من الأوكستوسين Oxytocin . هذا الهرمون هو هرمون التعاطف الاجتماعيّ والحبّ. طبعًا لا نقوم بإفرازه إلا عند الحاجة وقيام الجسم بأعمال اجتماعيّة ايجابية. يطول الحديث عن الحبّ».

شكرته على حسن الضيافة وسألته: «إلى أين أتجه الآن؟».

قال: «حسنًا، أنت موجودٌ الآن في الهايبوثلاموس، يجب عليك التوجه إلى الأعلى. وجهتك القادمة ستكون وجهةً معقدةً بعض الشيء. سوف تزور أكثر أقسام الدماغ تعقيدًا وأكثرها عملاً».

قلت له: «وأيّن هذا القسم؟».

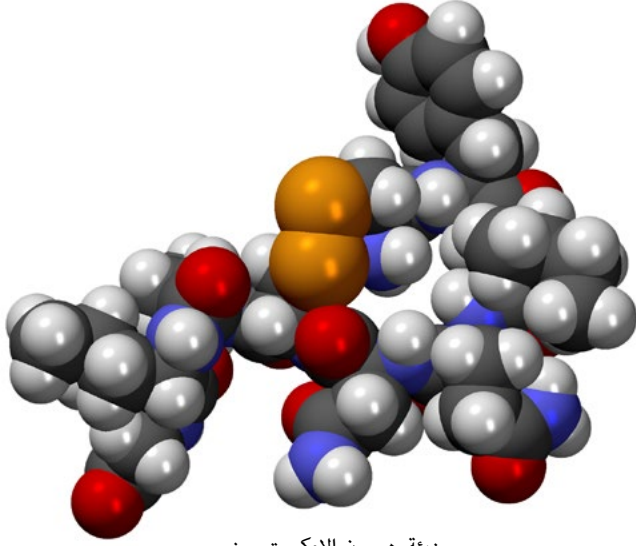
قال:

«فوقنا مباشرةً، عليك الذهاب إلى قسم المخ Cerebrum».

الروح و الآنا



مصطفى عابدين



جزيئة هرمون الاوكستوسين

عدت لمركبتي وتحركت باتجاه المخ، ولاحظت أنّ هذا القسم كبيرٌ جدًا ويتألف من جناحين منفصلين. جناحٌ أيمن وجناحٌ أيسر. جاءتني موظفة الإستقبال مرحبةً، فسرتت للمساواة في الوظائف بين الإناث والذكور. فسألتها: «أين يقع المخ بالضبط؟». قالت لي: «انت الآن على مستوى العين بشكلٍ دائريٍّ حول الرأس، كما تلاحظ، المخ مقسوم إلى نصفي كرتين مخيتين: يميني، ويسري...». قاطعتها: «نعم، لاحظت ذلك، لكن لماذا هذا الفصل؟ لماذا يمينٌ ويسارٌ؟ لماذا لا يكون قطعةً واحدةً؟».

قالت لي: «هذا الفصل نتيجة تطوّر الأحياء بطريقةٍ متناظرةٍ ضمن قسمين بشكلٍ عامٍ. إذ نجد الأحياء في الطبيعة قد تطوّرت أجسامها لتأخذ أشكالًا متناظرةً، إمّا بشكلٍ شعاعي Radial symmetry، حيث نستطيع قسم أيّ جزءٍ منها كما تقسم قرص البيتزا، فنحصل على جزءٍ يطابق بقية الأقسام. أو بشكلٍ ثنائي جانبي Bilateral symmetry. أي تناظر الجسم على جهتين: يمينٍ ويسارٍ، وقد تطوّرت أدمغة الكائنات ذات التناظر الثنائي الجانبي بحيث يكون المخ أيضًا مقسومًا إلى قسمين، أيمن وأيسر. لكن في الواقع، القسمان ليسا منفصلان وإمّا متّصلان بهذا الجسر في الوسط». سألتها: «وما الحاجة لهذا الجسم في الوسط؟».

قالت لي: «هذا الجسم الثفني Corpus collosom، ووظيفته ربط القسمين مع بعضهما البعض. وهو مهمٌ جدًا، إذا أنّه ينقل المعلومات بين القسمين لبناء أفضل نتيجة ذهنيةٍ ممكنةٍ. في بعض الحالات، عندما يُصاب الجسم الثفني بضررٍ ما، لا نستطيع أن نعلم ما يجري بين الأقسام، وبالتالي قسم الإدارة تصله إشارات متضاربة. بالمناسبة، في أسفل الجسم الثفني توجد غرفةٌ صغيرةٌ لكنها مهمةٌ جدًا اسمها النواة القاعدية Basal ganglia وهي المسؤولة عن تنظيم الحركة بالتعاون مع قسم المخيخ، فهما يسيطران على أغلب الأعمال الحركية في الجسم». قالت لي: «حسنًا قسمنا معقدٌ كثيرًا وعلينا البدء. سمعت أنّ هدف رحلتك البحث عن الأنا، صحيحٌ؟». قلت لها: «نعم هذا صحيحٌ...».

الروح و الأنا



مصطفى عابدين

قالت: «حسنًا سأنتهي الجولة في قسم الأنا لكي تتعرف عليه جيدًا.. القسم الأيسر عمومًا، مسؤولٌ عن الأعمال الحسابية مثل الرياضيات والمنطق والنطق وغيرها. بينما نجد وظائفًا مثل تمييز الوجوه والأشياء والإبداع وفهم اللغة موجودةً في القسم الأيمن.. انظر هنا، هل ترى هذه الغرفة التي شكلها مثل شكل حبة البندق؟ هذه تسمى اللوزة الدماغية Amygdala ويوجد لدينا منها واحدة في كل فص (أيمن وأيسر)، وهي مسؤولةٌ عن تقييم أيِّ إشارات خطرٍ قادمةٍ من الخارج وتعمل كجهاز استشعارٍ للخطر. لن أعقد لك الأمور كثيرًا إلا أن اللوزة الدماغية تختلف بين الذكور والإناث من حيث الحجم وأيضًا بعض الوصلات الداخلية فيها تكون مختلفةً بناءً على التوجّه الجنسي».

فجأة سمعنا صوتًا عاليًا: إنذار إنذار إنذار..

سألت المسؤولة المرافقة لي: «ماذا يحدث؟».

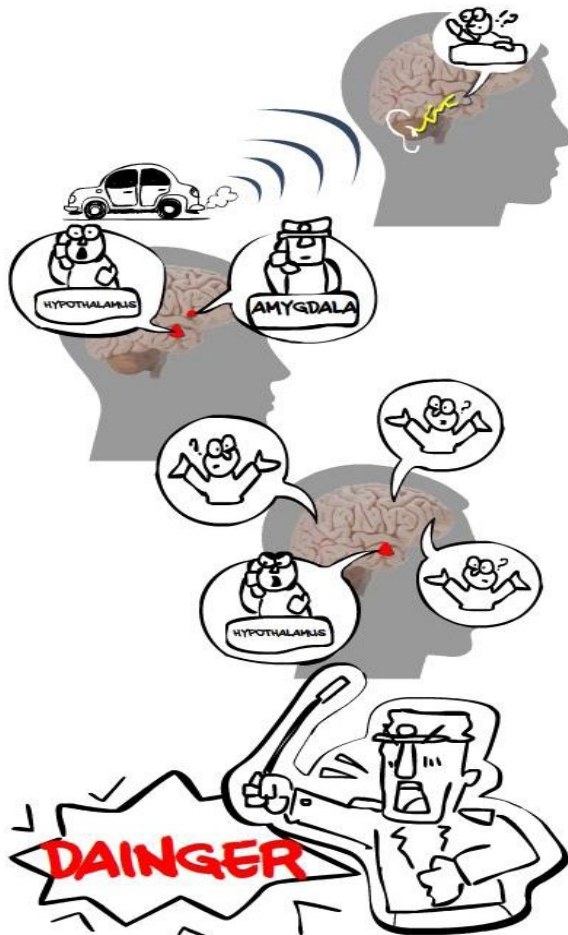
قالت: «هذا انذار: القتال أو الهروب! يبدو أن شيئًا ما حدث في الخارج!».

في الخارج .. كنت أمشي في الشارع، فجأةً أسمع صوتًا قويًا بالقرب مني فقفزت من مكاني خوفًا من الصوت، ثم اكتشفت أن الصوت صادر عن عادم إحدى السيارات القريبة، ولا شيء خطرٌ في الأمر.

لنلقي نظرةً على التفاعلات التي حدثت. في البداية، استشعر الجهاز العصبي الرئيسي الصوت المفاجئ عن طريق حاسة السمع، فأرسل سيالةً عصبيةً مستعجلةً إلى قسم الوطاء Hypothalamus فحوأها: «سمعت صوتًا عاليًا!».

أرسل قسم الوطاء رسالةً مباشرةً إلى اللوزة الدماغية Amygdala حيث نحن متواجدون. وفي نفس الوقت يقوم القسم المركزي الدماغيةً بسؤال بقية الأقسام: «هل لدى أحدكم أيّ تفسيرٍ منطقيٍّ لهذا الصوت؟ مصدره؟ اتجاهه؟ لماذا الصوت أعلى من المعتاد؟ هل سماع هذا الصوت أمرٌ طبيعيٌّ حسب البيئة المحيطة؟»، فيأتي الجواب من جميع الأقسام: «لا يوجد ربطٌ منطقيٍّ بين الصوت وبين جميع البيانات المتوفرة لدينا».

فيأخذ قسم الوطاء الدماغيةً مباشرةً تدابيره المتعلقة بالخطر (هذا يعني أن الجسم يحتاج للطاقة بشكلٍ سريعٍ وفوريٍّ لكي يستطيع التفاعل مع الخطر بشكلٍ مناسبٍ).



الروح و الآنا



مصطفى عابدين



عادةً ما يتعامل الدماغ مع كل ما هو مجهول على أنه ظرف (خطر) ... على أساس قاعدة: (الحذر واجب Better safe than sorry)، ويرسل برسالة مستعجلة إلى الغدة الكظرية عن طريق إفراز هرمون اسمه ACTH. بمجرد ارتفاع نسبة هذا الهرمون في الدم يعرف فريق الغدة الكظرية أن عليهم العمل بنشاط أكثر لأن الجسم بحاجة لحرق كميات كبيرة من السكر. يبدأ فريق الغدة الكظرية فوراً بإنتاج هرمون اسمه كورتيزول وهو مسؤول بشكل أساسي على استقلاب النشويات المخزنة في الجسم إلى سكريات (وقود) لكي تستطيع خلايا الجسم من حرق السكر والقيام بجميع الأعمال الموكلة إليها من قبل الدماغ.

في نفس الوقت في مكان آخر في الجسم، فعّل قسم اللوزة الدماغية استراتيجية «القتال أو الهروب» عبر إعطاء الأوامر بإفراز كميات كبيرة جداً من الأدرنالين إلى الدورة الدموية (300 ضعف المعدل الطبيعي). فتفاعل عضلة القلب مع الأدرنالين وتزيد من عدد النبضات مما يرفع ضغط الدم ويسهل وصول أكبر كمية من الدم إلى جميع الأنسجة العضلية. الأدرنالين يحفز الكبد على إفراز كميات كبيرة من السكر لكي تستخدمها العضلات في سياق تنفيذ استراتيجية (القتال أو الهروب). مباشرةً وكجزء من ميكانيكيات «القتال والهروب» يتوسّع بؤبؤ العين لإدخال كمية أكبر من الضوء ليتسنى للدماغ أن يرسم صورة أفضل لما يجري من حوله ويستطيع استقصاء نوع الخطر المحدق. بعد ارتفاع نبضات القلب أصبحت الدورة الدموية تهدر في الجسم والكريات الحمراء التي تحمل السكر تتسابق في إمداد الخلايا المتواجدة على الخطوط الأمامية للأنسجة العضلية من الذخيرة السكرية الكافية لحرقها في حال اطلق الدماغ الأوامر. بعد مرور ثانية تقريباً.

استطاع الدماغ القسم المركزي تحديد نوع الخطر، إذ أن بعض الخلايا الدماغية التي تعمل في قسم الذاكرة وجدت ملفاً سابقاً ينص على أن هذه التجربة سبق وحصلت في الماضي، وأن النتيجة حينها كانت سليمةً ولا داعي للذعر. أما قسم المنطق في الإدارة، فقد ربط بين مصدر الصوت ووجود باص أخضر اللون مع رائحة دخان الوقود في الجو، واستنتج أن الصوت لا يشكل خطراً وإنما هو مجرد فرقة صدرت عن عادم السيارة! حسناً أنه انذار خاطئ، لذا يبدأ الدماغ بإستراتيجية ما بعد (القتال أو الهروب). كمية الكورتيزول المرتفعة في الجسم تعني أنه على الجسم تعويض الطاقة التي تم صرفها ضمن القتال أو الهروب. تبدأ عملية التعويض من خلال إفراز هرمون الأنسولين الذي بدوره يحلّل كمية السكر العالية في الدم إلى دهون لإعادة تخزينها في الجسم. بالإضافة لذلك يقوم الدماغ بإفراز هرمون (لبتين). هرمون لبتين مسؤول عن التحكم في شعور الجوع والشبع. الجسم يريد أن يعوّض ما خسره من دهونٍ فلذلك يرسل الأوامر للجهاز الهضمي أن يتهيأ للأكل ووضع الجسم في حالة الجوع. كما يقوم الدماغ أيضاً بإجراء احترازيّ بإعطاء أوامر بتقنين الطاقة ووضع الجسم في حالة من (الخمول) إلى أن يأتي الطعام.

الروح و الأنا



مصطفى عابدين



قلت للمسؤولة المرافقة: «لقد كنت محظوظا إذ شاهدت عمل أقسام الدماغ، ولكن أرجو أن تشرحي لي باختصارٍ عن بقية الأقسام، لأنّ مازال عليّ أن أتعرّف على قسم الأنا والوقت يتدراكنّا». أجابت بهدوء: «باختصارٍ شديدٍ، يوجد لدينا قسم الحُصين Hippocampus، وشكله يشبه حصان البحر. هذا القسم مسؤولٌ عن تخزين الذاكرة طويلة الأمد، ففي حال تعطل هذا القسم، يخسر الجسم كافة البيانات المتعلقة بالذاكرة طويلة الأمد وخصوصًا البيانات المتعلقة بالأحداث وليس الحركة، إذ عندها، يحافظ الجسم على ذاكرته الحركية لأنها تتعلق بقسم النواة القاعدية Basal Ganglia والمخيخ Cerebellum، لكنّه يفقد القدرة على تذكّر الأحداث، ويوجد من هذا القسم نسختان كذلك. نسخةٌ يمينيةٌ ونسخةٌ يساريةٌ..

والآن، لننتقل إلى قسم القشرة المخية Cerberal cortex، وهي ما يسمّيها البعض بالمادة الرمادية، وتتألف من أربعة أقسام تُسمى بالفصوص:

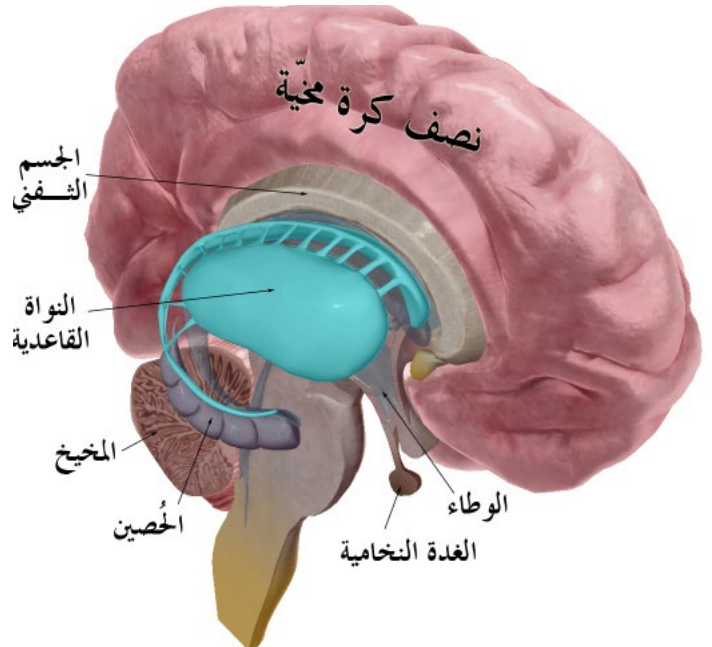
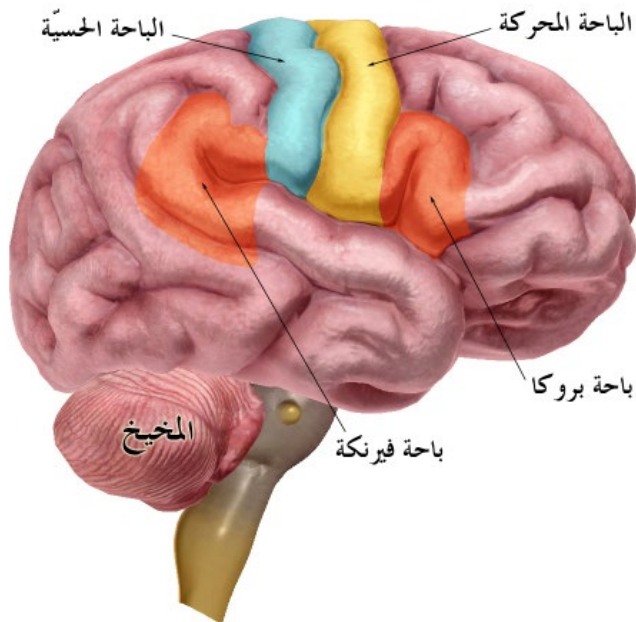
الفص الجبهي Frontal lobe، حيث يوجد الإدراك والأنا والمنطق وتقييم المخاطر.

الفص الجداري Parietal lobe، وفيه يتم تحليل جميع الإشارات الخارجية ووضعها في أفضل سياقٍ يطابق الواقع.

الفص الصدغي Temporal lobe، يتعلق بحاسة السمع.

الفص القفوي Occipital lobe، يرتبط بحاسة البصر، ويقع في الناحية الخلفية للدماغ.

بالإضافة إلى أقسامٍ عديدةٍ أخرى تعمل في تنسيق العمل بين الأقسام الأخرى، وتسمى بالباحات الترابطية -Association areas. مثل الباحة الحسية في الفص الجداري، والباحة المحركة في الفص الجبهي، ويجدر بالذكر أنّ مركز اللغة موجودٌ في القسم الأيسر من قشرة المخ لدى 70% من البشر. وهناك باحتين ترابطيتين مسؤولتين عنه: باحة اسمها بروكا Broca's area وهي المسؤولة عن النطق، وباحة فيرنيكه Wernicke's area المسؤولة عن فهم اللغة. واصابة إحدى هاتين الباحثين لا يؤثّر على الأخرى....



الروح و الأنا



مصطفى عابدين

قاطعتها بقولي: «اعذريني، فإنني بدأت أتجاوز عدد الكلمات المتاحة لهذا المقال وأحتاج أن أختصر. قالت: «حسنًا، لنذهب إلى قسم الأنا، أليس هذا مقصدك؟ لنذهب إلى الفصّ الجبهيّ، فهو ما يميّز الإنسان عن بقية الأحياء في نظرك.

وهم الأنا

إنّ القسم المسؤول عن اتخاذ القرارات وتقييم المخاطر والتفكير المنطقيّ وتحليل المعلومات هو القسم الأماميّ من الدماغ. لقد لاحظنا وجود العديد من الأقسام الدماغية التي تقوم بكافة العمليات دون العودة لمركزٍ موحدٍ اسمه «أنا». القرار الحقيقيّ يتمّ إتخاذه قبل الوصول إلى مركز الأنا. فما هي الفائدة من الأنا إذًا؟

وهم الأنا مهمٌ لتوافق التضارب في المصالح بين الأقسام. جميع الأقسام تتنافس فيما بينها على ماذا يتوجّب فعله بناءً على المحفّزات الخارجيّة. هذا يعني أنّ الدماغ يعمل ويوافق وينظّم بين هذه الاشارات إلى أن يصل إلى نتيجةٍ نهائيةٍ تكون ناتجةً عن عمليةٍ إثقال وتمييز في الأولويات. هذه النتيجة النهائية لابدّ وأن تبدو وكأنّها نتيجة موحدة في الدماغ. هذه النتيجة الموحدة تتجسّد على شكل «أنا» فعلت هذا. مثلًا: في حال سألنا شخصاً أن يختار أن يضغط على أحد زرّين (أيسر وأيمن). ووضعنا خوذة رنينٍ مغناطيسيٍّ لمتابعة العمل الدماغيّ. سنكتشف الجهة التي سيختارها الشخص قبل أن يعلم هو بهذا الاختيار. كيف ذلك؟

يقوم الدماغ بكامل أقسامه بتحليل المعلومات واختيار جهةٍ ما بناءً على عوامل عديدةٍ قد لا تكون ظاهرة للشخص. هذه العوامل قد تتعلّق بالذاكرة أو غيرها من العوامل المتغيّرة. لكن قبل القيام بالعمل واتّخاذ القرار النهائيّ يتم إرسال إشارة إلى الفصّ الأماميّ مفادها أنك أنت قرّرت اختيار الزرّ الأيمن. والفائدة من هذه الظاهرة هي التوفيق بين الصراعات بين الأقسام.

إذا سألتك أن تختار بلدًا من القارة الإفريقية لا على التعيين، أعتقد أن نسبة اختيارك لدولة مصر أو ليبيا هي نسبة عاليةٌ جدًّا وهذا ليس لأنك أنت من اخترت هذه البلدان وإمّا لأنك قد قرأت عن مصر في بداية المقال أو سمعت عن الأحداث في ليبيا مؤخرًا. لماذا لا تختار جمهوريّة الموزنبيق مثلًا أو تنزانيا؟ ألسنت حرّ الأرادة؟ أنت مجموعةٌ من النظم الطبيعيّة المتجانسة التي تعمل في تناغمٍ مع بعضها البعض لتبقى جميعها على قيد الحياة ضمن نظام متكامل نسيمه الجسد. الدماغ هو أحد هذه الأنظمة ضمن الجسد وهو يلعب دور المايسترو في ضبط أدوار هذه النظم وتوظيفها.

الوهم الحاصل بكون الجسم منفصلٌ عن الدماغ أو أنّ النفس هي عبارةٌ عن قبطان للجسد هو موضوعٌ فلسفيّ أكثر من كونه علميّ، لأنّه لا يوجد أيّ دليلٍ علميٍّ يثبت أنّ الدماغ والجسد كيانات منفصلان، بل على العكس هو كيانٌ واحدٌ

الروح و الأنا



مصطفى عابدين

مترابطاً. عندما ننظر داخل الدماغ لا نجد طاقةً عائمةً تتحكم بمجريات الأمور. على العكس نجد أنظمةً منجانسةً تعمل ضمن قوانين محددة ومرتبطة بقواعد علمية أخرى. لا نحتاج أن نقول «وحدث هذا بسبب السحر في أي مرحلة من المراحل»

فرضية الشبح في الآلة

الشبح في الآلة يرمز لشعورنا وكأننا (الأنا) هي كيانٌ منفصلٌ يقود آلة اسمها الجسد. إلا أن رحلتنا الدماغية سلّطت الضوء على كيفية العمل الدماغية ولم نجد حاجةً إلى وجود أي روحٍ أو كيانٍ ذو هوية محددة تقود الجسد.

العديد من الغدد التي تفرز الهرمونات موجودةً خارج الدماغ وهذا يعني أن العمل الدماغية يتجاوز الكتلة الدماغية المعروفة والنخاع الشوكي وهو ممتدٌ عبر الجسد. هذا يعني أيضاً أن أيّ تغييرٍ في الجسد ينعكس مباشرةً في الدماغ والعكس صحيحٌ. فالدماغ هو جهاز حاسوب بايولوجي يعمل على تحليل جميع الإشارات الحسية العصبية بطريقة تمكّن الجسم من ادراك محيطه ورسم ردات فعل للتعايش مع المحيط.



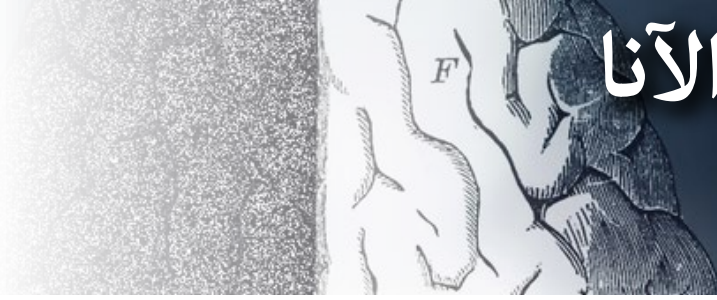
هدف الدماغ هو استنتاج كلّ ما يحدث ضمن منظومةٍ مبنيةً على معارف مسبقة. لهذا نجد أن الخوف يأتي وينتج عن عدم القدرة على رسم تصوّر واضح لما يجري.

مثال يوضّح تأثر وهم الأنا والقدرة على اتخاذ القرارات: شابٌ متزوجٌ وشابّةٌ عازبةٌ يجلسان في البار ويشربان الكحول. بسبب الكحول تعطل عمل القسم الأمامي المسؤول عن تقييم المخاطر والمتعلق بوهم الأنا. قامت الشابّة بوضع يدها على كتف الشاب المتزوج. فجأة نسي الشاب المتزوج أنه متزوج وبادر بلمس يد الفتاة وطلب أن يذهبان إلى مكان آخر أكثر خصوصية. ماذا حدث هنا دماغياً ومن هو المسؤول؟

الروح و الآنا



مصطفى عابدين



الشابة:

- الشابة في المرحلة الأخيرة من دورتها الشهرية ونسبة الأستروجين التي أفرزها مبيضاها أصبحت عالية في دورتها الدموية (الأستروجين هو هرمون محفّز جنسيًا).
- أثر الكحول على القسم الأمامي من الدماغ والمسؤول عن تقييم المخاطر واتخاذ القرارات.
- لدى الشابة رغبة جنسية بسبب ارتفاع نسبة الهرمون الجنسي (الأستروجين).
- الشابة في عمر الـ 20 تبحث عن شريك لتستطيع تحقيق الهدف الأساسي وهو التكاثر.
- الشاب سوق لجينات جيدة من خلال لغة جسده وتفاصيل وجهه وطريقة حديثه لهذا بادرت بإرسال إشارات الإعجاب.

الشاب:



- يشعر بالملل من حياته الجنسية مع زوجته بسبب خمول العلاقة لأسباب عديدة، هذا يعني انخفاض نسبة هرمون الدوبامين في جسمه بشكل عام.
- أثر الكحول على القسم الأمامي من الدماغ والمسؤول عن تقييم المخاطر واتخاذ القرارات.
- ارتفاع نسبة هرمون «الأوكسيتوسين» في الجسم نتيجة لمس الفتاة لكتف الشاب (أفرزته الغدة النخامية (Pituitary gland).
- إفراز بعض الدوبامين كنتيجة لإفراز الأوكسيتوسين.

- تحفيز الرغبة الجنسية نتيجة ارتفاع الأوكسيتوسين والذي ربط النشوة الجنسية مع قسم المكافأة.
- تحفيز قسم المكافأة بسبب ارتفاع نسبة الدوبامين دون رادع من قسم تقييم المخاطر واتخاذ القرارات بسبب الكحول.

الروح و الآنا



مصطفى عابدين



التحليل:

تعلم الفتاة أنّ عليها البحث عن شريك يقوم بتربية أطفالها وأنّ الشاب ليس مناسباً لأنه متزوجٌ إلا أنّ الكحول منع القشرة الأمامية للفص الجبهي من تقييم الموقف واتخاذ القرار الصائب بعدم التفاعل مع الشاب. هرموناتها الأنثوية وغريزتها الجنسية وضبابية القدرة على اتخاذ القرارات جعلتها تبادر الشاب عبر لمس كتفه.

أما الشاب، فله ثلاثه أطفال من زوجته، وحياته الجنسية تفتقر للمتعة بسبب ضغوط الحياة. إلا أنّه غريزيا مازال مهتمٌ بنشر جيناته مع شركاء آخرين. في الأيام العادية لا يبادر الشاب للقاء الفتيات لأنّ القسم الأمامي من دماغه يرفض ذلك رغم الضغوط من قبل الأقسام الأخرى. حيث تعمل القشرة الأمامية للفص الجبهي على تقييم المخاطر. مخاطر مثل الطلاق وخسارة حضانه أطفاله والخوف من المجازفة في علاقة غير مضمونة النتائج هي ما يمنعه عادةً، إلا أنّ الكحول أوقف عمل الفص الجبهي اليوم وأطلق العنان لبقية الأقسام كي تسرح وتمرح. وفي نفس الوقت، مازال القسم الزاحف من الدماغ ينظّم دقات القلب ودرجة حرارة الجسم، لكن تأثير الكحول جعل من مهمته أصعب اليوم.. هل تذكر عندما قال لنا أنهم في قسم الجذع لا يهتمون لما يجري في الأعلى ويستمرّون في العمل؟

تجربة تثبت أقسام الدماغ:

في السبعينيات من القرن الماضي، خضع ثلاثة مرضى كانوا يلتمسون الشفاء من الصرع لجراحة استهدفت قُطع الجسم الثفني Corpus Callosum، لا يهمننا الدخول بالحالة المرضية التي تؤدي إلى هذا العلاج، لكن لنلاحظ ماذا يحدث حين يتضرر الجسم الثفني وينقطع تبادل المعلومات بين نصفي الكرة المخية الأيمن والأيسر، وتسمى هذه الحالة بالدماغ المشقوق Split-brain.

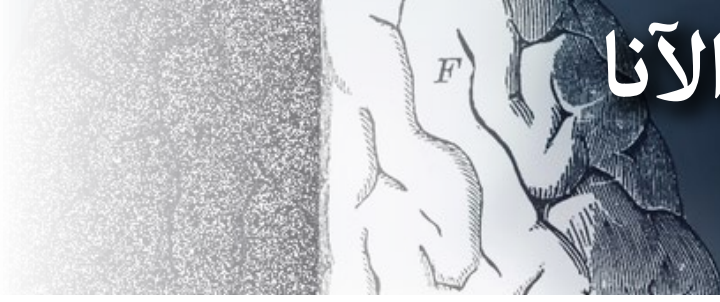
هناك مريضٌ مصاب بحالة دماغ مشقوق، أي أن المعلومات الموجودة في نصف الكرة المخية الأيمن لا تذهب إلى الأيسر، والعكس صحيح، نغطي العين اليمنى بغطاء، (هذا يعني أنّ الشخص يستخدم فقط العين اليسرى والقسم الأيمن من الدماغ في الرؤية)، ثم نضع صورة سيارة أمام المريض، ونسأل المريض عن الصورة، ماذا وضعنا أمامك؟ فيجيب بأنه لم يرى شيئاً!

هو طبعاً يعلم أنه شاهد صورة سيارة لكنه غير قادر على اخبارنا بذلك. لماذا؟ لأنّ نصف الكرة المخية الأيمن رأى السيارة بالفعل، لكنّه غير قادر على إعلام القسم الأيسر بما رأى بسبب فصل القسمين عن بعضهما. وبما أنّ خاصية النطق موجودة في القسم الأيسر الذي لا يعلم عن السيارة، فالمريض يجيب بجواب لا علاقة له بالسيارة. عندما نطلب من المريض أن يرسم ما رأى في الصورة، فإنه يرسم صورة سيارة بالفعل، لكن بيده اليسرى حصرياً لأنها موصولة مع نصف الكرة المخية الأيمن الذي شاهد صورة السيارة.

الروح و الآنا



مصطفى عابدين



تجربة أخرى:

نضع أمام المريض صورة فيها:

- قدم دجاجة (ينظر إليها من خلال العين اليسرى أي القسم الأيمن من الدماغ).

- منظرٌ طبيعيٌّ فيه ثلوج كثيفة (ينظر إليها من خلال العين اليمنى المتصلة بنصف الكرة المخية الأيسر).

ثم نسأل المريض أن يختار شيئاً يراه في الصورة من عدة أشياء موجودة أمامه. وله حرية استخدام يديه الإثنتين. ينظر المريض لمجموعة كبيرة من الخيارات وثم...

يختار المريض بيده اليسرى صورة دجاجة (لأنّ نصف الكرة المخية الأيمن هو الذي شاهد الدجاجة).

ويختار بيده اليمنى مجرفة الثلج (لأنّ نصف الكرة المخية الأيسر هو الذي شاهد صورة الثلج).

نسأل المريض لماذا اخترت هذه الأشياء؟

يقول: «اخترت صورة الدجاجة لأنني رأيت صورة قدم الدجاجة في الصورة (لأنّ النصف المخي الأيسر فقط هو الذي يحتفظ بالقدرة على الكلام)، ولكن لما كان هذا النصف لا يعرف لماذا يفعل النصف المخي الأيمن ما يفعله، فإنه (أي النصف المخي الأيسر) أنشأ قصةً عما يستطيع مشاهدته (أي قدم الدجاجة)، فقال إنه اختار المجرفة لأننا نحتاجها لتنظيف فضلات الدجاج!» (ابتكر سبباً منطقياً لتبرير خياره).

التبرير الأول صحيحٌ لأنّ المريض فعلاً شاهد صورة الدجاجة واستطاع التعبير لغويّاً عن هذه التجربة لأنّ القسم الذي شاهد الدجاجة هو نفسه المسؤول عن النطق (القسم الأيسر). هذا منطقيٌّ لكن لماذا برّر اختيار المجرفة لسببٍ لا علاقة له بالصورة؟ (تنظيف الفضلات) هذا لأنّ اختيار المجرفة حدث في الشق الأيمن الغير قادرٍ على التواصل مع مركز النطق.

وبهذا، لا يعلم القسم الأيسر بأنّ القسم الأيمن قد رأى صورةً للثلوج وعليه تبرير اختيار المجرفة، فيشكّل قالباً منطقيّاً جديداً وهو أنّ المجرفة ضروريةٌ لتنظيف فضلات الدجاج. مع العلم أنّ القسم الأيمن مازال يعلم أنّه رأى المجرفة في الصورة، لكنّه غير قادرٍ على التعبير. يبتكر الدماغ أوهاماً في سبيل رسم أفضل قالبٍ يوصف الواقع والمحيط. ابتكار هذا النوع من الأوهام يحدث طوال الوقت دون أن تشعر. لأنّ الأنا موجودٌ أصلاً لتبرير الأفعال التي نقوم بها وليس للقيام بالأفعال فعلاً. يوجد من يقرّر عنّا ذلك كما شرحت سابقاً. في حال طلبنا من المريض رسم ما رأى فإنّه سيرسم المجرفة ولن يتطرق للدجاجة لأنّ القسم الأيسر غير قادرٍ على اخبار القسم الأيمن (المسؤول عن الرسم) عن ما شاهدته في الصورة.

الروح و الأنا



مصطفى عابدين

من هنا أريد الانتقال لمفهوم الإدراك والوعي ..

الدماغ هو مجموعة من الأنظمة التي تعمل بشكل متناغم على ادارة الجسد. حيث تحدث العمليات الدماغية خلف الكواليس خارج ادراك الكائن. الإدراك هو آخر مرحلة من المراحل الدماغية إذ على الدماغ تحليل ما يجري ووضعه ضمن سياق منطقي يفسر البيئة المؤثرة به. العمل الدماغى لا يتجزأ عن حالة الجسد الكلية إذ أن الدماغ وظيفته الأساسية هي ضبط وظائف الجسد. دون الجسد يصبح الدماغ مثل قائد أوركسترا يقف وحيداً دون فريق العازفين ودون النوتات الموسيقية يحرك يديه دون جدوى. عملية اتخاذ القرار تحدث في الدماغ وكأننا نجلس خلف العيون ونقود الجسد. إلا أننا في الحقيقة فقط ندرك القليل القليل من ما يجري من صراعات وتحليلات وحسابات داخل هذا المجمع العصبي الذي نسميه الدماغ. من هذه النقطة نستطيع الأجابة على السؤال الذي طرحته سابقا حول الأفكار ولماذا أشعر وكأن نقاشاً يدور في رأسي وفيه أكثر من جهة متحاورة؟ هذه النقاشات هي بالفعل بين أقسام الدماغ لكأنك لا تدرك إلا جزءاً بسيطاً منها. أنت تدرك فقط الجزء المهم تحليله لتبقى الأمور منطقية ولكي تشعر أنك أنت من يتحكم بكل شيء.

الإرادة الحرة والروح

موضوع الإرادة الحرة هو موضوع شائك بعض الشيء لأن جميعنا يعتقد أنه مسيطر على إرادته وأنه صاحب أفكاره وأنه قبطان أفعاله، لكن علوم الأعصاب والدماغ تبين لنا بشكل واضح وجلي أننا لسنا مسيطرين على إرادتنا. نعم نحن مدركين لما نريد ولكننا لسنا من يقود هذه الإرادة. فأنت تعتبر أن دماغك هو بمثابة هاتفك الجوال، تستخدمه في تنفيذ بعض المهام هنا وهناك، لكن في الواقع أنت دماغك.

أنت لا تستخدم دماغك وإنما أنت هذا الدماغ. أنت الدماغ والجسد وكل ما يجري من عمليات حسابية وبايولوجية في هذا الجسم. تعتقد أنك شبح يقود الدماغ ويأمره ما يتوجب فعله لكنك في الواقع عبارة عن آخر مرحلة من مراحل العمل الدماغى وتتجسد على شكل الإرادة والأنا.

مثال آخر عن اختفاء الأنا عند النوم والدخول في عالم الأحلام. هل تشعر حينئذ بأن شعور الأنا واضح بالنسبة لك؟ أم أنك ترى الاحداث من عدة مناظير وزوايا؟ أنت لا تحتاج وهم الأنا وأنت نائم لأن قسم المنطق مقفل أصلاً ولا تحتاج لتبرير من يتخذ القرارات.



مصطفى عابدين

الحياة

نجد أنفسنا أمام لغز علمي وفكري مهم وهو لغز الحياة. كيف تبدأ الحياة وكيف تنتهي وما هو محرّكها؟ سأستخدم أسلوبين في تفسير الظواهر. أسلوب غريزي انساني منطقي وأسلوب علمي مبني على دلائل وبراهين. سوف أسقط كل محور ضمن هذين المنظورين لكي نُميّز الفرق في تفسير هذه الظواهر وتوضيح الفروق في التوصيف. التمييز بين الطريقتين مهمٌ جدًا في فهم ماهية الروح.

الحياة من منظور علمي ثم من منظور المنطق البشري

عمر الحياة 4.6 مليار سنة، بدأت على كوكب الأرض على شكل كائنات وحيدة الخلية وتطوّرت هذه الخلايا إلى كائنات متعدّدة الخلايا ومنها إلى عائلة الثدييات مرورًا بالعديد من الأصناف وصولًا للجنس البشري الحالي. هذا توصيف مختصرٌ جدًا للحياة. أمّا التوصيف العلمي للتنوع الحيوي، فهو يجيب على جميع الأسئلة المتعلقة بعادات وتصرفات الكائنات وأسباب توزعها على كوكب الأرض واستراتيجياتها المتّبعة بهدف البقاء، ونسبي هذا التوصيف بنظريّة التطور، ولهذه النظريّة تطبيقاتٌ علميّةٌ عديدة، فهي أساس العلوم الطبيّة والحيويّة. ولنتذكر بأنّ نظريّة التطور تفسّر التنوع الحيوي، لكنّها لا توصف بداية الحياة وطبيعتها.

الحياة عبارة عن أنظمة عضوية تعمل على استقدام الطاقة من محيطها واستقلابها بهدف أن تنسخ نفسها وتستمر عبر الأجيال، هذه الأنظمة محكومة بقوانين فيزيائية وبايولوجية محددة تحكم آليات عملها وأي خلل في هذه الآليات يؤثّر على هذا النظام الحيوي وفي فعاليّته على أداء وظائفه. في بعض الأحيان قد يكون الخلل كبيرًا لدرجة أن يبدأ هذا النظام بالانهيار حتى يفقد انسجامه وتخرج وظائفه عن الخدمة. في هذه المرحلة يفقد هذا النظام الحيوي مقوماته التي تجعله نظامًا موحدًا وتبدأ عناصره بالتحلل وإعادة التدوير في الطبيعة ضمن أنظمة أخرى بعضها حيوي والبعض الآخر يكون ضمن أحد مفاصل النظام البيئي. من أهمّ شروط التوازن في الأنظمة الحيّة أنّها عندما تتعرض لخللٍ ما يخرجها عن الخدمة، هي غير قادرة للعودة كما كانت. الخروج عن الخدمة يعني اندثار ذاك النظام إلى الأبد وتحلل عناصره لتصبح جزءًا من أنظمة جديدة. إذًا، العناصر الأساسية التي تشكّل الجسد لا تموت وهي أصلًا ليست حية. اللبن الأساسية من ذرات كربون وهيدروجين وغيرها من العناصر تشكّل مركبات عضوية وهذه المركبات تشكّل أنظمة حيوية تعمل ضمن آلياتٍ محدّدة في سبيل نسخ نفسها عبر الأجيال. طبعًا الموضوع أعقد من ذلك لكنني أبسط الفكرة الأساسية والتي تتمحور حول أنّ الحياة ليست محور بعيد عن الفحص العلمي ولكنّها أيضًا ليست عملية سهلة التوصيف من ناحية التواصل وخصوصًا للشخص الغير ملمّ بقواعد الكيمياء الحيوية وغيرها من العلوم. المغزى أنّ الحياة تعتبر من

الروح و الآنا



مصطفى عابدين

أعقد العضلات العلمية التي يتم العمل على تحليلها وجهلنا ببعض محاورها ليس دعوةً للأخريين أن يقدموا تصوّراتٍ لامنطقيّةٍ وغير علميّة. نستطيع أيضاً وضع فرضياتٍ خياليةٍ دون عناء البحث ولكنّ هذا ما يميّز البحث العلمي. لا فرضيةً دون دليلٍ وبرهانٍ.

الحياة من منظورٍ خلقيّ

الإنسان هو أفضل المخلوقات وقد خلقه الله لكي يخلفه على هذا الكوكب وسخّر له الكائنات الحيّة لكي يصطادها ويستفيد منها. غاية الحياة هي شكر الله على نعمة الحياة. بدأت الحياة حينما نفخ الله على الطين فكانت نفخة جعل بها أول الخلق آدم. ثم خلق من ضلع آدم حواء، وبعث هذه الروح لتسكن الجسد وتستخدمه لفترةٍ قصيرةٍ تجول الكوكب ثم تعود حيث بدأت، تعود إلى مكانٍ شبيهه بالأرض لكن أجمل. فيه أنهارٌ وأشجار وكل ما يتمناه ويفتقده الإنسان على الأرض.. كم هو سهل توصيف الأمور بهذه الطريقة وبعيداً عن التعقيد.

الروح



لا نستطيع لوم الإنسان على هذا الوهم لأنّ افتراض الروح هو افتراضٌ منطقيٌّ يفسّر العديد من الأسئلة الصعبة. أنا بدأت بمحاولة متواضعة بتفسير الحياة من الناحية العلمية ومن منظور المنطق العلمي. من الواضح أنّ التوصيف العلميّ هو ليس سهل الفهم ولن يتقبّله الإنسان الغير ملمّ في علوم الأحياء. بينما أن نقول أنّ الله نفخ من روحه على الطين فهذا ينهي النقاش ونستطيع متابعة حياتنا دون عناءٍ. يسأل الكثير من الأصدقاء ماذا يحدث وأين نذهب بعد الموت؟ هل تؤمن بوجود الروح وما هو توصيفك لها؟ في الواقع تعقيد موضوع الروح ليس ناتج عن تعقيد ماهيّة الروح وإمّا بسبب حساسيّة الموضوع ووجود كم هائلٍ من المعلومات المضللة من العلوم الزائفة والادعاءات والعقائد الدينية المتنوعة المبنية على فرضيّة الروح، كما لاحظنا أنّنا لا نحتاج لعنصر الروح في تفسير أية من الخصائص الدماغية، إذ لا وجود للروح فيها.



مصطفى عابدين

المنطق البشري والحياة والموت

أكثر الأخطاء شيوعاً في النقاشات العلمية هو استخدام المنطق البشري كمرجعية معرفية في فهم أي حالة مهما كانت بسيطة. فالإنسان كائنٌ حيٌّ استطاع البقاء عبر ملايين السنين عن طريق رسم استراتيجياتٍ بقائيةٍ تتماشى مع حاجته البيئية. هذا يعني أن آليات الفهم البشري من الناحية الغريزية ليست بالضرورة أفضل وسيلة لفهم المحيط على حقيقته الدقيقة، لكنها الأفضل في بقاءه على قيد الحياة. الإنسان يعلم كيف يقيّم المخاطر وكيف يغتنم الفرص وكيف يكشف الخداع وكيف يحمي موارده، لكنّه ليس معنيّاً بفهم آليات عمل الذرة أو عمل الجهاز العصبيّ.

لا ينظر الإنسان إلى الشمس ويقول: «من الواضح أنّ الإندماج الذريّ لذرات الهيدروجين هو مصدر أشعة الشمس!». فالمنطق البشريّ غير معنيّ بهذا التوصيف. كما لا ينظر الإنسان إلى القمر ويقول: «هو كرويٌّ لأنّ الجاذبية تضغط جميع العناصر نحو المركز!»، المنطق البشريّ غير معنيّ بهذه المعلومة، فالمهمّ أنه مضيءٌ في الليل ويغيّر أشكاله. ولا ينظر الإنسان إلى الحيوانات ويقول: «نعم، جميع الأحياء أتت من خليةٍ واحدةٍ وتطوّرت بناءً على الضغوط البيئية عليها وجميعها يشترك على الأقلّ بـ 25% من حمضها النوويّ!»، بل يقول الإنسان: «هذه المخلوقات منها المفيد ومنها الضار، لكن المهمّ أن أبقى أنا على قيد الحياة!». أما في حال وجد الإنسان نفسه محاطاً بقطيعٍ من الأسود، فلن يستفسر عن التركيب الجيني والنووي للأسود، وكيف تعمل خلاياها! وإمّا سيتعامل معها من منظور تقييم الأخطار.

فيتساءل: «ما أثر هذه الأسود على حياتي؟». إن كانت النتيجة سلبيةً فسيبتكر استراتيجيات لتفادي الخطر. وإذا شعر الإنسان بهزة أرضية، فلا يعنيه فهم نظرية الإنجراف القاريّ والعمليات المؤثرة بقشور الأرض ونتائجها من زلازل وبراكين. وإنما يعلم أنّ الزلازل والبراكين هي ظواهرٌ خطيرةٌ يتوجّب الإحتماء منها وهذا هو المهم. فالمنطق البشريّ ليس مناسباً لفهم تفاصيل الأمور وإنما لتوظيف الظواهر المحيطة به بما يساهم في بقاءه واستمراره عبر الأجيال.

الإنسان مهمّ بتوصيف وتصنيف الأشياء وثم ربط هذه الأشياء مع وظائفٍ وغاياتٍ معينة تخدمه. هذه النقطة مهمةٌ جداً في بحثنا إذ أنها ستشرح لنا العديد من المفاهيم التي تساهم بالاعتقاد بوجود الروح والحياة بعد الموت. نحن نصرف طاقة ذهنية في فهم كل شيءٍ وبحكم وجودنا وتطورنا ضمن بيئة تنافسية على الموارد فإنّ الكائنات القادرة على الوصول للاستنتاج الأفضل للبقاء بأقلّ استثمار للموارد الذهنية هو الكائن الذي سيستطيع البقاء بغض النظر عن الدقة التوصيفية لما يرصده.



مصطفى عابدين

الملخص

إنّ الاعتقاد بوجود الروح والأنا اعتقاد مبرر لكنّه خاطئ. أنت لست طاقة أوغيمة تحوم في الأجواء ولست قبطانا للجسد تقوده كما تقود الدراجة. أنت جسدك وأنت عقلك وأنت جزء لا يتجزء من هذه الأقسام. إذا شرّحنا دماغ أيّ كائن حيّ غير الإنسان سنجد بعض الخصائص الشبيهة بالإنسان. هذه الخصائص تفسر نفس المشاعر التي يشعر بها الإنسان. جميع الكائنات تشعر بالخوف والجوع والعطش والحبّ والتعب لكن بنسب متفاوتة. لكن بشكل عامّ هذه المشاعر هي مشاعر عالمية بين الأحياء إذ أنّها أساسية في البقاء. فالإنسان إذا ليس مختلفاً عن بقية الأحياء، وهذه الحقائق أصبحت مثبتة تجريبياً. نعم، نسبة الذكاء الانسانيّ مختلفة عن نسبة الذكاء لدى الدلفين أو الفيل أو الغراب إلا أنّ لكلّ كائن حاجات مختلفة ضمن بيئته. الدلفين مثلاً يعتبر الإنسان مخجداً من حيث القدرة على السباحة والغراب يعتبر الإنسان بدأياً جداً من حيث القدرة على الطيران. ففكرة الروح وتمييز الإنسان عن بقية الأحياء هي فكرة ناتجة عن أنانيّة الإنسان وحاجته إلى البقاء.

تساعدنا العلوم اليوم على فهم طبيعتنا وتقربنا أكثر من أقربائنا الأحياء. في هذا المقال لم أذكر العديد من النقاط الأخرى المتعلقة بموضوع كيف يميّز الإنسان نفسه. فالإنسان ليس الكائن الوحيد الذي يميّز نفسه. يوجد عند العديد من الكائنات هذه الخاصية والتي تعني أنّ هي أيضاً لديها وهم الأنا وربما وهم الروح أيضاً. فمثلاً الفيل يحزن على فراق أفراد عائلته ويقوم بطقوسٍ شبيهة بالجنائز عند الإنسان. ربما يعتقد الفيل أنّ قريبه لا يزال يحوم في الأجواء.

إنّ وجودنا اليوم على قيد الحياة هو نتيجة العديد من العوامل والظروف، لذلك خذ خطوةً إلى الوراء وانظر من حولك الى عظمة هذا الكون وعلى فرصة الحياة. لا تصدّق الأوهام والقصص، بل ابحث وتعلّم لتعرف من أين أتينا حقاً، وإلى أين نودّ أن نذهب.. نعم، لا حياة بعد الموت لكن، لا موت مع الحياة أيضاً، وهذا يعني أنّ الموت لا يعينك، لأنّ وهمك بالأنا هو وهمّ مربوطٌ بالحياة فقط!

المصادر :

Aguirre Lauren S.-Mapping the Brain, NOVA Science now, Posted 10 April 2012, Retrieved 2/15/15.

Wolman David "The split brain: A tale of two halves". Nature. International weekly journal of science. Posted 14 March 2012, retrieved on 2/15/15.

Pinker Steven. How the mind works, Norton, W. W. & Company, Inc, 1/28/1999.

Kaku Michio. The Future of the mind Doubleday February 25, 2014.

Prof. Stephen P. Hinshaw Ph.D. - Origins of the Human Mind; The Great Courses, Course No. 1663.

Prof. David W. Martin Ph.D. - Psychology of Human Behavior; The Great Courses, Course No. 1620.

أرشيف مدونة أرض الرمال

تحية لـ بن كريشان

<http://thelandofsands.blogspot.com>

الهوس الإسلامي بالعهف
عصافور موريشيوس
كيف نكافح العنصرية الإسلامية؟
المرأه و الدين
فتوى الببغاء
السفاح والفتاة البريئه
طيز لظفي
وجوب تكسير الأصنام
الألحاد : حركة تحريه للشعوب
جرثومة الدين في كل مكان
هل هناك معنى للحياه بدون شاورما؟
الخوف..نبض الأصوليه الإسلاميه

هل تحوّل الدين في عصر العلم إلى خرافة مؤنّية



أسامة الورّاق
ترجمها عن الإنكليزية

أجرى المقابلة سيمون وورل Simon Warrall
لموقع الناشونال جيوغرافيك على الانترنت بمناسبة
صدور كتابٍ جديدٍ لكوين بعنوان الإيمان يواجه الواقع :
حول أسباب تعارض العلم مع الدين



أسامة الوراق

هل تحول الدين في عصر العلم الي خرافة مؤذية

كان جري كوين مؤلف كتاب "الإيمان يواجه الواقع: حول أسباب تعارض العلم مع الدين" يستمع إلى موسيقى إصدار سارجنت پپر Sgt. Pepper لفرقة (البيتلز) حين فوجئ بالهام أدرك من خلاله على حين غرة أن الله غير موجود.

حصل ذلك خلال سني دراسته الثانوية. لقد أرعبته تلك الفكرة. بعد سنواتٍ من العمل كباحثٍ في علمي الوراثة والأحياء التطوري تكوّن لديه أساسٌ علميٌّ دعم ذلك التحوّل الذي شهده أثناء مراهقته.

قام كوبن بمحادثتنا من جامعة شيكاغو حيث يعمل أستاذاً في قسم البيئة وعلوم التطور، وقد حادثنا عن الكيفية التي قوّضت بها المكتشفات العلمية الحديثة دعائم الدين وادعاءاته، وكيف أن ستيشن جيه چولد Stephen Jay Gould قد جانبه الصواب، والقانون الأمريكي لا يبذل ما يكفي من الجهد لحماية الأطفال من أن يكونوا ضحايا لمعتقدات والديهم.

سؤال: هلأ استرجعت معنا ذكريات ذلك التجلي الذي ألهمك التوجه نحو الإلحاد، وأنت لا تزال في سن السابعة عشرة حين كنت تستمع إلى موسيقا ذلك الإصدار؟

جواب: لقد نشأت كيهوديٍّ يتّبع المذهب الإصلاحى Reform Judaism، وهو عقيدةٌ توشك أن تكون ضرباً من الإلحاد. خلال نشأتي كئنا من رواد الكنيس، لكنّي لم أقم بطقوس سن البلوغ اليهودية (طقس البار متسفاه). ولم يتمّ ذكر الله بحضورى إلا بشكلٍ عابِرٍ، وخاصةً عندما كنت أسىء التصرف. [يضحك] ووقت إنتاج الإصدار سارجنت پپر كنت طالباً في الثانوية العامة.

كنت يوماً مستلقياً على الأريكة في بيتنا أستمع لهذا الإصدار الجديد، حين بزغت في رأسي على حين غرة فكرة أن كلّ شيءٍ تعلمته عن الله والدين لا يوجد له أيّ دليلٍ يدعمه. وبدأت على إثرها أتصبب عرقاً، لم يكن ذلك بسبب حرارة الجو. لطالما اعتقدت أن ثمة حياةً بعد الموت، وكان من شدة وطأة مفاجأتي بإمكان صحّة ذلك أن صرتُ أرتجف وأتعرق. ومنذ تلك اللحظة الفارقة تحوّلت ملحداً.

سؤال: أنت الآن عالم وراثة تطوريٍّ. كيف يؤثّر عملك على آرائك الدينية؟

جواب: عندما تقوم بتدريس نظرية التطور، فأنت تدرّس نوعاً من العلم يضرب الديانات الإبراهيمية في مركز أعصابها. لن يسبّب تدريسك أيّ إشكالٍ مع المتدينين لو كنت تدرّس الكيمياء أو الفيزياء أو علم وظائف الأعضاء أو أيّاً من العلوم المبنية على الاستقصاء، كعلم الآثار والتاريخ، لكن تدريس التطور حتماً يتسبب بالمشاكل معهم.



أسامة الوراق

هل تحول الدين في عصر العلم الي خرافة مؤذية

زهاء ٤٢ - ٤٣ بالمئة من الشعب الأمريكي هم من الخلقين. أضف إلى ذلك ٣٠ بالمئة ممن يُعدّون تطوريين مؤلهين يعتقدون أن الله مسير عملية التطور، هذه زيادة بحوالي ٥٠% على ما كانت الحال عليه في العشرين سنة الماضية. ثمة أمور تتعلق بالتطور والعلم تقوّض دعائم الدين. أولها خطأ قصة الخلق الواردة في سفر التكوين. فلا دليل على أيّ اختلاف نوعي لدى البشر يميزهم عن غيرهم من الأنواع، سوى اللغة، والتي قد تكون شيئاً تطور بشكل تراثي، فنحن لم نختصنا إله بخلقٍ مميّز.

سؤال: كيف أثّرت التطورات العلمية الأخيرة، وخاصة في علمي أحياء الأعصاب neurobiology والكونيات في فهمنا للكون ومكانتنا فيه؟

جواب: تلك التطورات تؤيد مقولة ستيفن واينبرج Steven Weinberg، الفيزيائي الحاصل على جائزة نوبل حين قال: «كلما تعلمنا المزيد عن الكون، أدركنا مدى عبثيته». تزداد معرفتنا عن الكون باضطراد، وما نراه باستمرار لا يزيد عن كونه عملياتٍ طبيعية.

تقول نظرية الانفجار العظيم big bang التي تُعنى بنشأة الكون، إن الكون نشأ بشكلٍ طبيعي في فراغٍ كميّ (كوانتمي). وبعده ذاته ينسف الدين من أساسه [يضحك]. ويقول الناس: "لا يمكن للكون أن يأتي من العدم، لا بد من خالقٍ صنعه"، لكن هذا غير صحيح، وذلك إذا أدركت أن العدم هنا ما هو إلا فراغٍ كوانتمي. إحدى النظريات الأخرى تتعلق بحرية الإرادة والتي تقضي بوجود خياراتٍ متاحة لنا دوماً. وحرية الإرادة تلك نفسها التي تسمح بمعايير مزدوجة يعتقد المتدينون فيها أنك تستطيع اختيار يسوع كمخلصك طوعاً مثلاً، أو اعتبار أن المثلية الجنسية اختيارٌ. والعلم بدأ يشكك في هذه الأمور بتبينه أن الذي يختاره المرء ليس إلا مخرجات عملياتٍ دماغية مادية. فالذي خلقنا هو الفيزياء، لسنا سوى جزيئات. ما يجعل أفكارنا وتصرفاتنا نتيجةً لحركات تلك الجزيئات.

سؤال: باختصار، أين مكمن التعارض بين الدين والعلم؟

جواب: أولاً، يأتي التعارض من تنافسهما على إيجاد حقائق عن الكون. فحتى يكتمل دين المؤمن، عليه أن يقبل بحقائقٍ أساسية عن الكون. فمثلاً، يرى الكثيرون من المسلمين أن ما يقوله القرآن صحيحٌ بشكلٍ حرفيٍّ، ومن يشكك فيه يحكم على نفسه بالموث. فالناس يحاولون التوفيق بين العلم والدين، لا بين العلم وفن العمارة مثلاً، أو العلم والرياضة، والسبب يكمن في أن العلم والدين يتنافسان في مبحثٍ يتعلق بحقائقٍ خاصة تتعلق بالكون.



أسامة الوراق

هل تحول الدين في عصر العلم الي خرافة مؤذية

لكن العلم يستعمل أساليب تختلف جذرياً عن تلك التي يستعملها الدين. فقد طوّر العلم مجموعة الأساليب لكشف ما هو حقيقي عن ما هو كاذب، وقد هدّب العلم هذه الأساليب على مرّ خمسمئة عام. فقد أعطى ريتشارد فاينمن Richard Feynman أفضل تعريف سمعته شخصياً عن العلم إذ قال: "إن العلم طريقة لمنع نفسك من خداع نفسك، فأنت أسهل فريسة لخداعك." والدين لا يملك أساليب لاجتثاث الخطأ، بل على العكس، الدين طريقة لخداع نفسك. فالدين أساليبه هي السلطة، وتقديس الوحي، والجمود العقائدي والتلقين الفكري، لكنه لا يملك أي أسلوب لفحص أي من بنود العقيدة بمحاولة تخطئتها. فالعالم يعجّ بالآلاف المؤلفة من الأديان، كل منها يطلق مزاعم عن الكون تتعارض مع باقي الأديان، مردّ ذلك أنهم لا يمتلكون طريقة لفحص تلك المزاعم.

سؤال: هل لك بالدفاع عن مقولتك التالية: "الدين أكثر أنواع الخرافة ضرراً وأوسعها انتشاراً"؟

جواب: أحد معاني كلمة "خرافة" التي يوردها قاموس أوكسفورد بالإنكليزية هي أن يؤمن المرء بشيء دون أساس أو يؤمن بأمر لا عقلاي. لأن الأديان لاعقلانية وتفتقد للأساس، أنا أعتبر الدين خرافة. وهو أوسع الخرافات انتشاراً، كون أغلب سكان الكرة الأرضية مؤمنين. وشتان ما بين شيوع الدين و صور الخرافة الأخرى، كالتنجيم أو الإيمان بالصحون الطائرة، أو القدرة على تحريك الأجسام بالأفكار.

تبعاً لذلك يفوق حجم الضرر الذي تسبّب به الدين للبشرية ضرر التنجيم أو الإيمان بمسوخ أسطورية. فهذه مثلاً نفس مشكلة داعش والتنظيمات الإسلامية، لكنها كانت أيضاً مشكلة المسيحية في زمن خلا، في إطار هذا التصور، من لا يشاركك الرأي قد يُقتل لاختلافه عنك.

سؤال: هل تتساوى كل الأديان في درجة السوء؟

جواب: حتماً لا. من يروّج لذلك يهدف لتشويه سمعة الدين ككل. وما لا نقاش فيه أن الأديان تتباين في مدى ضررها، حيث يتناسب الضرر طردياً مع حجم التبشير والدعوة في ذلك الدين، ومع مدى الخداع الكامن في عقيدته. هنالك أديان أراها غير ضارة، بل مفيدة. ففي جمعية الأصدقاء الدينية المعروفة بالكويكرز (Quakers) بالكاد يؤمن الأعضاء بالله، وجلّ اهتمامهم ينصبّ على قضايا العدالة الاجتماعية. فبابتعاد أي دين عن الاعتقاد بالله ملموس تقلّ كمية الإملاءات الأخلاقية، ويؤدي ذلك إلى دين أفضل. أما عندما تؤمن بوجود سلطة مطلقة تملي عليك ما تفعل، فذلك الطريق سيقود إلى الهلاك في رأيي.

مجلة توثيقية علمية إحادية



نشاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء
هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر
موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة
الإحاديين
العرب

معاً نحو مستقبل منير

facebook Group: www.facebook.com/groups/A.A.Magazine

Blog: www.aaMagazine.blogspot.com

Website: www.arabatheistbroadcasting.com

facebook Page: www.facebook.com/A.A.MagazineOfficial



أسامة الوراق

هل تحول الدين في عصر العلم الي خرافة مؤذية

سؤال: قام عالم الأحياء التطوري، ستيفن جيه چولد Stephen Jay Gould بتطوير فكرة الاختصاصات غير المتداخلة Non-Overlapping Magisteria المعروفة بالاختصار NOMA، التي من خلالها ينحصر اختصاص العلم في إطار الوقائع التي نعرفها عن الكون، بينما يختص الدين في ميدان المعاني والقيم الأخلاقية، فهل تتفق مع التسوية التي يتضمنها هذا الطرح؟

جواب: الواقع، لا! [يضحك] هذه التسوية لا أرفضها أنا وحدي، بل يرفضها أغلب أهل الدين كذلك، والذين يصرون على أن الأخلاق والقيم أمور متجذرة في كيفية فهمنا للكون. وهم بهذا المفهوم يرفضون المحددات التي يفرضها چولد على الدين. من جهتهم، رفض الفلاسفة طر ح چولد أن المعنى والقيم والأخلاق حكر على الدين. للعلمانية الإنسانية تاريخ طویل عريق يمتد منذ عصر الإغريق القديم، مروراً بكانط وجون ستيوارت مل وهيوم، وصولاً إلى مفكرين معاصرين من أمثال پيتر سنچر Peter Singer. لذا، ففكرة الاختصاصات غير المتقاطعة تفشل في الحاليتين.

سؤال: ألا تعتقد أنك تطرح تصوراً كئيباً من خلال الفكرة التي أسميتها بالوهم العصبوني neuronal illusion التي تصوّر لنا الكون مادياً خالياً من أي هدف، أتى فيه البشر والوعي دوفاً تخطيطياً؟

جواب: قد يكون الأمر كذلك في نظر البعض، لكنها النظرة التي أحيها أنا ومعني أغلبية الأوروبيين، إنها نظرة تقول: لا شيء يقبع وراء قوانين الفيزياء والمادة. أما أنك تجدها نظرة كئيباً، فذلك مردّه تركيبتك النفسية. هل ترى سكان اسكندنافيا وفرنسا يجرون أنفسهم جراً من شدة الاكتئاب، ويعيشون حياتهم مطأطي رؤوسهم لأنهم يجدون العيش دون إله أمراً كئيباً؟ لا، والعكس هو الواقع. بالنسبة للمسلمين مثلاً، تجد التسلية أمراً محظوراً، كالموسيقا مثلاً. أجد نوع حياتهم هذا أكثر كآبة بكثير من حياة تخلو من الإله.

سؤال: أحد أكثر أجزاء كتابك أثراً في النفس الجزء المتعلق بأشلي كنج Ashley King. هلا أخبرتنا بقصتها، وكيف توضّح هذه القصة مخاطر الدين؟

جواب: قصّتها مثل مخاطر ما أسميه "الدين التبشيري بين الأجيال" vertical proselytizing faith الذي تفرض بموجبه معتقداتك الدينية على أطفالك حين يكونون أصغر من أن يفهموا ليحكموا ويختاروا. الدين المقصود تحديداً كنيسة المسيح العالم Christian Science التي يرى أتباعها أن المرض يصيب صاحبه لأسبابٍ روحية، ويرفضون الطب المبني على العلم لمصلحة الدعاء والاستشفاء الروحي.



أسامة الوراق

هل تحول الدين في عصر العلم الي خرافة مؤذية

كان والدا آشلي كنج من رعايا كنيسة المسيح العالم في ولاية أريزونا الأمريكية. وهما ليسا من المتشددين النموذجيين الذين يلوحون بالكتاب المقدس بخطبٍ ناريةٍ. وما حدث هو أنه تكوّن في ساق آشلي ورمّ تبين لاحقاً أنه سرطانيٌّ. وبدل أن يأخذها إلى طبيبٍ أخرجها من المدرسة وعمدا إلى محاولة علاجها بالدعاء والصلاة. وخلال ذلك كان الورم يكبر إلى أن وصل إلى حجم بطيخةٍ، ما دفع بمؤسسة خدمات الأطفال الحكومية بالتدخل، وأخذ الطفلة من والديها. عندما وصلت الطفلة إلى المستشفى قال الطبيب: ”جاءت بعد فوات الأوان، والورم حجمه أكبر من أن يعالج، لكننا قد نطيل في عمرها قليلاً لو بترنا ساقها.“ فتدخل والداها رافضين عمل ذلك، وأوقفوا إعطاءها مسكنات الأم. وبدلاً من إتباع توصيات الطبيب وضعا ابنتهما في مصحةٍ تابعةٍ لكنيسة المسيح العالم، التي تحصل على دعمٍ مادّيٍّ من الحكومة الأمريكية. واقتصر علاجها على الماء والدعاء. وبعد حينٍ صارت تصرخ وتنوح، فالأم كان بالغاً لا يحتمل، لكنهما اكتفيا بالصلاة والدعاء، وما لبثت أن فارقت الحياة.

على الإثر تمّت محاكمة والديها وأدينا بالجرم مع وقف العقوبة. يجدر الذكر أن في ثلاثٍ وأربعين من أصل الخمسين ولايةً أمريكيةً، لا يعتبر الاستشفاء الديني الذي يضرّ بأطفالك إشكالاً من الناحية المدنية أو الجنائية. لقد مات آلاف الأطفال كضحايا كنيسة المسيح العالم، وكذلك كنيسة أتباع المسيح في أوريجون وآيداهو Followers of Christ in Oregon and Idaho. وثمة مقابر تعجّ بأطفال لاقوا حتفهم جرّاء تعرّضهم للعلاج بالإيمان. سؤال: هل ثمة جانبٌ روحانيٌّ لحياتك؟ صفه لنا إن كان موجوداً.

جواب: كلمة روحانيٌّ صعبة التعريف. في دراستي لعلم التطور أقرأ يوماً ما يدهشني بروعته. يقول ريتشارد دوكنز Richard Dawkins الشيء ذاته. والروحانية طيفٌ واسعٌ يشمل ذلك الشعور بالدهشة من الطبيعة، لكنه يمتدّ ليطول الإحساس بوجود شيءٍ ما وراء الكون المادي.

على أنني لا أحب استعمال كلمة ”روحاني“ إلا لو قمتُ بتعريفها لي بوضوح. روحانيتي ذلك الإحساس بروعة الطبيعة وعظمتها. أنا أحب كتابات جيمس جويس James Joyce وتي إس إليوت T.S. Eliot، وأتأثر بكتابات ديلان توماس Dylan Thomas. ولا صلة بأيٍّ من ذلك بالإله، وإنما بمشاعرٍ تستحثها الطبيعة كما يستحثها الفن. لذا، أنا أفضل أن أسمّي نفسي إنسانياً humanist بدلاً من روحانيٌّ. ففي اللحظة التي تشير إلى نفسك أنك روحانيٌّ يعتقد الناس تلقائياً أنك متديّنٌ.



أسامة الوراق

هل تحول الدين في عصر العلم الي خرافة مؤذية

سؤال: هل ثمة جانبٌ روحانيٌ لحياتك؟ صفه لنا إن كان موجوداً.

جواب: كلمة روحانيٌ صعبة التعريف. في دراستي لعلم التطور أقرأ يوماً ما يدهشني بروعته. يقول ريتشارد دوكنز Richard Dawkins الشيء ذاته. والروحانية طيفٌ واسعٌ يشمل ذلك الشعور بالدهشة من الطبيعة، لكنه يمتد ليطول الإحساس بوجود شيءٍ ما وراء الكون المادي.

على أنني لا أحب استعمال كلمة "روحاني" إلا لو قمتُ بتعريفها لي بوضوح. روحانيتي ذلك الإحساس بروعة الطبيعة وعظمتها. أنا أحب كتابات جيمس جويس James Joyce وتي إس إليوت T.S. Eliot، وتأثر بكتابات ديLAN توماس Dylan Thomas. ولا صلة بأيٍّ من ذلك بالإله، وإنما بمشاعر تستحثها الطبيعة كما يستحثها الفن. لذا، أنا أفضل أن أسمي نفسي إنسانياً humanist بدلاً من روحانيٌ. ففي اللحظة التي تشير إلى نفسك أنك روحانيٌ يعتقد الناس تلقائياً أنك متدينٌ.



فلسفة الدين



ترجمة : Hasna Nina Khaled

النسخة المكتوبة للمناظرة
الإذاعية بين راسل وكوبلستون

حوار حول وجود الله

في الحوار يُرمز لبرترند راسل
بالحرف «ر»
و يُرمز ل أف. سي. كوبلستون
بحرف «ك»





Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ك: بما أننا سنناقش وجود الله، قد نحتاج أن نتفق مبدئيًا على ما نقصده بمصطلح «الله». أفترض أننا نعني كائنًا شخصانيًا أعلى يختلف عن العالم وهو خالقه. هل تتفق معي -مبدئيًا على الأقل- على أن نقبل هذه العبارة كتعريف لمصطلح «الله»؟

ر: نعم، أنا أقبل هذا التعريف.

ك: حسنًا، موقفك إيجابي، أي أنني أرى أن هذا الكائن موجودٌ، وأنا قادرون على إثبات وجوده فلسفيًا. ربما عليك أن تبين لي موقفك بين اللاأدرية والإلحاد. أقصد: هل تقول أن عدم وجود الله قابلٌ للإثبات؟
ر: لا، أنا لا أقول ذلك، موقفك هو اللاأدرية.

ك: هل تتفق معي أن مشكلة الله، هي مشكلة في غاية الأهمية؟ مثلًا، هل توافق أن عدم وجود الله، يعني أن ليس للبشرية وللتاريخ البشري أية غاية، ماعدا الغاية التي اختاروها لأنفسهم، وهي الغاية التي يفرضها الأقوياء؟
ر: تقريبًا نعم، مع أنني أفضل أن أرسم بعض الحدود لعبارتك الأخيرة.

ك: هل توافق أن عدم وجود الله -إله واحدٍ أحد- يعني ألا وجود للقيم المطلقة؟ أردت القول، هل توافق أنه في غياب الخير المطلق، ستصبح كل القيم نسبية؟
ر: لا، أعتقد أن هذين السؤالين مختلفين منطقيًا. خذ على سبيل المثال «مبادئ الأخلاق» لـ جي. إي مور، حيث يتمسك بفكرة الاختلاف بين الخير والشر، وبأن كلاً منهما مفهومٌ محدد. لكنه لم يأت بفكرة الله ليدعم بها قناعاته.

ك: حسنًا، أظن أن علينا أن ندع مسألة الخير جانبًا، سنصل إليها عندما نناقش الحجة الأخلاقية، سأبدأ بتقديم الحجة الميتافيزيقية انطلاقًا من حجة لينينز عن «الصدفة» وبعدها قد نناقش الحجة الأخلاقية. هل عليّ أن ألخص الحجة الميتافيزيقية في عبارة حتى نمر لمناقشتها؟
ر: يبدو هذا مخططًا جيدًا بالنسبة لي. الحجة من الصدفة.

ك: حسنًا، بغرض التوضيح سأقسّم الحجة إلى عدّة مراحل. أولًا وقبل كل شيء، عليّ القول، أننا نعلم بوجود بعض الكائنات في العالم على الأقل، والتي لا يد لها في علّة وجودها. على سبيل المثال، أنا أعتمد على والدي والآن على الهواء وعلى الطعام، وما إلى ذلك. ثانيًا، الكون ببساطة هو التجمّع أو الإجمالي الحقيقي أو الخيالي لأشياء منفردة، لا واحد منها يمتلك علّة وجوده من ذاته.



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

لا يوجد أي عالم منفصلٍ عن الأشياء التي تشكّله ما عدا الجنس البشري، وهو شيءٌ مختلفٌ عن بقية العناصر. ومنه أقول بما أن الأشياء والحوادث موجودة، وبما أنه لا وجود لشيءٍ أثبتت التجربة أنه يحتوي علّة وجوده في نفسه، هذه العلّة إجمالي الأشياء، لابد أن تكون علّةً خارجةً عنها. وهذه العلّة لابد أن تكون كائنًا موجودًا. حسنًا، هذا الكائن إمّا أن يكون السبب في وجود ذاته أو لا. إذا كان الكائن سببًا في وجود ذاته، فهذا حسنٌ وجيدٌ وإلا فعلينا المضيّ أبعد من هذا. لكن إذا واصلنا التقدم حتى الأزل، لن نجد أي شرحٍ لسبب الوجود بتاتًا. إذا كان عليّ القول بغرض شرح الوجود فعلينا الوصول إلى كائنٍ يحتوي علّة وجوده من نفسه، أقصد كائنًا لا يستطيع ألا يكون موجودًا.

ر: كلامك هذا يُبرز العديد من النقاط وليس من السهل إطلاقًا معرفة بأيها أبدأ، لكنني أعتقد على الأرجح لإجابة حجتك فإنّ أحسن نقطةٍ عليّ البدء منها هي مسألة واجب الوجود. كلمة «واجب» عليّ الإصرار عليها حيث ليس بالإمكان تطبيقها إلا على القضايا (الفرضيات) في الحقيقة، أستطيع الاعتراف بكائنٍ حتمي الوجود في حالةٍ واحدةٍ وهي إن كان إثبات عدم وجوده يؤدي إلى التناقض. أودّ أن أعرف مدى موافقتك على تقسيم لينييز للقضايا إلى حقائق سببيةٍ وحقائق واقعية. الأولى -الحقائق السببية- هي الحتمية.

ك: حسنًا، من المؤكد أنني لا أرضى بفكرة لينييز عن الحقائق السببية والحقائق الواقعية، لأنه على ما يبدو وبالنسبة له فعلى المدى الطويل لا وجود إلا للقضايا التحليلية؛ ويبدو أنه عند لينييز الحقائق الواقعية في النهاية تُختزل إلى حقائق سببية أو بالأحرى إلى قضايا تحليلية، على الأقل بالنسبة إلى عقلٍ عليمٍ. حسنًا، لم أستطع الموافقة على ذلك لسببٍ واحدٍ وهو كونها ستفشل في تلبية شروط التجربة الحرّة، لا أريد مساندة فلسفة لينييز كاملةً، فقد استعملت حجّته في الانتقال من الصدفة إلى واجب الوجود، مؤسسًا الحجة على مبدأ العلّة الكافية، ببساطة لأنها تبدو لي تشكيلاً مختصرةً وواضحةً برأيي لأساس الحجة الميتافيزيقية عن وجود الله.

ر: لكن بالنسبة لي عقليًا على «القضية الحتمية» أن تكون تحليلية. لا أرى كيف يمكنها أن تعني أي شيءٍ آخر. والقضايا التحليلية تأتي دائمًا معقدةً ومنطقيًا متأخرةً نوعًا ما. «الحيوانات غير العاقلة هي حيوانات» هي قضية تحليلية، لكن قضية مثل «هذا حيوان» لا يمكن أبدًا أن تكون تحليلية. في الواقع، كل القضايا التي بإمكانها أن تكون تحليلية تأتي متأخرةً في مجال تطوير القضايا.

ك: خذ القضية القائلة «إذا كان هناك كائنٌ أتى بالصدفة، فلا بدّ من كائنٍ واجب الوجود». أعتبر أنّ هذه القضية بتعبيرٍ افتراضيٍّ هي قضية حتمية. إذا كنت ستسمّي كلّ قضية حتميةٍ بالقضية التحليلية ولكي - نتفادى الجدل حول المصطلحات- أوافق على أن أسميها تحليلية، مع أنني لا أعتبرها قضية مسلمة. لكن القضية لا تكون تحليلية إلا على فرض أنّ هناك كائنٌ أتى صدفةً؛ أنّ هناك كائنٌ موجودٌ فعلاً يُكتشف عن طريق التجربة، والقضية التي تدّعي وجود



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

كائنٍ ما بالصدفة ليست بالتأكيد تحليلية، مع هذا كما تعلم عليّ التمسك بأنّه في حالة وجود كائنٍ ما بالصدفة، يتبعها حتمية وجود كائنٍ واجب الوجود.

ر: وجه الصعوبة في هذه الحجة يكمن في أنني لا أعتز بفكرة واجب الوجود كما لا أعتز بوجود أيّ معنى لتسمية كائناتٍ أخرى «بالصدفة». هاتان العبارتان ليس لهما أية أهمية بالنسبة لي ما عدا تضمّنهما لمنطقٍ أرفضه.

ك: هل تقصد أنك ترفض هذين المصطلحين لأنّهما لا يتناسبان مع ما يُسمّى بالمنطق الحديث؟

ر: حسنًا، أنا لا أجد لهما أيّ معنى، كلمة «واجب» تبدو لي بدون أيّ دور، إلّا في حال لو طبّقناها على القضايا التحليلية وليس على الأشياء.

ك: في المقام الأول حدّد لي ما تعنيه بالمنطق الحديث؟ على حدّ علمي، هناك العديد من الأنظمة. في المقام الثاني، لا يعترف كل دعاة المنطق الحديث بخلوّ الميتافيزيقيات من المعنى. كلانا يعرف إلى حدّ ما أحد المفكرين المعاصرين الذين يمتلكون علمًا عميقًا بالمنطق الحديث، والذين لا يفكّرون بكل تأكيد أنّ الميتافيزيقيات أو بالأخص أنّ إشكالية الله بلا معنى. أكرّر، حتى لو تمسّك المنطقيون الحداثيون بكون المصطلحات الميتافيزيقية بلا معنى، هذا لا يتبعه أنّهم محقّون. القضية التي تقول أنّ المصطلحات الميتافيزيقية بلا معنى تبدو لي قضيةً مبنيةً على فلسفةٍ افتراضية.

الوضعية الدوغمائية خلفها تبدو كما يلي: ما لا يتماشى مع جهازي فهو غير موجود، أو بلا معنى، هذا تعبيرٌ عن العاطفة. أنا ببساطة أحاول أن أوضح أن أيّ شخصٍ يقول بأنّ أيّا من المناهج المنطقية الحديثة هو المقياس الحديث للمعنى، فهو يقول شيئًا غايةً في الدوغمائية، إنه يصرّ بدوغمائية أنّ جزءًا من الفلسفة هو الفلسفة كلّها، فبعد كل شيء فإنّ الكائن الذي جاء «بالصدفة» هو كائنٌ لا يمتلك علّة وجوده كاملةً من ذاته وهذا ما قصدته.

أنت تعلم -كما أعلم- أنّ وجود أي شخصٍ منا لا يمكن شرحه بدون الرجوع لشيءٍ أوجد خارج عنا كوالدينا مثلًا. «واجب» الوجود، من جهة ثانية، تعني كائنًا لا يستطيع ألا يكون موجودًا. بإمكانك القول أنه لا وجود لهذا الكائن، لكنك ستجد صعوبةً في إقناعي بأنك لا تفهم هذه المصطلحات؛ إذا كنت لا تفهمها فكيف لك أن تخوّل نفسك بالقول أنّ هذا الكائن غير موجود، إذا كان هذا ما تقوله؟

ر: حسنًا، هناك نقاطٌ هنا لا أقترح أن نمضي فيها بعيدًا. أنا لا أدعي خلوّ الميتافيزيقيا من المعنى كليًا، أنا أتمسك بخلوّ بعض المصطلحات من المعنى -ليس بناءً على قاعدةٍ تعميميةٍ- ولكن ببساطة لأنني لا أجد ترجمةً لتلك المصطلحات تحديدًا. ليست دوغما تعميميةً ولكنها خاصةٌ بأشياءٍ معينة. لكنني سأتغاضى عن تلك النقاط الآن، وسأقول أنّ ما كنت تقوله سيعيدنا كما يبدو لي إلى الحجة الوجودية بأنّ هناك كائنٌ يتضمن جوهر وجوده، وبالتالي فوجوده تحليلي. يبدو لي هذا مستحيلًا وهو يُبرز بالتأكيد مسألة ما المقصود بالوجود، ولهذا لا أعتقد أنّ موضوعًا معينًا لا يمكن أن يُقال عنه

شبكة الملحدين العرب
arab atheist network
arab atheist network



atheist



<https://www.facebook.com/groups/ArbAtheistNW>



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

بدلالة أنه موجودٌ وإما فقط موصوف. وهذا الوجود في الواقع غير ثابتٍ بلا ريب.

ك: حسناً، أنت تقول أعتقد أنه خطأ نحوي أو لفظي أن نقول مثلاً «تي. أس. إلبوت موجود». هل ستقول أن القضية «سبب حدوث العالم موجود» هي بلا معنى؟ ضعها على شكل سؤال: «هل لوجود العالم سبب؟» أو «هل هناك سبب لوجود العالم؟» جلّ الناس سيفهمون بالتأكيد حتى وإن اختلفوا حول الإجابة.

ر: حسناً، من المؤكد أن السؤال «هل هناك سبب لوجود العالم؟» هو سؤالٌ له معنى. لكن إذا قلت: «نعم، الله هو سبب وجود العالم» فأنت تستعمل الله كإسم علم ومنه «الله موجود»، لن تكون عبارة ذات معنى، وهذا هو الموقف الذي أتمسك به لأنه بناءً على ذلك سيتبع أنها لا يمكن أن تكون قضيةً تحليليةً أبداً أن تقول بأن هذا وذاك موجود. على سبيل المثال، لنفترض أنك تتخذ موضوعاً «الكائن الدائري المربع» سوف تبدو قضيةً تحليليةً بأن: «الكائن الدائري المربع موجود»، لكنّه غير موجود.

ك: لا، لا يوجد، إذاً من المؤكد أنك لا تستطيع القول بأنه غير موجودٍ إلا إذا كان لك مفهومٌ لماهية الوجود. لأنه بالنسبة للعبارة «الكائن المربع الدائري» فعليّ القول بأنها خاليةٌ من المعنى تماماً.

ر: أوافقك تماماً. لهذا عليّ أن أقول نفس الشيء في سياقٍ آخر عند الرجوع «لواجب الوجود».

ك: حسناً، يبدو أننا وصلنا إلى طريقٍ مقطوع. القول بأن واجب الوجود هو كائنٌ موجودٌ بالضرورة ولا يستطيع ألا يكون موجوداً هي عبارةٌ لها معنىٌ محددٌ بالنسبة لي. بالنسبة لك هي خاليةٌ من المعنى.

ر: حسناً، يمكننا أن نعصر هذه النقطة قليلاً بعد -على ما أعتقد- كائنٌ واجب الوجود، ولا يستطيع ألا يكون موجوداً، من المؤكد، بالنسبة لك أن جوهره يتضمن الوجود.

ك: نعم، كائنٌ جوهره أن يكون موجوداً. لكن عليّ ألا أقرّ بوجود الله انطلاقاً من فكرة جوهره. لأنني لا أعتقد أن لدينا حدسٌ واضحٌ عن جوهر الله بعد. أعتقد أنه علينا أن نتحاجج انطلاقاً من عالم التجربة وصولاً إلى الله.

ر: نعم، من المؤكد لو أن أيّ أحدٍ رأى الله فسيقول بأن الله واجب الوجود.



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ر: وبهذا أنا أقصد أن هناك كائنٌ يتضمن جوهر وجوده، مع أننا نجهل هذا الجوهر فكل ما نعرفه أن هذا الكائن موجود.

ك: نعم، عليّ الإضافة أننا لا ندرك هذا الجوهر بشكلٍ مسبقٍ فهو إدراكٌ بعدي، من خلال تجربتنا في الكون أدركنا وجود هذا الكائن. ثم يحتجّ أحدنا أن الجوهر والوجود يجب أن يكونا متطابقين، لأنه إن لم يتطابق جوهر الله ووجوده، فعلينا إذاً إيجاد علةٍ كافيةٍ لهذا الوجود بعيداً عن الله.

ر: إذاً فالمسألة كلها تدور حول هذه العلة الكافية، عليّ القول بأنك لم تعرّف «العلة الكافية» بطريقةٍ يمكنني فهمها. مالذي تعنيه بالعلة الكافية؟ هل تقصد السبب؟

ك: ليس بالضرورة. السبب هو نوعٌ من العلة الكافية، وليس سبباً لنفسه. المعنى الكلي المقصود من العلة الكافية هو تقديم شرحٍ مناسبٍ لوجود كائنٍ معيّن.

ر: متى نقول عن شرحٍ ما أنه مناسب؟ لنفترض أنني بصدد إيقاد شعلةٍ من عود ثقاب. بإمكانك القول أن الشرح المناسب لهذا هو أنني حككت العود بعلبة الثقاب.

ك: حسناً، لأغراضٍ عمليةٍ لكن نظرياً هذا الشرح جزئي. على الشرح المناسب أن يكون بالنهاية شرحاً تاماً ولا يحتمل الزيادة.

ر: عليّ القول إذاً أنك تبحث عن شيءٍ لا يمكن نيله، وعلى الواحد منا ألا يتوقّع نيله يوماً.
ك: أن نقول ألا أحد وجده شيء، وأن نقول أنه علينا ألا نكلّف أنفسنا عناء البحث عنه شيءٍ آخر تماماً وهذا يبدو لي دوغمائياً.

ر: حسناً، لا أعلم، أقصد أن شرح شيءٍ معيّن يكون بذكر شيءٍ آخر. والذي يجعل هذا الشيء الآخر يعتمد كذلك في شرحه على شيءٍ آخر، عليك أن تستوعب هذا المخطط السيء للأشياء بأكمله، لتصل إلى ما تصبو إليه، وهذا أمرٌ لا نستطيعه.



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ك لكن هل تستطيع القول بأننا لا نستطيع، أو من الواجب ألا نطرح السؤال عن وجود كل هذا المخطط السيء للأشياء- عن وجود الكون بأكمله؟

ر: نعم، لا أعتقد أن هناك معنى لكل هذا. أعتقد أن كلمة «الكون» كلمة مفيدة ق لربط بعض المفاهيم، لكنني لا أعتقد أنها ترمز لأي شيء ذو معنى.

ك: إذا كانت الكلمة بلا معنى، فلا يمكنها أن تكون مفيدة لهذا الحد، أنا لا أقول أن الكون هو شيء منفصل عن مكوناته (لقد ذكرت ذلك أثناء محاولتي لتلخيص الحجّة الميتافيزيقية)، ما أحاول فعله هو البحث عن العلة، في هذه الحالة السبب في وجود الأشياء-مجموع أو إجمالي الأشياء الحقيقية أو الخيالية التي تشكّل ما نسميه الكون- أنت تقول: أعتقد أن الكون؛ أو «وجودي» -إذا كنت تفضل هذه العبارة- أو أي وجود آخر غامض؟

ر: أولاً، هل يمكنني تقبل فكرة أن كلمة ما لا معنى لها لكنها قد تكون مفيدة. يبدو هذا جيداً لكنه غير صحيح. خذ مثلاً كلمة «ال» أو «ب». لا يمكنك أن تشير إلى أي شيء يحمل معنى هذه الكلمات، لكنها كلمات سهلة ومفيدة للاستعمال، عليّ أن أقول نفس الكلام عن لفظ «الكون». فلنترك هذه النقطة، أنت تسأل إذا ما كنت أعتبر الكون غامضاً. لا أودّ القول غامضاً؛ أعتقد أنه غير قابل للشرح. الواضح في ذهني شيء آخر، الواضح والمفهوم هو مفهوم في حد ذاته دون ربطه بغيره.

ك: حسناً، وجهة نظري تقول أن ما نسميه بالعالم هو غامض في حد ذاته، بغض النظر عن وجود الله. أرايت؟ أنا لا أعتقد أن سلسلة الأحداث اللامتناهية -أقصد سلسلة أفقية- إذا أثبتنا وجود هذه اللانهاية، فسيكون ذلك من درجات الارتباط بالوضعية المناقشة. إذا قمت بتجميع قطع الشوكولاتة فستحصل على الشوكولاتة بالنهاية وليس خروفاً. إذا جمعت الشوكولاتة مع اللانهاية، من المحتمل أن تحصل على عدد لا متناه من قطع الشوكولاتة. إذاً، إذا أضفت كائنات بالصدفة إلى ما لا نهاية فستحصل أيضاً على كائنات أنت بالصدفة، وليس على كائن واجب الوجود. سلسلة لا متناهية من الكائنات الصدفية ستتكوّن على حسب تفكيري، غير قادرة على أن تثبت نفسها تماماً كما لا يستطيع ذلك أي كائن واحد جاء صدفةً. ومع هذا أنت تقول -على ما أعتقد- أنه من غير المشروع طرح السؤال عن كيفية شرح وجود أي شيء معيّن؟

ر: هذا صحيح تماماً إذا كنت تقصد بشرحه، إيجاد سببٍ له.

ك: حسناً، لماذا نتوقّف عند شيء معيّن؟ لماذا لا يجب على أحدنا أن يطرح تساؤلاتٍ عن سبب وجود كل الأشياء المعيّنة؟



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ر: لأنني لا أرى أيّ علةٍ تقول أنّه يوجد أيّ سببٍ. مفهوم السببية عمومًا مفهومٌ نستحضره من ملاحظتنا للأشياء المحدّدة، لا أرى أيّة غايةٍ من أي نوعٍ لتوقّع أنّ هناك سببٌ من أيّ نوعٍ لكل شيءٍ. حسنًا، أن تقول ألا وجود لأي سببٍ ليس كما تقول لا يجب علينا البحث عن أي سبب. العبارة القائلة بأنه لا وجود لأي سببٍ يجب أن تأتي، في حال أتينا بها في آخر البحث وليس في أوّله. على أيّة حال، إذا كان الكلّ لا سبب له ففي تفكيري لا بدّ أنه مسبّب ذاته، مما يبدو لي مستحيلًا. إضافةً إلى ذلك، العبارة القائلة أنّ العالم موجودٌ كجوابٍ بسيطٍ على سؤالٍ تفترض مقدّمًا أنّ السؤال له معنى.

ر: لا، لا يحتاج لأن يكون مسببًا ذاته، ما أقوله هو أنّ مفهوم السببية لا ينطبق على الكل.

ك: إذا فأنت تتفق مع سارتر في أنّ الكون هو ما يسمّيه بـ«مجاني»؟

ر: حسنًا، كلمة «مجاني» قد توحي بأنه شيءٌ آخر، أوّد القول أنّ الكون موجودٌ ببساطة، وهذا كل شيءٍ. ك: حسنًا، لا أستطيع استيعاب كيف تستطيع أن تنفي مشروعية السؤال حول كيف أن الكل أو أي شيءٍ قد حدث. لما ليس شيئًا بدل أي شيءٍ، هذا هو السؤال؟ حقيقةً أننا نكتسب معرفتنا عن السببية تجريبيًا ومن أسبابٍ معيّنة، لا ينفي احتمال أن نتساءل عن السبب لهذه السلسلة. إذا كانت كلمة «سبب» بلا معنى أو إذا كان بالمقدور أن نجعل رؤية كانط للمادّة صحيحةً، سيكون السؤال غير مؤسسٍ أنفق معك، لكنك لا تبدو متمسكًا بأنّ كلمة «سبب» بلا معنى ولا أتوقّع أنّك كانطي.

ر: أستطيع أن أوضح بالأمثلة ما يبدو لي مغالطةً من طرفك. كل رجلٍ موجودٍ له أم، ويبدو لي أنّ حجّتك هي بالضرورة الجنس البشري له أم، لكن بديهياً ليس للجنس البشري أم- هذا مجالٌ منطقيٌّ مختلفٌ.

ك: حسنًا، أنا حقًا لا أرى أيّ تكافؤ. لو كنت أقول: «كل كائنٍ له سببٌ استثنائيٌّ، فإنّ السلسلة كاملةً سيكون لها سببٌ استثنائيٌّ أي سيكون هناك تكافؤ. ولكن أنا لا أقول ذلك؛ ما أقوله هو أنّ كلّ كائنٍ له سببٌ استثنائيٌّ إذا كنت تصرّ على لانهاية السلسلة، ولكن سلسلةً من الأسباب الاستثنائية هو تفسيرٌ غير كافٍ، ولذلك فإنّ السلسلة ليس لديها سببٌ استثنائيٌّ ولكن سببٌ غيبي.



حركة مصر العلمانية

<http://secularegypt.com/>

نحن حركة فكرية مصرية مستقلة، نهتم بشكل أساسي بنشر وتعزيز قيم العلمانية في مصر، لمواجهة الأصولية و الخطاب الواحد في المجتمع المصري، وذلك بشتى طرق وأساليب التوعية من تدشين منتديات نقاشية، حملات توعية، إقامة مؤتمرات وورش عمل، إصدار نشرات إلكترونية و أوراق عمل لتعزيز قيم العلمانية في المجتمع المصري .

<http://www.youtube.com/user/fiberoty?feature=watch>

<https://www.facebook.com/theblackducks>

<https://twitter.com/eskandarany>

برنامج حوارى على اليوتيوب تدعم بعض حلقاته شركة Google، يهدف بالدرجة الأولى إلى إجراء الحوار مع الملحدين واللادينيين المصريين، والمتحدثين منهم للغة العربية من مجتمعاتنا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فكرة وتنفيذ اسماعيل محمد





Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ر: وهذا دائماً على فرض أن أي شيء في العالم، بل العالم كله يستوجب أن يكون له سبب. لا أرى أي أساس لهذا الافتراض. إذا كان لديك أساس سوف أستمع إليه.

ك: حسناً، تسلسل الأحداث إما مسبب أو غير مسبب. إذا كان مسبباً فيجب بديهياً أن يكون المسبب من خارج السلسلة. إذا كان غير مسبب فهذا يعني أنه مكتفٍ بذاته، وإذا كان مكتفياً بذاته فهو ما أسميه واجب الوجود. و لكن لا يمكن أن يكون واجب الوجود لأن كل جزء من أجزاء السلسلة قد جاء صدفة، واتفقنا أن الكل لا يوجد بمعزل عن أجزائه، وبهذا لا يمكن أن يكون واجب الوجود. وبالتالي، لا يمكن أن يكون غير مسبب، إذًا يجب أن يكون له سبب. وأود أن أنوه أثناء مروري بكل هذا بأن عبارة «العالم موجود هكذا ببساطة، ولا يمكن تفسيره» لا يمكن فهمها خارج إطار التحليل المنطقي.

ر: لا أريد أن أبدو متغطرساً، لكن يبدو لي أنني أستطيع تصوّر الأشياء التي تقول أن العقل البشري لا يستطيع تصوّرها. أما بالنسبة للأشياء التي لا مسبب لوجودها، فعلماء الفيزياء مثلاً يؤكدون لنا أن تحولات الكم الفردية التي تحدث على مستوى الذرة ليس لها أي سبب.

ك: حسناً، أتساءل الآن ما إذا كان هذا مجرد استنتاج مؤقت.
ر: قد يكون، ولكنه يبين أن عقول الفيزيائيين تستطيع تصوّر ذلك.

ك: نعم أوافق، بعض العلماء -الفيزيائيين- على استعدادٍ للقبول باللانهائية ضمن مجالاتٍ محدّدة. ولكن العديد من العلماء ليسوا على استعدادٍ لذلك. أعتقد أن البروفيسور دينغر من جامعة لندن، يتفق على أن مبدأ الشك لهايزنبرغ يخبرنا شيئاً عن مدى نجاح أو فشل النظرية الذرية الحالية في ربط الملاحظات، ولكن ليس عن الطبيعة في حدّ ذاتها، والعديد من الفيزيائيين يقبلون وجهة النظر هذه. في كل الحالات، أنا لا أرى كيف يستطيع الفيزيائيون ألا يقبلوا هذه النظرية في الممارسة العملية، بينما يقبلونها من الناحية النظرية. لا أستطيع أن أرى كيف يمكن تطبيق العلم على أية فرضية عدا فرضية النظام والوضوح الموجودان في الطبيعة. يفترض الفيزيائي سلفاً -على الأقل ضمناً- أنه من المنطقي دراسة الطبيعة والبحث عن أسباب الحوادث فيها، تماماً كما يفترض المحقق أنه من المنطقيّ البحث عن سببٍ لجريمة قتل. والميتافيزيقي يفترض أن هناك مغزى من البحث عن العلة أو المسبب للظواهر، وليس محاولةً لاتباع مذهب كانط، ولكنني أعتبر أن الميتافيزيقي محقٌّ في افتراضاته تماماً مثل الفيزيائي. عندما يقول سارتر على سبيل المثال «أنّ العالم لا سبب له»، أعتقد أنه لم يأخذ بعين الاعتبار ما تنطوي عليه كلمة «لا سبب له» بما فيه الكفاية.



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ر: أعتقد، يبدو لي أنّ هناك امتداداً لا مبرر له هنا. عالم الفيزياء يبحث عن الأسباب. هذا لا يعني بالضرورة أن هناك أسباباً في كل مكان. يجوز للرجل أن يبحث عن الذهب لكن دون الافتراض أن هناك ذهباً في كل مكان. إذا وُجد الذهب فهذا جيد، وإذا لم يوجد فهذا سوء حظ. نفس الشيء عندما يبحث علماء الفيزياء عن الأسباب. بالنسبة لسارتر، ليست مهنتي أن أعرف ما يعنيه، ولا يجب الاعتقاد أنني أترجم عنه، ولكن من جهتي فلا أعتقد أنّ وجود تفسيرٍ للعالم هو مفهومٌ خاطئ. لا أرى لماذا ينبغي أن يُتوقَّع من أحدٍ أن يكون لديه هذا التفسير، وأعتقد أنّ ما تقوله عمّا يفترضه العالمُ مُبالغٌ فيه.

ك: حسناً، يبدو لي أن العالم ينشئ هذه الافتراضات عندما يُجري التجارب لمعرفة حقيقةٍ معينة، وراء هذه التجارب تكمن الفرضية القائلة أنّ الكون ليس منقطعاً ببساطة. هناك إمكانيةٌ لمعرفة الحقيقة من خلال التجربة. التجربة قد تكون سيئةً لمرةٍ ولا تؤدي إلى أية نتيجة، أو على الأقل لا تعطي النتائج المرجوة، ولكن مهما كانت نسبة هذا الاحتمال، تبقى إمكانيةٌ لمعرفة الحقيقة التي افترضها من خلال التجربة. في هذه الحالة، هي فرضية أنّ الكون يخضع للنظام والوضوح.

ر: أعتقد أنك تعمّم أكثر ممّا ينبغي. لا شك أنّ العالم يفترض أن هذا النوع من الأشياء موجودٌ ومن المرجح أن يتم إيجاده، ولكنّه لا يفترض أنّه سيجده حتماً، وهذا أمرٌ مهمٌ جداً في الفيزياء الحديثة.

ك: حسناً، أعتقد أنه يفترض أو مُلزمٌ بالافتراض ضمناً أثناء الممارسة العملية. قد يكون ذلك كما عبّر عنه البروفيسور هالدين: «عندما أشعل الغاز تحت الإناء، بعضٌ من جزيئات الماء سوف تطير كالبخار، وليس هناك طريقةٌ لمعرفة أيّها التي سوف تفعل ذلك»، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن فكرة الحظ هي التفسير الذي يجب تقديمه، لأنها فكرةٌ مرتبطةٌ بحدود معارفنا.

ر: لا الفكرة لا تفسّر ذلك، على الأقل إذا جاز لي أن أصدّق ما يقول. هو يجد الكثير من الأشياء، العالم يكتشف الكثير من الأشياء التي تحدث في العالم، والتي هي أولاً بداياتٌ لسلاسل السببية، الأسباب الأولى التي ليس لديها في حدّ ذاتها أسبابٌ. هو لا يفترض أن لكل شيءٍ سبب.

ك: من المؤكد أن هذا هو السبب الأول في أيّ مجالٍ معينٍ، إنّه نسبياً السبب الأول.
ر: لا أعتقد أنه قد يقول ذلك. إذا كنا في عالمٍ معظم أحداثه ولكن ليس كلها لها أسبابٌ، عندها سيكون قادراً على شرح الاحتمالات والشكوك بافتراض أنّ الحدث الذي تهتم به يقبل وجود سببٍ وراءه. وبما أنّك لن تحصل على أكثر من



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

احتمالٍ في كلِّ الحالات، فهذا جيدٌ كفاية.

ك: من المحتمل أن العالم لا يأمل في الحصول على أكثر من احتمال، ولكن مع طرح السؤال هو يفترض أن السؤال عن سبب وجود الكون له معنى. ولكن موقفك عمومًا لورد راسل، هو أنه لا يجوز حتى طرح السؤال عن سبب وجود العالم؟
ر: نعم، هذا هو موقفي.

ك: إذا كان السؤال بالنسبة لك ليس له معنى، فبالطبع من الصعب جدًا مناقشته، أليس كذلك؟
ر: نعم، ذلك صعبٌ جد. ما رأيك أن تنتقل إلى مسائل الأخرى؟

التجربة الدينية

ك: لننتقل. حسنًا، ربما سأقول كلمةً عن التجربة الدينية، وبعد ذلك يمكننا أن نذهب إلى التجربة الأخلاقية. أنا لا أعتبر التجربة الدينية دليلًا صارمًا على وجود الله، ولهذا فإن طابع المناقشة قد يتغير إلى حد ما، ولكنني أعتقد أن أفضل تفسيرٍ للتجربة الدينية هو وجود الله. من خلال التجربة الدينية لا أقصد مجرد مشاعر جميلة، بل أعني وعيًا محببًا وغامضًا بوجود أشياء لا تُقاوم تبدو لصاحب التجربة أنها تسمو به وتتجاوز ذاته، أشياء تتجاوز كافة أنواع التجارب العادية، أشياء لا يمكن تصويرها أو شرحها، ولكنها تنبع من واقعٍ يستحيل أن يخامره أدنى شك، على الأقل خلال التجربة ذاتها. أود القول بأنه من الصعب شرحها شرحًا مناسبًا في ظل وجود تأثيراتٍ شخصية. على كل حال أسهل تفسيرٍ للواقع الأساسي لهذه التجربة هو افتراض وجود سببٍ موضوعي وراءها.

ر: أود الرد على ذلك الجزء من الحوار الذي يعتبر الحجّة الدينية كلها تنتقل من حالتنا الذهنية إلى شيء خارج عن نطاقنا، إنها مسألة مخادعة للغاية. حتى عندما اعترفنا جميعًا بصلاحياتها أحسننا بوجود مبررٍ لذلك، أعتقد أن المبرر هو إجماع البشرية. إذا كان هناك حشدٌ من الناس في غرفةٍ وهناك ساعةٌ في تلك الغرفة، وكلهم يستطيعون رؤية الساعة من الوجه الذي يجعلهم جميعًا يميلون للاعتقاد أنها ليست هلوسة، في حين أن التجارب الدينية تميل إلى أن تكون خاصةً جدًا.

ك: نعم، هي كذلك. أنا أتحدّث هنا عن التجربة الروحانية المحضة، وهذا بالتأكيد لا يشمل، بالمناسبة، ما يُسمى بالرؤى. أعني التجربة ببساطة، وأنا أعتقد تمامًا أن تعريفها غير ممكن، خصوصًا الكائن الغيبي أو ما يبدو أنه كائنٌ غيبي. أتذكر

فلسفة الدين



Hasna Nina Khaled

جوليان هكسلي في محاضرة قائلاً: أن التجربة الدينية، أو التجربة الروحانية، هي تجربةٌ حقيقيةٌ بقدر ما هو حقيقيُّ الشُّعور بالوقوع في الحب أو الشعور بتقدير الشعر والفن. حسنًا، أعتقد أننا عندما نقدّر الشعر والفن فنحن بصدد الإعجاب بقصائد بعينها، أو بقطعةٍ فنيّةٍ محدّدةٍ.

عندما نقع في الحب، حسنًا، نحن نقع في حب شخصٍ معيّن وليس مع المجهول.

ر: هل لي أن أقطعك للحظةٍ هنا. ليس الأمر كما تصف دائماً، فالروائيون اليابانيون لا يعتبرون أبداً أنهم حققوا أيّ نجاحٍ ما لم يقدّم عددٌ كبيرٌ من الأشخاص الحقيقيين بالانتحار في سبيل حبّهم لبطلّة الرواية الوهميّة.

ك: حسنًا، يجب أن آخذ منك الكلمة حول ما يجري في اليابان. أنا لم انتحر، أنا سعيدٌ لقول هذا، لكنني اتّخذت قراراتٍ مهمّين في حياتي انطلاقاً من تأثري الشديد بسيرتين ذاتيتين كنت قد قرأتها. ومع ذلك، أنا أرى وجه التشابه قليلٌ جداً بين تأثير تلك الكتب عليّ وبين تأثير التجربة الروحية الخالصة. لقد الآن هذه هي الفكرة التي تمكّن شخصٌ خارجٌ عن التجربة من تحصيلها.

ر: حسنًا، أعني أننا لن ننظر إلى الله من نفس المستوى الذي ننظر به لشخصيّةٍ من نسج الخيال. هل تعترف بوجود فرقٍ هنا؟

ك: هذا مؤكّد. ولكن أودّ القول أنّ أفضل تفسيرٍ يبدو ذلك الخالي تمامًا من الموضوعيّة، وبالطبع الشرح غير الموضوعي ممكنٌ في حالة بعض الناس ذوي العلاقة الضعيفة بين التجربة والحياة، وفي حالة الناس المخادعين والمهلوسين، وهلمّ جرّاً. ولكن عندما تحصل على ما يمكننا أن نسميه نوعٌ نقيّ، كما يسمّيه القديس فرنسيس الأسيزي، عندما تحصل على تجربةٍ تنتج فيضاً من الحب الديناميكي المبدع. أحسن تفسيرٍ لهذه التجربة هو وجود سببٍ موضوعيٍ حقيقي.

ر: حسنًا، أنا لا أجادل بطريقةٍ دغمائيّةٍ ألا وجود لله. ما أناقشه هو أننا لا نعرف أنه موجود. أنا لا يمكنني أن آخذ بعين الاعتبار إلا ما هو مسجل، وأنا أجد أن سجلاتٍ أخرى وأشياء كثيرة جداً قد تمّ تبليغها، وأنا واثقٌ من أنك لن تقبل أشياء حول الجن والشياطين وما إلى ذلك، خصوصاً أنه قد تمّ تسجيلهم تمامًا بنفس درجة اليقين وبنفس الاقتناع. والروحاني، في حال كانت رؤيته صادقة، يمكنه القول أنه يعلم بوجود الشياطين. لكنني لا أعرف إن كانت الشياطين موجودةً حقاً.

ك: لكن المؤكّد في حالة الشياطين، هناك أشخاص يتحدّثون أساساً عن الرؤى والمكشوف والملائكة أو الجن وما إلى ذلك. أودّ أن أستبعد المكشوف البصرية، لأنني أعتقد أنها تُفسّر بمنأى عن وجود هذا الكائن الذي من المفترض أنه قد شوهد. ر: ولكن ألا تظن أن هناك حالاتٌ وفيرةٌ مسجلةٌ عن أشخاصٍ يعتقدون أنهم قد سمعوا الشيطان يخاطب قلوبهم، وبنفس الطريقة التي يؤكّد بها الروحاني مخاطبة الله، وأنا لا أتحدّث الآن عن رؤيةٍ خارجيّةٍ، أنا أتحدّث عن تجربةٍ ذهنيّةٍ بحتة. و يبدو أنها من نفس نوع تجربة الروحاني مع الله، وأنا لا أسعى إلى ما يخبرنا به الروحاني عن إمكانيّة الحصول على آيةٍ عبارةٍ في سبيل الله ليست مساويةً لعبارة الشيطان.



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ك: أتفق معك طبعًا، أن هناك أشخاص تخيلوا أو فكروا أنهم سمعوا أو رأوا الشيطان. وليس لدي أية رغبة في المرور إلى إنكار وجود الشيطان لكني لا أعتقد أن الناس يدعون أنهم اختبروا الشيطان بنفس الدقة الذي يدعي الروحانيون أنهم اختبروا بها الله. لنأخذ حالة غير المسيحي أفلاطون مثلًا، قال أنه يعترف باختبار شيء لا يمكن وصفه، كائن من الحب، وبهذا ليس كائنًا يسبب الرعب والاشمئزاز. وتأثير تلك التجربة أو بالأحرى صحة تلك التجربة، قد أنجبت سجلات حياة أفلاطون. على كل حال من المعقول أن نفترض أنه مرّ بتلك التجربة إذا كنا على استعداد لقبول السجلات التي تروي عن طيبة أفلاطون وإحسانه.

ر: واقع أن الإيمان له تأثير أخلاقي جيد على البشر لا يشكّل دليلًا بأية حال من الأحوال على كونه حقيقة. ك: لا، ولكن إذا أمكن فعلاً إثبات أن الإيمان كان في الواقع مسؤولاً عن تأثير جيد على حياة البشر، أودّ أن أعتبر هذا فرضيةً لصالح الحقيقة. على أية حال، هذا الجزء الإيجابي من الإيمان ليس دليلًا على فعالية الإيمان ككل. ولكني أستخدم هذه الخاصية من الحياة كدليل على صحة وعقلانية الإيمان بدل أن أستخدمها دليلًا على صدق معتقدات الروحانيين.

ر: لكن حتى هذا لا أجده دليلًا أبدًا. لقد عشت تجارب غيرت شخصيتي بعمق، وظننت حينها أنها تغيرت للأفضل. كانت تلك التجارب مهمة ولكنها لا تعني وجود كيان خارج عني، ولا أعتقد أنني حتى لو فكرت أنها حدثت بفعل كيان خارج عني، فواقع أن تأثيرها نافع ليس دليلًا على كوني مُحق. ك: لا، لكني أعتقد أن التأثير الجيد سيشهد على صدق وصفك لتجربتك. رجاءً تذكر أنني لا أقول أن ادعاءات الروحاني بالتواصل الروحي يجب أن تكون بمنأى عن النقاش أو النقد.

ر: بديهيًا، أخلاق أي شاب قد تتأثر إيجابيًا بشكل كبير بما يقرأه عن عظيم من عظماء التاريخ، ويحدث أن يكون الرجل أسطورة لا وجود لها في أرض الواقع، لكن الشاب متأثر به كما لو كان موجودًا. أمثال هذا الشاب موجودون بكثرة. في حياة «بلوتارخ» يأخذ «يكورغوس» كمثال، والذي بالتأكيد لم يكن موجودًا، ولكنك قد تتأثر بشدة خلال قراءة تك عن «يكورغوس» تحت الانطباع أنه كان موجودًا في السابق. عندئذ أنت متأثر بكائن أحبته، ولكن ذلك كائن لم يكون موجودًا يومًا.

ك: أتفق معك على هذا، طبعًا من الممكن أن يتأثر الإنسان بشخصية من نسج الخيال. دون أن أذهب للتساؤل عما أثر به تحديدًا (علي القول أنها أحد القيم السامية) وأعتقد أن حالة هذا الشاب والروحاني مختلفتان. بالنهاية الشاب المتأثر بـ «يكورغوس» لم يعيش الانطباع الذي لا يقاوم بأن تجربته هي الحقيقة المطلقة.



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ر: لا أظنك قد فهمت وجهة نظري حول هذه الشخصيات التاريخية، هذه الشخصيات الغير موجودة في التاريخ الحقيقي. أنا لا افترض ما تسميه تأثيرها على العقل. بل افترض أن الشاب قرأ عن هذا الشخص وصدق أنه حقيقي وأحبه، وهو أمر يحدث عادةً، ومع ذلك تلك المحبة وهمية فهو يحب شعبًا.
ك: بمعنى آخر هو يحب شعبًا، هذا صحيح تمامًا، لكن المعنى الذي أقصده أنه يحب «س» أو «ع» الذي لا وجود له. ولكن في نفس الوقت -كما أعتقد- ذلك الشاب يحب شعبًا، يتصوره كقيمة حقيقية، كفكرة يدرك قيمتها ووجودها بشكل موضوعي، وهذا ما يثير حبه.

ر: حسنًا، هذا يدور في نفس مجال ومعنى الشخصيات الأدبية الخيالية التي تحدثنا عنها.
ك: نعم، بالأحرى الشاب يحب شعبًا. ولكن بمعنى آخر هو يحب القيمة العليا التي يمثلها.
الحجة الأخلاقية:

ر: ولكن ألسن الآن نقول بالتأثير؟ أي أعني بالله كل ما هو خير، وبهذا عندما يحب ذلك الشخص أي شيء خير فإنه يحب الله. أليس هذا ما تقوله، لأنه إذا كان كذلك، فهذا يحتاج بعض الجدل.
ك: أنا لا أقول هذا، بأن الله هو قسم من أو هو كل ما هو خير بالمعنى الربوبي، أنا لست ربوبيًا، ولكن أعتقد أن كل خير هو انعكاس لله بطريقة ما وهو آت منه، وبهذا فالشخص الذي يحب الخير المطلق يحب الله حتى لو لم يكن يشير لله. مع هذا مازلت أوافق على أن صحة هذا التفسير لسلوك الشاب يعتمد على الاعتراف بوجود الله، بديهيًا.

ر: نعم، وهذه وجهة نظر تحتاج إلى إثبات.
ك: نعم إلى حد ما، ولكن أنا أرى أن الحجة الميتافيزيقية تثبت هذا، لكننا نختلف بهذا الصدد.

ر: رأيت، أشعر أن هناك أشياء جيدة وأخرى سيئة. أنا أحب الأشياء الجيدة، أو التي أعتقد أنها جيدة، وأكره الأشياء التي أعتقد أنها سيئة. لا أقول أن هذه الأشياء جيدة لأنها تساهم في الخير الإلهي.
ك: نعم ولكن ما هو تبريرك للتفريق بين الخير والشر، بعبارة أخرى: هل ترى من فرق بينهما؟

ر: لا أرى من فرق بينهما أكثر مما أرى من فرق بين اللونين الأزرق والأصفر. ما هو مبرر للتفريق بين الأزرق والأصفر؟ أستطيع أن أرى أنهما مختلفان.
ك: حسنًا، هذا مبرر ممتاز، أتفق معك. أنت تفرق بين الأزرق والأصفر عن طريق الرؤية، فما هي الملكة التي تميز بها بين الخير والشر؟



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ر: عن طريق أحاسيسي.

ك: عن طريق أحاسيسك؟ حسنًا، هذا ما كنت أسأل عنه. أنت تفكر في أنّ الخير والشر يعودان ببساطة للإحساس؟

ر: حسنًا، لم يبدو لنا شيئًا ما أصفر اللون بينما يبدو لنا آخر أزرق؟ أستطيع بطريقةٍ أو بأخرى أن أعطي إجابةً على ذلك بفضل علماء الفيزياء. أما بالنسبة لكوني أجد تصرفًا معينًا خيرًا وآخر شريرًا، أرجح أنّ هناك إجابةً ما تشبه الإجابة الأولى لكنها لا تمرّ بنفس السبيل وأنا لا أستطيع إعطاءها لك الآن.

ك: حسنًا، لنأخذ على سبيل المثال تصرف القائد بلسن. يبدو التصرف لكلينا منبؤدًا وشريرًا. أنت تفترض أنّ هذا التصرف بالنسبة لأدولف هتلر يبدو جيدًا ومرغوبًا. أتوقع أنه عليك الاعتراف أنّ هتلر يجده خيرًا وأنت تجده شرًا.
ر: لا، لا يجب أن أذهب بعيدًا لهذا الحد. أقصد أنّ الناس قد يخطئون بخصوص ذلك كما يفعلون مع أشياء أخرى. إذا كنت تعاني من اليرقان فسترى أصفرًا ما ليس بأصفر، هنا أنت ترتكب خطأ.

ك: نعم، يرتكب الواحد منا الأخطاء، لكن هل بإمكانك أن ترتكب خطأً عندما تتعلق المسألة ببساطة بالإحساس أو العاطفة؟ مؤكد أنّ هتلر هو الوحيد الذي يستطيع أن يحكم بما يسرّ عواطفه.
ر: يبدو من الصحيح القول بأنّ ذلك يسرّ مشاعره، لكنك تستطيع أن تقول ذلك إضافةً إلى أشياء أخرى، إذا كان ذلك النوع من التصرفات يوّلد نوعًا من السرور لمشاعر هتلر، فهتلر يوّلد عندي نوعًا مختلفًا من المشاعر.

ك: متشكر، لكن من وجهة نظرك، ألا يوجد معيارٌ موضوعيٌ بعيدًا عن الأحاسيس، لمحاكمة تصرف القائد بلسن؟
ر: ليس أكثر ممّا لدى شخصٍ يعاني من عمى الألوان حين نضعه في وضعٍ مشابهٍ ونسأله أن يحكم على ألوان الأشياء. لماذا نحاكم عقليًا شخصًا يعاني من عمى الألوان؟ أليس لأنه جزءٌ من أقلية؟

ك: سأقول لأنه يفتقر إلى خاصيةٍ طبيعيةٍ من خصائص الإنسان.
ر: نعم، لكن لو كان جزءًا من الأغلبية، لما قلنا ذلك.

ك: إذًا فأنت تقول بأن لا وجود لمعيارٍ خارج الأحاسيس يمكننا من التفريق بين تصرف القائد بلسن وتصرف السيد



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

ستافورد كريس أو أسقف كانتريري.

ر: الأحاسيس بسيطة نوعًا ما. عليك أن تأخذ في الحسبان النتائج المترتبة على الأفعال وإحساسك تجاه تلك النتائج. رأيت؟ ستكون لك حجة بخصوص ذلك إذا استطعت القول أن بعض الأحداث هي من النوع الذي يروقك، وبعضها الآخر من النوع الذي لا يروقك. بعدها تأخذ في الحسبان نتائج الأفعال. يمكنك القول أن نتائج أفعال القائد بلسن كانت مؤلمة وغير مرضية.

ك: من المؤكد أنها كذلك أتفق معك، جد مؤلمة وفضيحة لكل من تواجد في المخيم.
ر: نعم، ليس فقط لمن كانوا في المخيم، حتى من كانوا خارجه تدمروا بخصوص ذلك.

ك: نعم أتخيل أن هذا صحيح، وهذا ما كنت أتحدث عنه. أنا لا أقرّ بهذه التصرفات، وأعلم أنك لا تقرّها كذلك، لكنني لا أرى على أي أساس لا تقرّ بها، بالنهاية بالنسبة للقائد بلسن نفسه فتلك الأفعال كانت سارة.
ر: نعم، كما ترى لا أحتاج إلى أي أساس في هذه الحالة كما احتاجه في حالة إدراك الألوان. هناك أشخاص يعتقدون أن كل شيء أصفر لأنهم يعانون من اليرقان (الاصفرار). وأنا لا أتفق معهم. لا أستطيع أن أثبت لهم أن الأشياء ليست صفراء. ومعظم الناس تتفق معي أن القائد بلسن كان يرتكب الأخطاء.

ك: حسنًا، هل تقبل بوجود أي واجب أخلاقي؟

ر: حسنًا، تلزمني عبارة طويلة للإجابة هنا. عمليًا: نعم. نظريًا سيكون علي أن أعطي تعريفًا للواجب الأخلاقي بحرص شديد.

ك: حسنًا، هل تعتقد أن كلمة واجب تحمل معنى عاطفيًا؟

ر: لا، لا أعتقد ذلك. لأنني كما ترى، كما قلت لك منذ لحظات، على المرء أن يأخذ النتائج في الحسبان. بنظري التصرف السليم هو ذلك الذي قد ينتج عنه أعظم توازن ممكن على مستوى القيم الداخلية مقارنةً بأفعال أخرى قد نرتكبها في ظروف مشابهة، وعليك أن تأخذ بعين الاعتبار كل النتائج التي قد تترتب عن أفعالك أثناء محاولة تقييم ما هو صحيح.

ك: حسنًا، لقد استحضرت مسألة الواجب الأخلاقي لأنني فكّرت أنها قد تقرّبنا من مسألة وجود الله بطريقة ما. الغالبية العظمى من الجنس البشري ستتخذ، وقد اتخذت دائمًا، فروقات بين الصحيح والخطأ. الغالبية الساحقة باعتقادي عندها نوع من الوعي بوجود واجب أخلاقي. برأيي الشخصي، الإجماع على إدراك القيم، والوعي بوجود قانون وواجب أخلاقي يُفسّر على أكمل وجه الفرضية القائلة أن هناك جذور غيبية لهذه القيم ولكاتب هذا القانون الأخلاقي. ما أعنيه

فلسفة الدين



Hasna Nina Khaled

بـ «كاتب القانون الأخلاقي» هو أيّ كاتبٍ اعتباطي. أعتقد أنّ الملحدّين الجدد الذين يحتجّون بعكس رأيي ويقولون «بما أنّ الله غير موجود، إذًا لا وجود لقيمٍ مطلقة ولا لقوانينٍ مطلقة» برأيي هم محقّون. ر: لا تعجبني كلمة مطلق. لا أعتقد بوجود شيءٍ مطلقٍ مهما كان. قانون الأخلاق، على سبيل المثال، يتغيّر باستمرار. في مرحلةٍ معيّنةٍ من تاريخ الجنس البشري، أجمعوا تقريبًا على أنّ أكل لحوم البشر واجبٌ.

ك: حسنًا، لا أرى بأنّ الفروقات على مستوى الأحكام الأخلاقية تصلح لتكون حجةً حاسمةً بشأن عالميّة القانون الأخلاقي. دعنا نفترض للحظةٍ أنّ هناك قيمًا أخلاقيةً مطلقة، حتى في وجود هذه الفرضية من المتوقع أنّ نجد أفرادًا هنا وجماعاتٍ هناك يشكّلون رؤىً مختلفةً لهذه القيم الأخلاقية نفسها. ر: أميل للتفكير بأنّ «الواجب»، الإحساس الذي ينتاب أحدهنا عن «الواجب» هو صدى التلقين الذي نتلقّاه من الوالدين أو الحاضنة.

ك: حسنًا، أتساءل إن كنت تستطيع شرح فكرة الواجب ببساطةٍ بعيدًا عن تلقين الآباء والحاضنات. أنا حقيقةً لا أرى كيف يمكن إيصالها لأيّ شخصٍ بصفةٍ أخرى عدا هذه الطّريقة. يبدو أنّه في حال وجود ضابطٍ أخلاقيٍّ يثقل كاهل الضمير الإنساني، فهذا الضابط الأخلاقي سيكون غامضًا في حال فصله عن وجود الله. ر: حينها عليك أن تقبل واحدةً من اثنتين. إمّا أنّ الله يتحدّث إلى نسبةٍ قليلةٍ من البشر - وأنت واحدٌ منهم - أو أنّه متعمّدًا يلقي بأفكار غير صحيحةٍ في ضمائر المتوحشين من أكلة لحوم البشر.

ك: حسنًا، كما ترى أنا لا أقترح أنّ الله يملي المفاهيم الأخلاقية على الضمائر. تعتمد أفكار الإنسان عن محتوى القانون الأخلاقي كليّةً وإلى حدٍّ كبيرٍ على التعليم والمحيط، وعلى الإنسان أن يستعمل عقله أثناء تقييمه لفعاليّة الأفكار الأخلاقية التي يحتكم إليها مجتمعه. لكن إمكانية انتقاد القانون الأخلاقي المتعارف عليه تفترض ضمنيًا وجود ضابطٍ أخلاقيٍّ مثالي، يفرض نفسه (أعني أنّه من الواضح احتواءه على خاصيّة الجوب). أعتقد أنّ التعرّف على الضابط الأخلاقي المثالي جزءٌ من التعرّف على الصدفة. إنها تؤدي إلى وضع أساسٍ حقيقيٍّ لوجود الله.

ر: لكن بالنسبة لي، لطالما كان ملقّن القانون هما والديّ المرء أو شخصٌ في منزلتهما. هناك العديد من ملقّني الأخلاق الأرضيين لناخذهم بعين الاعتبار، وهذا ما يفسّر كيف أنّ ضمائر الناس تختلف بطريقةٍ مذهلةٍ كلما اختلفت الأماكن والأزمان.

ك: إنها تساعد في تفسير الاختلاف في النظر لبعض القيم الأخلاقية، التي لا يمكن تفسيرها بطريقةٍ أخرى. ستساعد في فهم التغيّرات الطارئة على مادة القانون الأخلاقي، وفي فهم محتوى المفاهيم المقبولة في هذه الأمة أو تلك، وعند هذا الفرد أو ذاك. لكن شكلها ما يسميه كانط بالواجب المطلق، هذا الواجب حقيقةً لا يمكنني رؤية إمكانية توصيله لأيّ شخص عن طريق حاضنةٍ أو والدٍ لأنّه لا وجود لأيّ مصطلحٍ لحدّ الآن يمكننا من شرحه. لا يمكن شرحه إلا بمصطلحه نفسه، لأنك



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

بمجرد أن تحاول تعريفه باستعمال مصطلحاتٍ أخرى، فأنت تبتعد عن شرحه الصحيح. حينها لا يمكن تسميته الواجب الأخلاقي، بل أي شيءٍ آخر.

ر: حسنًا، أعتقد أن الإحساس بالواجب ناجمٌ عن استنكارٍ في مخيلة أحدهم لتصرفٍ ما. قد يكون هذا الاستنكار في مخيلة الله، لكنّه استنكارٌ خياليٌّ بالنهاية. وهذا ما تعنيه كلمة الواجب بالنسبة لي.

ك: تبدو لي تلك التقاليد الخارجية والتابوهات والأشياء من هذا النوع، التي يسهل تفسيرها غالبًا عن طريق التعليم والمحيط، لكن كل ذلك يعود لما أسمّيه بمادّة القانون. فكرة الواجب كما هي لا يمكن إيصالها لإنسانٍ من خلال رئيس القبيلة أو أي شخصٍ آخر، لأنّه لا وجود لمصطلحاتٍ يمكن شرحها بها. هذا رأيي.

ر: لكن لا أجد من سببٍ لقول هذا -كلّنا نعلم بوجود المنبهات الشرطية. نعلم أنّ الحيوان، إذا تمّت معاقبته باستمرار على فعلٍ معيّن بعد مدةٍ سيتركه. لا أعتقد أنّ الحيوان توقف بعد نقاشٍ داخليٍّ مع نفسه. «سيغضب مني سيدي لو فعلت هذا». لديه الإحساس بأنّه ليس الفعل المناسب ليقوم به. هذا ما يمكننا فعله بأنفسنا لا شيئًا أكثر.

ك: لا أرى من سببٍ لتوقّع امتلاك حيوانٍ لوعيٍ بوجود واجبٍ أخلاقي. من المؤكد أننا لا نعتبر الحيوان مسؤولاً عن عصيانه. لكنّ الإنسان يمتلك حسّ الواجب والقيم الأخلاقية. لا أرى من سببٍ لتوقّع أننا قد نخضع كل البشر كما نخضع الحيوان. ولا أتوقّع أنك تريد ذلك حتى لو كان ممكنًا. لو كانت «السلوكيّة» صحيحةً، لما كان هناك أيّ اختلافٍ أخلاقيٍّ موضوعيٍّ بين الامبراطور نيرو والسانت فرانسيس لاسيسي. لا أستطيع منع نفسي لورد راسل من الإحساس أنك تعتبر تصرف القائد بلسن أخلاقيًا مرفوضًا تمامًا، وأنك أنت نفسك تحت أيّ ظرفٍ من الظروف لن تقوم بتصرفٍ مشابه، حتى ولو فكرت أو كان لك حافزٌ للتفكير بأنّ سعادة الجنس البشري قد تزيد عن طريق معاملة بشرٍ آخرين بتلك الطريفة البشعة.

ر: لا، لا يمكن أن أقلد أفعالٍ كلبٍ مسعور. حقيقةً أرى لن أفعل ذلك، لا ترتبط فعليًا بالمسألة التي نحن بصدد مناقشتها. ك: لا، لكن إذا كنت تقدّم شرحًا نفعيًّا للصحيح والخطأ بناءً على النتائج، فبالإمكان الإقرار، وأتوقع أنّ بعض النازيين المخلصين قد أقروا أنه رغم أنّ التصرف بتلك الطريفة مخيبٌ جدًّا، لكنّ الكفة على المدى الطويل ترجّحت لصالح سعادةٍ عظمى. لا أظنك ستوافق على هذا أليس كذلك؟ أظنك ستقرّ بأنّ هذا النوع من الأفعال خطأ في حدّ ذاته، بعيدًا عمّا إذا كانت موازين السعادة عمومًا سترتفع أم لا. أما إذا كنت جاهزًا لقول هذا، أظن أنّك لابدّ أن تمتلك معيارًا ما للأحاسيس بدرجةٍ ما. بالنسبة لي، هذا الاعتراف سيقود بالنهاية للاعتراف بوجود أساسٍ إلهيٍّ للقيم.

ر: أظننا ننغمس في سوء تفاهم. ليس الإحساس المباشر المتعلّق بالفعل هو معياري للحكم، إنّما الإحساس متعلّق



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

بالتناج. وأنا لا أعتزف تحت أيّ ظرفٍ بأنّ نوعاً من الأفعال كالتي أنت بصدد مناقشتها قد تأتي بخير. لا يمكنني تخيل ظروفٍ تتيح لهذه الأفعال أن تأتي بنتيجة مفيدة. وأعتقد أنّ الأشخاص الذين يظنون أنها قد تأتي بخير يخادعون أنفسهم. وفي حال وجدت ظروفٌ تأتي فيها هذه الأفعال بنتائج طيبة، حينها سأكون مجبراً -بتحفّظٍ- أن أقول: «حسنًا، أنا لا أحب هذه التصرفات، ولكنني سأذعن لها»، تمامًا كما أذعن لقانون الجريمة، مع أنني أعارض العقاب بشدّة.

ك:حسنًا، يبدو أنه حان الوقت لألخص موقفي. لقد تحجّجت بحجّتين، أولاً أننا نستطيع إثبات وجود الله فلسفيًا باستعمال حجة ميتافيزيقية. ثانيًا، أنّ وجود الله وحده يعطي معنى لتجارب الإنسان الأخلاقية والدينية. شخصيًا، أعتقد أنّ طريقتك في النظر لأحكام الإنسان الأخلاقية تؤدّي إلى تناقضٍ بين متطلّبات نظريتك وأحكامك العفوية على الأفعال. إضافةً إلى ذلك، نظريتك تفسّر الواجب الأخلاقي منعزلاً، وتفسيره منعزلاً ليس تفسيراً. بالنسبة للحجة الميتافيزيقية، يبدو أننا متفقان على ما أسميناه أنّ العالم يتكوّن ببساطةٍ من كائناتٍ جاءت بالصدفة. أيّ أنه، لا أحد من تلك الكائنات يستطيع أن يعلّل وجوده بنفسه.

أنت تقول بأنّ سلسلة الأحداث لأيّ شرحٍ: أنا أقول، إذا لم يكن هناك من داعٍ لوجود كائنٍ واجب الوجود، ولا يستطيع أن لا يكون موجوداً، فلن يوجد شيء. لا نهائية تسلسل الكائنات الموجودة بالصدفة، حتى وإن تم إثباتها، ستكون غير مناسبة. وجود شيءٍ ما يؤدي بالضرورة لوجود علّةٍ وراء ذلك، كائنٌ خارجٌ عن سلسلة الكائنات الموجودة صدفةً. إذا أقررت بهذا، بإمكاننا بعدها أن نناقش إمكانية أن يكون هذا الكائن شخصانيًا، خيرًا، وما إلى ذلك. وصولاً لهذه النقطة، سواء وُجد هذا الكائن واجب الوجود أم لم يوجد، أجد نفسي أنضمّ في تفكيري إلى الغالبية العظمى من الفلاسفة الكلاسيكيين.

أنت تتمسك، على ما أعتقد، بفكرة أن الكائنات موجودةً هكذا ببساطة، وأنني لا أملك ما يبرّر طرحي لمسألة تفسير وجودها. لكنني أريد أن أنوّه إلى أن هذا الموقف غير مدعومٍ بتحليلٍ منطقيٍّ، إنه يعبر عن فلسفة تحتاج بحدّ ذاتها إلى دليل. أظننا وصلنا لطريقٍ مسدودٍ لأنّ أفكارنا الفلسفية مختلفةٌ جذريًا. يبدو لي أن ما أسميه جزءًا من الفلسفة، تعتبره أنت فلسفةً كاملةً، على الأقل باعتبار عقلانية الفلسفة.

يبدو لي -واعذرني في ما أقول- أنه إضافةً إلى منهجك المنطقي الذي تسميه حديثًا المناقض للمنطق القديم، أنت تعتمد



Hasna Nina Khaled

فلسفة الدين

فلسفة لا يمكن دعمها بتحليلٍ منطقي. بالنهاية، إشكالية وجود الله، إشكالية وجودية بينما لا يتناول المنطق التحليلي قضايا الوجود بشكلٍ مباشرٍ. إذًا، يبدو لي أن أعلن أن المصطلحات المستعملة في مناقشة إشكالية ما بلا معنى لأننا لا نحتاجها عند تناولنا لإشكاليةٍ أخرى، معناه أن عليّ أن أجزم بالبداية ما هي طبيعة الفيلسوف وما درجاتها، وهذا بحد ذاته فعلٌ فلسفي بحاجةٍ إلى تبرير.

ر: حسنًا، أريد أن أقول بعض الكلمات من جهتي كتلخيص. أولًا، في ما يخصّ الحجة الميتافيزيقية: انا لا أعتز بمترادفات لكلمة الصدفة ولا بإمكانية الشرح على نحو الأب كوبلستون. أعتقد أن كلمة صدفة تقترح إمكانية وجود شيءٍ لا يحتوي على ما تسميه أنت بخاصية الحدوث عرضًا هكذا. ولا أظنّه صحيحًا إلا بالمعنى الجوهرى للسببية. بإمكانك أحيانًا أن تعطي تفسيرًا سببيًا لشيءٍ ما بحيث أنه نتيجة حدوث شيءٍ آخر، ولكن هذا مجرد إرجاعٍ لحدوث شيءٍ لشيءٍ آخر. وهذا بظني غير موجودٍ تمامًا في تفسيرات الأب كوبلستون لمعنى أي شيء، كما أنه لا معنى لتسمية أي شيءٍ بأنه جاء صدفةً فقط لأنه لا يمكن إلا أن يكون كذلك.

هذا ما لدي بخصوص ذلك، ولكنني أريد التحدّث قليلًا عن اتّهام حول الأب كوبلستون يقضي بأنّي أتخذ من المنطق الفلسفة كلّها. هذا ليس صحيحًا أبدًا. لا أعتقد أنّ المنطق هو الفلسفة كلّها، وفي هذا أنا وهو متشابهان.

عندما كان المنطق الذي يستعمله جديان خصوصًا في زمن أرسطو، كان هناك الكثير من اللغظ حول ذلك. أرسطو أحدث جلبه كبيرةً بسبب ذلك المنطق. وفي أيامنا هذه أصبح منطقهُ يعتبر أصيلًا ومحترمًا، ولا داعي لإحداث كل ذلك اللغظ حوله. المنطق الذي أوّمن به جديدٌ بالمقارنة، ولهذا عليّ أن أقلد أرسطو في إحداث بعض اللغظ حوله. لكن هذا لا يعني أنني أعتبره الفلسفة كلّها، لا أوافق على هذا. أعتقد أنه جزءٌ من الفلسفة، وعندما أقول هذا لا أجد من معنى لهذه الكلمة أو تلك، من خلال التفكير بذلك. ليس الموقف عامًّا على أنّ كلّ الكلمات المستعملة في الميتافيزيقيا خاليةً من المعنى أو أي شيءٍ من هذا.. أنا لا أفكر هكذا.

فيما يخصّ الحجة الأخلاقية، أجد ذلك عندما يقوم أحدهم بدراسة العلوم الإنسانية أو التاريخ، هناك أشخاصٌ يعتقدون أنّ واجبهم هو إظهار الأفعال البشعة، لكنني بالتأكيد لا أستطيع أن أعزو مادة الواجب الأخلاقي إلى مصدرٍ إلهي مقدسٍ. وهذا ما لم يسألني إياه الأب كوبلستون، لكنني أعتقد أنّ شكل الواجب الأخلاقي، عندما يصبح على شاكلة أن يحظر عليك أكل أبيك أو عدم أكله، لا يبدو نبيلًا ولا جميلًا؛ وبالتالي لا أستطيع أن أعزوه لمصدرٍ إلهي، وأعتقد أنّ الواجب الأخلاقي يمكن اعتباره والنظر إليه من جوانبٍ أخرى.

ماري غزال



ماهية الدين

الدين من وجهة نظر الفلاسفة



ماري غزال

ماهية الدين من وجهة نظر الفلاسفة

يولد الإنسان على فطرة الإلحاد، ثم يكتسب الدين من المحيط الذي يتعرع فيه، فينخرط في القيام بطقوس لا يفهمها، لا علم له بمعناها، في البداية يكون عقله طرياً متعطشاً لمعرفة أسرار الكون فلا يخلو من علامات الاستفهام حول كل الأشياء المحيطة به، لكن يبدأ هذا العقل بالتوقف عن الأسئلة حين يتم تلقيه بمجموعة من المسلمات والمعطيات قد توارثتها الناس عبر العصور كأجوبة لتلك الأسئلة العميقة، فتتلخص هذه الأجوبة في مجموعة من الأفكار والعقائد المرتبطة بما وراء الطبيعة، إذ تعمل على تفسير علاقة البشر بالكون، و تتمحور بدورها في مصطلح الدين

فما الدين؟ هل يتضمن معنى محددًا أم تختلف المعاني والتعريفات حوله؟
لقد استشكلت مجموعة من الفلاسفة الدين من خلال طرحهم مجموعة من الأسئلة، وعلى رأس هؤلاء الفيلسوف (توماس هوبس)

- هوبس: طرح السؤال التالي: هل الدين ظاهرة مشتركة بين جميع المخلوقات أم أنها تخص الإنسان فقط؟ يجيب: بما إن علامات الصلاة والصوم إلخ تظهر الدين، فلا يوجد داعٍ للشك أن بذور الدين لا توجد إلا عند البشر، فالحيوانات لا دين لها وتعود المسألة لعدة أسباب:

السبب الأول: من خصائص الإنسان الثابتة له البحث في الأشياء.

السبب الثاني: الإنسان يرى أن لكل شيء بداية ولكل بداية حكاية، فيبحث عن العلل الأولى، ما يدفعه إلى التدين.
السبب الثالث: الحيوانات لا تتنبأ بالمستقبل، لغياب الملاحظة عكس البشر الذين يلاحظون وقوع الظواهر، وسبب حدوثها، وإن لم يجدوا أسبابًا، فهم يخترعونها.

- سبينوزا: ذهب إلى القول بالدين الشبهي والدين الحقيقي، الأول يكون مبنياً على الخوف والشعوذة، فيصبح الخوف سبب وجود الخرافة ويبقيها ويقويها، والخرافة تعتمد على الحقد والخداع، لأنها غير قائمة على العقل، بل على الانفعال والهوى، فالدين الحقيقي عند سبينوزا يقوم على مبدئين: العدل والإحسان، فأن تكون متديناً فهذا معناه أن تكون عادلاً، لأن الله يدعو إلى العدل، فالإنسان العادل المحسن إنساناً متديناً، وإن لم يكن يصلي.

- كانط رأى في كتابه (الدين في حدود العقل) أن الدين لا يمكن أن يكون خارج أو داخل العقل، إنما في حدوده،

ويفصل كانط بين الدين الشبهي والحقيقي ...

فالأول دينٌ تعبدِيٌّ طقوسيٌّ،

الثاني دينٌ خُلقيٌّ مبني على الأخلاق،



ماري غزال

ماهية الدين من وجهة نظر الفلاسفة

فقلب كانط الدين عن الأخلاق، ورأى أن الأخلاق لا تُبنى على الدين، إنما نابعة من الضمير الإنساني، والدين أوامر أخلاقية، لكن تفسرها ديني، والإنسان الديني عند كانط يبني أخلاقه على الخوف من العقاب، أما الإنسان الأخلاقي يستمع إلى ضمير أخلاقه، فأخلاقه نابعة من داخله.

- شلاير ماخر رأى أن الدين غير متعلّق بالميتافيزيقا، إنّما متعلّق بالمطلق، حين يشعر الإنسان أنه متناهٍ أمام اللامتناهي، هذا يفترض أن الدين تجربةٌ خاصّة، فالدين عند ماخر ليس التقديس الخارجي للنصوص، بل النصّ قد يكون ضريحاً للدين، حيث يتمّ التشبّث بظاهر الدين، والدين عند ماخر لا يمكن اختزاله في الأخلاق أو الميثولوجيا، بل إحساسٌ بالمطلق، وكذلك لا يمكن أن نرى الدين إلا في إطار التعدّد، ومن لا يرى هذا فلا دين له، فالدين ليس من العصبيّة في شيء.

- هيغل: ينتقد هيغل الدين عند شلاير ماخر (عاطفةٌ إحساسٌ وجدانٌ) ويرى في ذلك تغييباً للعقل، فهيجل يمثل جوهر العقلانيّة فإذا تبين لك العالم غير عقلائي، فالعيب فيك لا في العالم، فأنت تسقط إحساسك على العالم، يرى هيغل الدين تعقّل وليس عاطفةً، فينتقد التعلّق عند ماخر.

ويصف هذا التعلّق بموقف الكلب في تعلّقه بمولاه، وهذا لا يليق بالبشر فلا دينٌ دون حريّة، والتعلّق قيدٌ، كذلك يحدّد هيغل الدين من خلال مضمونه، فالنسبة له الدين محتواه هو الله، فهو حديثٌ عن الله، ويجب هيغل عن معنى الله من الناحية العلميّة فهو اسمٌ عامٌّ، كقولنا شجرةً. ويرى في ذلك أن فلسفة الدين دورها تحديد مفهوم الله باعتباره مفهوماً أساسياً في الدين، فعند هيغل الله تاريخٌ فهو بدايةٌ لا نهايةً وهو ليس معطى، بل يتحقّق ويتطوّر ويتجسّد في التاريخ، ويتحقّق في المستقبل والإنسان هو من يحقّقه.

المصادر

- الدين في حدود العقل، إيمانويل كانط، ترجمة فتحي المسكيني
- اللفياتان، توماس هوبس، ترجمة ديانا حرب و بشرى صعب
- رسالة في اللاهوت و السياسة، سبينوزا، ترجمة حسن حنفي

سامي الذيب



مقابلية حوار مع



سامي الذيب في حوار مع.....



فلسطيني مسيحي من مواليد 1949 يعيش في سويسرا حاصل على شهادة الليسانس والدكتوراه في القانون من جامعة فريبورغ في سويسرا، ودبلوم في العلوم السياسية من المعهد الجامعي للدراسات الدولية في جنيف. كان عنوان أطروحة الدكتوراه: «تأثير الدين على النظام القانوني، الحالة في مصر، غير المسلمين في البلدان الإسلامية». عمل كمسؤول عن القانون العربي والإسلامي في المعهد السويسري للقانون المقارن في لوزان من 1 تشرين الثاني - نوفمبر 1980 إلى 31 كانون الأول - ديسمبر 2009.

في أيار - مايو 2009، أنشأ مركز القانون العربي والإسلامي الذي يقدم استشارات قانونية ومحاضرات وترجمات وأبحاثاً ودروساً، في حزيران - يونيو 2009، حصل على التأهيل للإشراف على البحوث (HDR) من جامعة بوردو، وفي شباط - فبراير 2010، حصل على لقب «أستاذ جامعات» من المركز القومي الفرنسي للجامعات. ويدرس الشريعة الإسلامية والقانون العربي في عدة جامعات إيطالية وفرنسية وسويسرية، وألقى مئات المحاضرات في جامعات مختلفة.

له أكثر من 30 كتاباً ومئتي مقال في القانون العربي والإسلامي، وترجم القرآن إلى الفرنسية وستصدر له قريباً ترجمة إيطالية وإنكليزية، ويعدّ طبعة علمية للقرآن بالعربية بالتسلسل التاريخي وفقاً للأزهر بالرسم الكوفي المجرد والعثماني والإملائي، مع إشارة لأسباب النزول والقراءات المختلفة السنية والشيعية والناسخ والمنسوخ ومصادر القرآن ومعاني الكلمات والأخطاء اللغوية والإنشائية. وله أوسع كتاب عن ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين: الجدل الديني والطبي والاجتماعي والقانوني، صدر بالعربية والفرنسية والإنكليزية، وله موقع الكتروني يتضمن أكثر كتاباته، ومدونة غنية تتضمن عرضاً للمقالات اليومية التي تصدر عن الأديان عامة، والإسلام خاصة، وصفحة في الحوار المتمدن.

الحوار المتمدن : www.ahewar.org/m.asp?i=5388



سامي الذيب في حوار مع.....

س-1 هل أغفلنا أي شيء عنك في هذه المقدمة؟

شكراً على المقدمة، وليس لي شيء أضيفه عليها

س-2 ولادة الإنسان في المكان والزمان قد تخطّ الكثير من خطواته في الحياة، وولادتك كانت في فلسطين بعد عام من قيام دولة إسرائيل. كيف كان شكل هذه الحياة في بدايتها، حيث إنك عشت طفولتك قرب جنين، هل تذكر بعض الأحداث والصور من طفولتك في تلك البيئة؟

ولدت عام 1949 في ما كان يُسمّى الأردن في ذلك الوقت، قبل احتلال إسرائيل للضفة الغربية. فلم أكن على علم بما حدث بعد تكون دولة إسرائيل وطرد الفلسطينيين من قراهم وتهديمها. لم تكن لي صلةً باللاجئين الفلسطينيين في ذلك الوقت، إذ كانوا يعيشون في مخيمات. وكنت أدرس في مدرسة حكومية في الصفوف الابتدائية، لكن كانت القضية الفلسطينية مغيبةً تماماً من المناهج التعليمية.

كانت مدرستي خليطاً من طلبة مسلمين ومسيحيين. وكانت العلاقة حميمةً بين المجموعتين. وأذكر أن المسلمين كانوا يأتون إلى بيوت المسيحيين في أعيادنا ليعيدوا عليهم. وكان المسيحيون أيضاً يزورون المسلمين ليعيدوا عليهم. وكانت الدروس الدينية للمسيحيين تعطى ضمن كنائسهم وفقاً لطوائفهم. بينما المسلمون كانوا يدرسون التعليم الديني في المدرسة الحكومية. وفي عمر 11 السنة (عام 1961)، اختارني الكنيسة الكاثوليكية (التي تسمى اللاتينية) لكي اذهب إلى الإكليريكية، وهي مدرسة داخلية في مدينة بيت جالا، قرب بيت لحم. وكنا من قرיתי على ما اذكر أربعة أولاد. والهدف كان إعدادي؛ لأكون رجل دين مسيحي مستقبلاً. ومدّة الدراسة 12 سنة. تنقسم إلى خمس سنين إكليريكية صغرى تتم فيها دراسة منهج تعليمي يتضمّن المواد التعليمية المعتادة من رياضيات وتاريخ وجغرافيا وعلوم، يضاف إليها تعلّم اللغات: العربية والفرنسية والإنكليزية والإيطالية واللاتينية. وبعد النجاح في خمس السنين الأولى ينتقل الطالب إلى الإكليريكية الكبرى، حيث تتم دراسة الفلسفة لثلاث سنين، تتبعها أربع سنين لاهوت. وفي آخر المطاف، يصبح الشخص رجل دين في عمر 22 سنة تقريباً. لكن هذه المدرسة تفصل سنوياً عدداً من الطلاب لعدم ملاءمتهم للكهنة، أو كان بعضهم يتكون المدرسة لأن نظامها لا يصلح لهم. فإذا قبلت المدرسة في السنين الأولى 20 طالباً على سبيل المثال، لا يصل منهم في آخر المطاف إلا اثنان أو ثلاثة طلاب يصبحون كهنةً. نظام هذه المدرسة صارمٌ. فلم يكن يسمح للطلبة زيارة أهلهم إلا مرّةً في السنة بمناسبة عيد الميلاد، وكان الأهل يأتون لزيارة أبنائهم بعض الأوقات.

بقيت في هذه المدرسة فقط أربع سنين. ففي عام 1965 على عيد الميلاد ذهبت لزيارة أهلي، وقد أعطاني رئيس المدرسة رسالةً لكاهن طائفتي. وخلال السفر، فتحت الرسالة وكانت قصيرةً تقول حسب ما أذكر: هذا الولد غير طبيعيٍّ، خلوه في القرية. تفاجأت بشدّة لكنني أعطيت الرسالة للكاهن وأخبرت أهلي أنني طُردت من المدرسة. وكانت أوقات عصيبةً لي جداً. فأهلي فقراءٌ. وكنت الابن الأكبر وكانوا يعولون عليّ لكي أصبح رجل دينٍ. ولا أعرف حتى اليوم لماذا طُردت؟! فقد



سامي الذيب في حوار مع.....

كنت من الأوائل في الدراسة. والمدرسة حرّة في قرارها، ولا يمكن مساءلتها عنه، وخاصةً أنها مجانيةً وتتحمّل كلّ مصاريف الدراسة. وربما أحد أسباب طردني من المدرسة أني كنت كثير النقاش مع رجال الدين ولا أتقبل ما يقولونه بسهولة. وهم بطبيعة الحال يريدون طلبةً يتفقون مع رأيهم.

والمشكلة أن شهادات هذه المدرسة لم تكن معترفاً بها من الحكومة. فرغم مستواها العلمي الرفيع، لم يكن في إمكان من طرد أن يلتحق بمدرسةٍ اعتياديةٍ. والحل الوحيد الذي كان أمامي الذهاب لمدرسةٍ خاصةٍ يديرها الآباء السالزيان في بيت لحم؛ لأتعلّم مهنةً، رغم أنّي لم أكن أرغب في تعلّم مهنةٍ. وكانت المدرسة داخليةً تتضمن دروساً مثل غيرها من المدارس بجانب تعليم المهنة. وبما أنّها مدرسةٌ تتبع هيئةً دينيةً، فقد كانت الصلاة تأخذ حيزاً كبيراً. فكلّ يومٍ كان هناك قداسٌ وغيرها من الطقوس الدينية الإجبارية. وهذا لم يكن يناسبني كثيراً، وخاصةً أنّي طردت من المدرسة السابقة وتألّمت من ذلك كثيراً. لكنني كنت مجبراً على اتباع نظام المدرسة لأنها الخيار الوحيد لديّ. كانت هناك صداماتٌ بيني وبين رجال الدين. فكنّْتُ أذهب إلى الكنيسة، وبدلاً من أن التزم بالطقس الديني، كنّْتُ آخذُ معي كتاباً لأقرأه. وكان رجال الدين يراقبونني. ومرّةً أخذوا مني الكتاب ليمنعوني من القراءة في الكنيسة. هذه إحدى الحوادث.

في عام 1967 نشبت الحرب، فدخل الجيش الإسرائيلي الضفة الغربية واحتلها. وكانت الحرب خاطفةً. ولو دامت مدّةً أطول لعانى الناس مصائب كبيرةً من الجوع والتشرد. وكنّْتُ خلال تلك الحرب في عطلةٍ عند أهلي. وعدت بعد نهاية العطلة إلى مدرستي في بيت لحم قبل أن تبدأ الدراسة بأسبوعٍ. لذلك لم أتمكن من البقاء فيها. فقررت أن أذهب إلى ديرٍ لأقضي بعض الأيام هناك في انتظار بدء الدراسة، كان هذا الدير يدعى دير اللترون. وكنّْتُ قد زرتّه عدة مراتٍ عندما كنّْتُ في المدرسة الإكليريكية التي كانت تأخذنا هناك لعمل قداسٍ يوم الإثنين بعد عيد القيامة بمناسبة لقاء السيد المسيح بتلاميذه في عمواس، حيث توجد آثار كنيسة من القرون الأولى. وكان الدير على مقربةٍ منها. وقبِلَ الدير استضافتي لمدة أسبوعٍ فالتقيت برجل دينٍ دومينيكانيٍّ سويسريٍّ كان يقضي بعض الأيام للصلاة. وقد بقيت معه على اتصالٍ، وكان لهذا الكاهن فضلٌ عليّ لن أنساه أبداً. وسوف أعود له لاحقاً.

خلال إقامتي في دير اللترون أخذني المسؤول إلى قرية عمواس. ففوجئت أن القرية قد تمّ هدمها عن بكرة أبيها مع قرية بيت نوبا ويالو من قبل الجيش الإسرائيلي الذي طرد جميع سكانها؛ لأنه كانت عنده أطماعٌ في تلك المنطقة. بكيت كثيراً عندما رأيت هذه القرية مهدمّةً وخاويةً من أهلها الذين تمّ تشريدهم. ومنهم من مات على الطريق، ومنهم من التحق بمخيماتٍ في الضفة الغربية أو ذهب إلى الأردن. كانت صدمةً كبيرةً لي. وما أصاب تلك القرى الثلاث كان يمكن أن يصيب كلّ المنطقة.



سامي الذيب في حوار مع.....

رجعت إلى مدرستي في بيت لحم وحصلت على شهادة الخياطة هناك عام 1968، ثم رجعت إلى قريتي حيث مارست مهنة الخياطة في مدينة جنين عند خياطٍ هناك. وفي يومٍ من الأيام، اتصل بي رجل الدين في جنين، وطلب مني مقابلة موظف الصليب الأحمر السويسري الذي أعطاني عملاً في مكتب للصليب الأحمر في جنين الذي كان في دير اللاتين في ذلك الوقت. وكان عملي يوماً أو يومين في الأسبوع (لا أتذكر جيداً) ومهمتي كانت مرافقة الموظف السويسري كمتّرجمٍ عند زيارته لعائلات المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية. وقد عملت معه لسنتين.

في الأشهر الأولى من عام 1970 جاءني خبرٌ أن مدرسة الإكليريكية التي كنت قد درستُ فيها وطردتني تمّ الاعتراف بها من الحكومة التي وافقت على معادلة شهاداتها. فذهبت إليها وحصلت فعلاً على شهادةٍ معترفٍ بها تعادل الثالث الإعدادي. وكان بإمكانني مع شهادتي الثانوية الصناعية أن أقدم امتحان دراسةٍ خاصّةٍ للثانوية الحكومية. وسجلت نفسي للامتحان، القسم الأدبي، الذي كان موعده بعد ثلاثة أشهرٍ. فاشترت الكتب المقررة وبدأت بدراستها ليل نهار بينما كنت لا أزال أعمل كخياطٍ ومع الصليب الأحمر الدولي كمتّرجمٍ، ودخلت الامتحان وحققت فيه نجاحاً كبيراً.

س-3 هل ممكن ان تكلمنا عن دراساتك الجامعية في سويسرا؟

قبل حصولي على نتائج الامتحان، كتبت إلى صديقي الكاهن السويسري لأستشيريه إن كانت هناك إمكانيةً للدراسة في سويسرا، وخاصةً أنه لم تكن هناك جامعاتٌ في الضفة الغربية وأهلي لم يكن معهم المال لدفع تكاليف الدراسة خارج الضفة الغربية. فقام صديقي الكاهن بالاتصال بهيئةٍ خيريةٍ تعطي منحاً دراسيةً في مدينة فريبورغ وحصل لي على منحةٍ. وحال حصولي على نتائج الثانوية أرسلتها لجامعة فريبورغ. وتمّ تسجيلي فيها لدراسة العلوم الاقتصادية. إلا أنني اكتشفت أن دراسة الاقتصاد يتطلب معرفةً معمّقةً بالرياضيات باللغة الفرنسية. فقررت أن أنتقل إلى كلية القانون بعد أسبوعٍ من التحاقني بالجامعة. وبما أنني حضرت متأخراً إلى سويسرا وغيّرت الكلية، فضاعت عليّ بعض الدروس.

لكن تبرع أحد رفاقي السويسريين لمساعدتي لأحصل على ما فاتني من دروسٍ. وكان من عائلة مزارعين مثلي. وقد بقيت علاقته معي حتى يومنا هذا. وهو الوحيد الذي ما زال يتصل بي ويزورني رغم مرور السنين. وكنت الوحيد الذي حضر زواجه من بين الطلبة رفاقه. وعندما حصلت على الجنسية السويسرية بعد إقامة 12 سنة في سويسرا، كانت قريته هي التي وافقت على تجنيسي. فوفقاً للنظام السويسري يجب أن تقبل بك قريةً، ثم مقاطعةً ثم الحكومة الفيدرالية حتى تحصل على الجنسية.



سامي الذيب في حوار مع.....

مدّة الدراسة للحصول على الليسانس على الأقل ثلاث سنين ونصف (أي سبع فصول). لكن عامّة كان الطلبة يبقون أربع أو خمس سنين، كان صفي في ذلك الوقت مكوناً من 24 طالباً فقط، بينهم إفريقيان وأنا، الآخرون سويسريون. أنهيت دراستي لليسانس خلال سبعة فصول. كنا فقط اثنان من بين 24، بينما الآخرون أنهوا دراستهم بعدنا. من بينهم صديقي السويسري الذي ساعدني في بداية الدراسة. فقمّت بمساعدته لكي ينهي دراسته. وهكذا قضيت ديني نحوه. وبسبب نجاحي في دراستي في أقصر فترة ممكنة، قرّرت الهيئة المانحة أن تمدّد المنحة لكي أحصل على الدكتوراه. وفعلاً قمت بالتسجيل للدكتوراه، وكان موضوعها: تأثير الدين على النظام القانوني، الحالة في مصر، غير المسلمين في البلدان الإسلامية.

بينما كنت أعدّ لرسالة الدكتوراه، سجّلتُ في المعهد الجامعي للدراسات الدولية في مدينة جنيف لعمل دبلوم في العلوم السياسية. ومن متطلبات الدبلوم كان متابعة الدروس وعمل أربع دراساتٍ قصيرةٍ، منها دراستان مقارنةً بين نظرة ابن خلدون وماركس للتاريخ والمجتمع.

ثم كانت هناك دراسةً مطوّلةً عن حقّ الشعوب في تقرير المصير، وهي دراسةٌ تحليليةٌ للماركسية اللينينية والموقف السوفييتي (276 صفحةً). وقد حصلتُ على أعلى علامةٍ لهذه الدراسة. وقد قمّتُ فيها بقراءة كلّ كتب ماركس ولينين وستالين وغيرهم في مجال هذا الموضوع. وكان سبب اختياري هذا الموضوع معرفة سبب مساندة الاتحاد السوفييتي للقضية الفلسطينية. فكنّْتُ أريد أن أرى كيف يعامل الاتحاد السوفييتي أقليته. واكتشفت الكثير من الأمور التي أدت بعد ذلك إلى تفكك الاتحاد السوفييتي. فلو أنّ الاتحاد السوفييتي نهج منهجاً أكثر عدلاً لما أصابه ما أصابه. هنا نرى نفس الأمر مع الدول العربية التي لا تعامل أقليتها بعدلٍ مع ما نراه من مصائبٍ وحروبٍ طائفيةٍ. فاكتشفت أن مساندة الاتحاد السوفييتي للقضية الفلسطينية لم يكن نابعاً من احترامه لمبدأ حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، لكن لأسبابٍ سياسيةٍ دوليةٍ.

قلت في نفسي في بداية دراستي: إن أردتُ أن ابني بيتاً أوكله لمهندسٍ، عليّ أولاً أن أرى كيف هو بيت ذلك المهندس. فوجدته مهلهلاً. فقد كان الاتحاد السوفييتي كاتباً للحريات بصورةٍ فظةٍ، وكان ستالين (الرجل الفولاذي) بلا رحمةٍ، رغم انه كان في صباه يريد أن يصبح رجل دينٍ مثلي.



سامي الذيب في حوار مع.....

س-4 قمت بزيارة مصر وعشت فيها لمدة سنة تقريباً بهدف جمع المصادر ودراسة أطروحتك الجديدة عن "تأثير الدين على النظام القانوني، الحالة في مصر، غير المسلمين في البلدان الإسلامية". والتقيت في تلك الفترة بكثير من المفكرين المصريين. هل يمكنك أن تكلمنا عن هذه الفترة؟

اخترت موضوع رسالة الدكتوراه لعلاقته بالقضية الفلسطينية. لقد كانت الدعاية الفلسطينية في الغرب مرتكزة على مقولة (دولة ديمقراطية علمانية). فسألت نفسي: لنفرض أن مصر هي فلسطين، ما الوضع القانوني في مصر؟ وهل هي دولة علمانية ديمقراطية؟ وكيف تعامل الأقليات فيها؟ وماذا عليها أن تفعله لتصبح علمانية؟ ذهبت لمصر لمدة سنة (1976-1977) لأبحث عن المصادر لرسالة الدكتوراه لأنه لم تكن في سويسرا كتب عربية في هذا الموضوع في الجامعات السويسرية. وسكنت في مصر الجديدة، وكنت أتردد على كليتي حقوق عين شمس، وحقوق القاهرة والجمعيات القانونية ومحكمة النقض ومكتبة الآباء الدومينيكان في العباسية.

قمت خلال إقامتي بلقاء قرابة 40 شخصية مصرية مسلمة ومسيحية لأطرح عليهم أسئلة حول موضوع رسالة الدكتوراه ومعرفة رأيهم في العلمانية وحقوق الأقليات والشريعة الإسلامية. كنت أكتب كل مقابلة، وما زلت محتفظاً بها، وقد نشرت مقابلتين منها في الحوار المتمدن، الأولى مع مصطفى محمود تحت عنوان مقابلة مع المهووس مصطفى محمود (1) والثانية مع المفكر حسين فوزي تحت عنوان: حسين فوزي: الأنبياء كذابون (2). وآمل أن أنشر قريباً مقابلاتي مع زكي نجيب محمود، ونجيب محفوظ، وبطرس غالي، ومحمد احمد خلف الله، ولويس عوض، وثروت اباطة ، وحسن حنفي، ويحيى الجمل، ووليم سليمان، وميلاد حنا، والأنبا غريغوريوس، وغيرهم، كما سأنشر مقابلةً طويلة مع قداسة البابا شنودة مع الحقوقيين كنت قد حضرتها في 26 آب - أغسطس 1977 حول تطبيق الشريعة الإسلامية وحد الردة.

نشرت في رسالة الدكتوراه ثمانية ملاحق تخص العلاقة بين الأقباط والحكومة المصرية. أكثر هذه الملاحق شكاوى من الكنيسة المصرية مقدّمة للحكومة حول أوضاع وحقوق الأقباط. هذه النصوص ترجمتها باللغة الفرنسية، ولم تنشر حتى الآن باللغة العربية.

والوضع في مصر للأقليات الدينية نفس الوضع الحالي. فما زال التمييز والتعدي على الكنائس وانتقاص حقوق الأقباط وموضوع تغيير الديانة والأحوال الشخصية، كما كان عليه الأمر عام 1977. ولو أردت أن أغيّر شيئاً في رسالة الدكتوراه، لن أجد شيئاً جديداً يستحق الذكر. لا بل إن الوضع يزيد تفاقمًا يوماً بعد يوم.



سامي الذيب في حوار مع.....

س-5 لقد قدمت الكثير من الكتب والمؤلفات بالكثير من اللغات، ويصعب علينا ذكرها كلها، لكن هلا تكلمنا قليلاً عن القرآن الذي نشرته بالعربية بالترتيب الزمني بحسب الأزهر منشوراً ومفصلاً بثلاثة خطوط، العربية الإملائية والعثمانية والكوفية غير المنقطة. ما الدافع خلف هذا العمل؟ وهل كانت هناك استنتاجات جديدة خلصت إليها من خلاله؟ وكونك مسيحي الأصل ألم يكن من الأجدر أن تركز على الأناجيل أكثر من النص القرآني؟ وهل لاهتمامك بالقرآن وتكريس الكثير من الوقت والجهد في العمل عليه دوافع مهنية، كونك تخوض في المجال القانوني أم أن لذلك تفسيراً آخر؟

الكتابة لي وسيلة للتعلم. أجد نفسي أمام أمور لا أفهمها فأحاول فهمها من خلال البحث وتنظيم الأفكار وصياغتها كتابة أولاً لنفسي، ثم أضعها تحت تصرف الآخرين عامّة بصورة مجانية ظاناً أن ما أكتب قد يفيدهم أو يوفر لهم وقتاً طويلاً للوصول للمعلومات التي وجدتها. ومجانية الكتب نابعة من اعتقادي أن حقّ القارئ أهمّ من حقّ المؤلف. فلا يحقّ لك أن تحرم أحداً من اكتساب المعرفة لعدم توافر المال لديه. من جهة أخرى، وجدت أناساً خيّرين ساعدوني للدراسة في الجامعة، فكان من واجبي ان أقدم بعض الدين للآخرين، عرفانا بالجميل.

اهتمامي بالقرآن يدخل ضمن محاولتي لفهم هذا الكتاب الذي يتبعه أكثر من مليار مسلم، ويؤثر إيجاباً وسلباً على حياتهم ومجتمعهم الذي أعيش فيه، وعلى نفسي أيضاً. من جهة أخرى، أحتاج القرآن في كتاباتي الأخرى في لغات مختلفة. من هنا أجهدتُ نفسي لترجمته للفرنسية وأنهى حالياً ترجمة إيطالية وإنكليزية، كما أعدُّ طبعة عربية للقرآن، مع ميزات لا تجدها في أي طبعة أخرى للقرآن. وآمل أن يستفيد غيري من هذا العمل لفهم أفضل للقرآن، ولمحاولة تقليل آثاره السلبية على المجتمع.

لقد أعطيتُ أهمية كبيرة في طبعتي العربية للقرآن إلى الأخطاء اللغوية والإنشائية، لأنني كنت بحاجة لها في ترجماتي للقرآن، ولأنني لم أجد كتاباً آخر توسّع في اكتشاف أخطاء القرآن. وقد وجدت قرابة 2500 خطأ لغوي وإنشائي في النص القرآني. لا أدعي العصمة في استنتاجاتي، لكنني أظنُّ أنني فتحتُ باباً جديداً للبحث في القرآن يخاف المسلمون الدخول فيه خوفاً على حياتهم أو تورعاً. ليس هديني إثبات أن القرآن كتابٌ بشريٌّ يصيب ويخطئ، مثله مثل أي كتاب. فأنا أعتقد يقينا انه لا ينزل من السماء إلا المطر والنيازك وبراز الطيور، كما أعتقد أن القرآن تأليف حاخام يهوديٍّ مسطول، لكن وضع هذه الأخطاء أمام أعين المسلمين الذين اعتادوا على مقولة (القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه) قد يجعلهم يتساءلون عن مدى صحّة هذه المقولة. هذا بدوره سيؤدي إلى رفع القداسة عن القرآن، ويقود إلى تغيير جذريٍّ في المجتمع العربي والإسلامي. فأساس مصائب هذا المجتمع تقديس القرآن الذي يقودهم إلى الاعتقاد بضرورة تطبيق ما جاء به من نظمٍ رغم عدم انسجامها مع حقوق الإنسان.



سامي الذيب في حوار مع.....

فالله أحق في نظرهم أن يطاع ممّا جاء في وثائق حقوق الإنسان. ونفس الأمر لو أنت اعتقدت أن التوراة كتابٌ مقدسٌ، وأردت على هذا الأساس تطبيق كل ما فيها، فسيقودنا هذا التطبيق للهمجية. هنا نرى أن الأمانة العلمية لها فوائد أيضاً اجتماعية. وهناك حديثٌ نبويٌّ يقول: اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع. والعلم النافع في نظري هو الذي يقود إلى تغيير المجتمع للأفضل.

وأما بخصوص سؤالك «كونك مسيحي الأصل ألم يكن من الأجدر أن تركز على الأناجيل أكثر من النص القرآني؟»، عامّةً أقوم في كتاباتي بمقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام. لكن القرآن أكثر الكتب المقدسة تأثيراً بصورة سلبية في المجتمع العربي والإسلامي، هذا هو مجال تخصصي. وليس مطالبٌ من كلّ شخص أن يكون نجاراً وطيّاراً في آنٍ واحدٍ. فلكلّ تخصصه. ولا أحتج على أحدٍ إن أراد أن يتعرّض للتوراة أو الإنجيل أو ألف ليلةٍ وليلةٍ، لا بل أشجّع على ذلك.

س-6 أحد أكثر الأعمال أهميةً من أعمالك إخراج الأخطاء البلاغية وأخطاء في المعنى في القرآن، والتي أحصيتها في ما يزيد عن ألفين وخمسمئة خطأ. ويذهب الكثيرون من المدافعين عن القرآن إلى أنها من تجليات بلاغة القرآن.

فأين برأيك يكون الخط الفاصل بين البلاغة والخطأ سواء في التقديم أم التأخير في اللغة؟

كلمة البلاغة مشتقة من الفعل بلغ، والبلاغة تكمن في إيصال المتكلم الخطاب إلى المخاطب دون إبهام أو التباس. وكلّ خطابٍ لا يفي بهذا التعريف لا يمكن بأيّ حالٍ اعتباره بليغاً. فأين مثلاً البلاغة في الأحرف المقطّعة؟ لا أحد ينكر أن في القرآن عباراتٍ بليغةً، لكن هذا لا ينطبق على كلّ النص القرآني الذي يتضمن قرابة 20% من آياتٍ مبهمّة، اختلف المفسرون في فهمها اختلافاً شاسعاً جداً.

وقد يقصد بتقديم وتأخير عنصرٍ في الجملة التأكيد على نقطةٍ معيّنة في الخطاب، وهذا لا يعتبر خطأً، إلا أن الخطاب الذي يتضمن تقديماً وتأخيراً يؤديان إلى إبهامٍ في المعنى، فلا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال اعتباره خطاباً بليغاً.

س-7 على اعتبار أن النحويين أتوا بعد القرآن، وهم من وضعوا قواعد اللغة والنحو وكانوا مسلمين، ألا ترى أن هناك تعارضاً وتناقضاً في كوننا نعتد على النتيجة في تقييم ومحاكمة الأصل؟

قواعد اللغة العربية موجودة قبل القرآن في الشعر الجاهلي، والمفسرون يعتمدون على هذا الشعر ليفسروا القرآن وأساليب التعبير فيه واستعمال صيغ الكلام. والنحويون لم يخترعوا قواعد اللغة العربية، بل استنتجوها من النصوص الشفهية والكتابية المتوافرة لديهم.



سامي الذيب في حوار مع.....

من بين هذه النصوص القرآن. فهو تجميع نصوص تنتمي إلى مصادر سبقته، وليست جميعها ذات قيمة بلاغية واحدة. وجاءت في القرآن أخطاء لغوية وإنشائية قد يكون سببها سهو النسخ، أو ضياع أجزاء منه، أو إصابة مؤلف النص المذكور بما يسمى اضطراب اللغة (أي لا يجمع كما يقال في العامية) فينتقل من المفرد إلى المثني والجمع، أو يخلط بين الماضي والحاضر والأمر، أو يجمع بين المتكلم والمخاطب والغائب (وهذا ما يطلق عليه الالتفات) أو يستعمل حرف جر بدلاً من حرف آخر، أو يستعمل فعلاً بدل فعل آخر مخرلاً بمعنى العبارة. ولاكتشاف هذه الأخطاء يجب التركيز على النص، ورفع القداسة عنه، وحرية التعبير.

فإن قرأت النص كالبيغاء، أو اعتبرت النص كلام الله المعصوم عن الخطأ، أو لم تكن عندك إمكانية التعبير عن رأيك خوفاً على حياتك، فلن تكتشف هذه الأخطاء، أو على الأقل لن تبوح أنّ هناك أخطاءً. وقد توسّعت في ذلك في مقال لي عنونته: أخطاء القرآن والخوف من السلطان⁽³⁾ رددت فيه على نقد وجهه لي الدكتور عدنان إبراهيم دون ذكر اسمي في خطبة مسجلة له على اليوتيوب.

س-8 فيما يخصّ الختان، لماذا برأيك كانت الأعضاء التناسلية هي التي يجب قطعها حتى يتخلص الجسم من الدنس ويصبح طاهراً؟ ولماذا كان تركيز الإله كبيراً حول هذه القطعة من هذه الأعضاء؟

موضوع ختان الذكور والإناث الموضوع الذي اهتمتُ به كثيراً ونشرتُ بخصوصه كتاباً ضخماً بالعربية مع مقدمة للدكتورة نوال السعداوي، وترجمته للفرنسية والإنكليزية. وأنا اعتزّ بهذا الكتاب لأنه قد يساعد في تخليص أطفال من جريمة ختان الذكور والإناث. وكغيره من كتبي، متوافراً ورقياً في أمازون، ومتوافراً مجاناً في موقعي.

وبطبيعة الحال أنا لا أؤمن أن الله أمر بهذه الجريمة - إن كان هناك الله - فلا أظن أن الله بهذه الدرجة من الغباء والسادية. فالختان له أسباب كثيرة ولكن مهما كان السبب، فهو جريمة، وقد تكون أكثر الجرائم التي يقترفها الإنسان لأنها تتم على قرابة كل الأطفال الذكور عند المسلمين واليهود. وهي من أبشع الجرائم في العالم لأنها تتم على أطفال أبرياء عامّة دون أي سبب طبي حقيقي، وهي في نظري تعبير عن وحشية الإنسان وساديته، إذ يشبع هذه الغريزة بالتعدّي على الأطفال. وفي التوراة، في الفصل 17 من سفر التكوين، جاء الختان كعلامة العهد بين الله وإبراهيم أن يعطيه الله أرض كنعان له ولنسله إلى الأبد. فتكون عملية سياسية يعتمد عليها اليهود في مطالبتهم بأرض فلسطين وحرمان غير اليهود منها. وتسمى هذه العملية بالعبرية (بريت ميلا) أي عهد القطع، ومن هنا جاءت عبارة قطع عهداً، أي قطع تعبيراً عن العهد.



سامي الذيب في حوار مع.....

س-9 تصف نفسك أنك مسيحي؛ كونك تتعصب لابن بلدك المسيح. لكن لِمَ تنأى بنفسك عن وصفٍ مثل لا أدري أو ربوبي أو ملحد؟

في الواقع أنا أعتزّ بانتمائي للمسيحية، وأشكر الله على أني ولدتُ في عائلةٍ مسيحيةٍ وليس في عائلةٍ مسلمةٍ. لأن هذا أعطاني أكثر حريةً في التعبير عن آرائي عن المسيحية أو الإسلام أو اليهودية. فالمسلم تتمُّ برمجته بالترهيب والترغيب بحيث يمنع نفسه من نقد ديانته. وحتى عندما ينتقد الديانة المسيحية واليهودية يبقى ضمن حدود رسمها له القرآن والسنة.

لا أرى سبباً لأسمي نفسي بلقبٍ غير مسيحي، وحتى إن لم أُنح أهميةً للعقائد المسيحية الغيبية. ولا أقبل أن يقوم رجال الدين المسيحيين باحتكار لقب المسيحي. لهم الحقُّ في الانتماء إلى مجموعةٍ من المعتقدات، وأعطي نفسي الحق في أن أعرف المسيحية كما أراها أنا، دون أن افرض رأبي على أحد، دون تكفير أحدٍ، كما لا أرضى أن يكفروني أحدٌ. وما يهمني في المسيح تعاليمه الأخلاقية الرفيعة.

س-5 ماذا عن العنف في التوراة؟

ما قلته سابقاً عن السيد المسيح وتعاليمه، ينطبق بصورةٍ أولى على التوراة. هناك أمورٌ جميلةٌ في التوراة، لكن إن طبقناها بحذافيرها فسوف نجد أنفسنا في مجتمعٍ غايةً في الهمجية. التوراة مجموعة من الكتب تنتمي إلى عصورٍ مختلفةٍ وتعكس ثقافة العصر الذي كتبت فيه، مع تطلعاتٍ للخير وتعاليمٍ وتصرفاتٍ غايةً في الوحشية.

س-10 أشرت إلى نفسك كنبى في العديد من المرات. ما فكرتك عن النبوة، وما الدور الذي يمكن للنبي أن يلعبه في عصرنا هذا، وكيف ترى مصداقية الأنبياء المذكورين تاريخياً في ظل نظرتك تلك؟

كلمة نبي فرعونية الأصل، وتعني الرئيس. وكلُّ فراعنة مصر يحملون لقب النبي. وحتى يومنا هذا كلمة النبي في الحبشة تشير إلى رئيس القبيلة. وفي العربية تستعمل كلمة الناب للدلالة على السن الأكثر قوةً، ونقول كشر الأسد عن أنيابه. ولكن تم تحويل الكلمة بالعبرية فأصبحت (نبي، وجمعها نبيم)، ومنها جاءت الكلمة العربية (نبي، جمعها انبياء). وتعني من ينقل الخبر. ونقول في العربية نشرة الأنباء. فيكون النبي عبارة عن مذيع الأنباء. وقد جاء استعمالها في القرآن بمعنى أخبر: وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (سورة البقرة 31). وتقول الآية 213 من سورة البقرة: كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وواضح ان القرآن هنا استعمال الجمع العبري (النبيين)، بدلا من الجمع العربي (الأنبياء)، ما يدل على أن مؤلف القرآن ذو ثقافة عبرية.



سامي الذيب في حوار مع.....

ويمكن أن نقول إن كلمة نبي تعني المصلح الاجتماعي. ولكلِّ عصرٍ ولكلِّ مجتمعٍ نبيٌّ يحاول أن يحسِّن من عادات مجتمعه. وهناك حديثٌ نبويٌّ يقول: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنةٍ. ولكنه قد يفسد بسبب وصوله للسلطة. كما حدث مع مجرمين مثل نيرون وستلاين وهتلر ماو تسي تونغ وغيرهم. ولعلمك، كان ستالين (أي الرجل الفولاذي) واسمه الحقيقي Iosseb Bessarionis dze Djoughachvili يريد أن يكون رجل دينٍ مثلي لحدِّ عمر 20 سنة، ثم أصبح ما أصبح. وكان النبي محمد، وهو لقب (واسمه الحقيقي قثم) رجلٌ تقيٌّ في شبابه، وبقي على زوجةٍ واحدةٍ وهي خديجة، ثم بعد وفاتها وانتقاله إلى المدينة أصبح مزوجاً سفاهاً، والقرآن المكي يختلف تماماً عن القرآن المدني. فالأول مسالمٌ، بينما الثاني ظالمٌ، وعليه تعتمد داعش وأخواتها لاقتراف أفضح الجرائم وتعيث في الأرض فساداً. وحتى يحتكر الفكر، ادعى محمدٌ أنه «خاتم النبيين» (الأحزاب 40)، مضيفاً: «اليوم أكملت لكم دينكم» (المائدة 3)، «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» (آل عمران 85) بينما قبل استلامه السلطة كان يقول: «إنما أنا بشر مثلكم» (فصلت 6).

دور النبي أن يكون الضمير الحي للمجتمع، وتكون أمانته في مهمته على قدر صراحته في كلامه وعدم إبهامه فيما يقول وعدم لجوئه للتقية. فإذا سكت العالم تقيةً والجاهل يجهل فمتى يظهر الحق؟ والنبي لا يداهن، ولا يسعى لمصلحةٍ شخصيةٍ، ولا يبغض أحداً، بل يبتغي فقط الصالح العام.

وإن ادعت أني نبيٌّ فهذا ليس عن عنجهيةٍ، لكن لأكسر فكرة أن النبوة انتهت مع محمد، ولأبين أنه من الضروري أن يقوم كلُّ شخصٍ بدوره في إصلاح المجتمع، كلٌّ على قدر استطاعته. فإن كان الأنبياء قد قاموا بمهمتهم سابقاً، علينا أن نسعى لتحسين عادات المجتمع دوماً لملاءمتها مع حقوق الإنسان، ضاربين عرض الحائط ما جاء في الكتب المقدسة السابقة من تعاليم تخالف هذه الحقوق. فلا عصمة لا لكتابٍ أو لنبيٍّ.

تلك أمةٌ قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (سورة البقرة، مكررة في الآية 134 و 141). ومن هنا أرى ضرورة إعادة صياغة تعريف الوحي، أنه ليس كلام الله للبشر، بل كلام البشر عن الله، أو قل كلام البشر لمصلحة البشرية يعرب عن رغبة في تحسين اخلاقيات البشرية. وأنا أعتبر كلَّ مثقفٍ نبياً، لأن له رسالة يريد أن يوصلها للغير. وقيمة المثقف تقاس بمدى التزامه بالمعايير التي ذكرتها أعلاه. فمثلاً كلُّ من أحمد القبانجي، ونوال السعداوي، وسيد القمني، وإسماعيل محمد، وأحمد حرقان، ومحمود محمد طه، وفرج فودة، ونصر أبو زيد، وغاندي، ومانديلا، ومارتن لوثر كينغ هو نبي في نظري. وللأسف 99% من مثقفينا أنبياءٌ مخصيون، لأنه تمَّ لجمهم، فليس لهم الشجاعة لقول الحقيقة لأسبابٍ مختلفةٍ. وقد يكون هذا من أهم أسباب عدم تقدُّم المجتمع العربي والإسلامي. لذلك اقترحت في مقالٍ لي⁽⁴⁾ أن يتم سقي كل المثقفين العرب سطلٍ خمرٍ؛ ليفلت لسانهم، فيقولوا ما يفكرون فيه دون خوفٍ، وأنا اضمن أن الإسلام سوف يختفي عن وجه الأرض. وأكد اجزم ان أحد أسباب منع الخمر في الإسلام الخوف من فلتان لسان اتباعه.



سامي الذيب في حوار مع.....

س-11 ألا ترى أنّ كلّ الديانات والرموز المكدّسة تحتوي شيئاً من العنف؟ وعلى سبيل المثال المسيحية. فيسوع رغم اعتباره رمزاً للمحبة والسلام إلا أن له بعضاً من المقولات في العهد الجديد لا يمكن وصفها بهذا مثل ما ذكر في لوقا (19: 27) و (12: 49, 51) وفي متى (10: 34, 35) على سبيل المثال؟

أنا لا أحيط السيد المسيح أو محمّداً أو غيره من «الأنبياء» بالعصمة. واعتبر أن المسيح يصيب ويخطئ، وأعطي لنفسي الحق في اختيار ما أراه صالحاً في تعاليم أيّ ديانةٍ أو فلسفةٍ، ورفض ما أراه غير صالحٍ ولم يعد يتفق مع حقوق الإنسان. وليس عندي أصلاً شيءٌ يسمّى كتاباً مقدساً. فكلّها أصفها أنها كتبٌ مكدّسةٌ .

س-12 في مقال لأمل الخطيب بعنوان « الجذور الوثنية للديانات الإبراهيمية» في العدد السابع. وضعتُ دلالاتٍ كثيرةً تظهر كم التتابع بين الديانات الإبراهيمية والديانات الوثنية بدءاً من قصة الخلق البابلية إلى فكرة خلق الإنسان من طين وقصة الطوفان وولادة موسى وليس انتهاءً بالإسراء والمعراج والحج. برأيك هل هذه العلاقة غير واضحةٍ بما يكفي أم أن هناك مانعاً آخر يجعل الناس تعمى عن هذا الربط؟

في هوامش طبعتي العربية للقرآن ذكرتُ ما أعتبره مصادر اعتمد عليها مؤلف القرآن في صياغة كتابه، وهي المصادر تنتمي خاصةً للثقافة اليهودية والنصرانية والشعر الجاهلي، لكن هناك مصادرٌ أخرى. وقد اشار بعض المترجمين الغربيين لهذه المصادر في هوامش ترجماتهم، لكن عندما تم طبع تلك الترجمات من هيئاتٍ إسلاميةٍ، تم حذف هذه الهوامش حتى لا يظن أن القرآن مأخوذٌ منها. فوفقاً للاعتقاد الإسلامي، نصّ القرآن من عند الله، وإن كان هناك تشابهٌ بينه وبين نصوصٍ مسيحيةٍ أو نصرانيةٍ مكدّسةٍ، فسبب هذا صدور كلّ تلك النصوص، بما فيها القرآن، من نفس المصدر، أي الله. وقد منع محمّدٌ أتباعه قراءة كتب اليهود والنصارى، وما زال المنع قائماً في كثيرٍ من الفتاوى، ولا يستثنى إلا من كان متبحراً في الدين الإسلامي ويريد أن يردّ على اليهود والنصارى. ولا نجد في مكاتب المدارس الحكومية في العالم العربي والإسلامي التوراة والإنجيل حتى لا يطلع عليهما الطلاب المسلمون. وهناك دولٌ تمنع دخول هذين الكتابين على أراضيها، بينما ترعى توزيع القرآن مجاناً حتى أمام البرلمان السويسري وفي معارض الكتب الغربية كما رأيته بعيني. ولو أن المسلمين اعترفوا أن بعض ما جاء في القرآن (وهو يوازي قرابة 80% من مضمونه) من المصادر التي كانت قبله، فهذا يعني أن محمّداً كذابٌ، أو كما يقول الشاعر: «لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل»، وفقاً لكلامٍ منسوبٍ إلى يزيد بن معاوية، ثاني الخلفاء الأمويين، وربّما كان تحت تأثير الخمر. وواضح أن من يلجأ إلى منع قراءة كتابٍ خوفاً على دينه هو شخصٌ غير واثقٍ من دينه، أو يريد أن يبقي الناس جهالاً.



سامي الذيب في حوار مع.....

س-13 ما رأيك بفكرة أن المسيح شخصية أسطورية لقصة توارثتها عدّة حضاراتٍ في المنطقة في أسماء مثل حورس وديونائسس وأتياس وكريشنا وميثرا وغيرهم، كان لها علاقة بأحداثٍ فلكيةٍ ؟

هناك من شكك في الوجود التاريخي لشخصياتٍ كثيرةٍ، منها إبراهيم وموسى وداوود وسليمان والمسيح ومحمّد، كما هناك تشكيكٌ في وجود مكة في العصر الذي يظن أن محمّداً عاش فيه، أو وجود الناصرة في العصر الذي يظن أن المسيح عاش فيه. وهناك من اعتبر خروج اليهود من مصر وذهابهم إلى فلسطين عبوراً بسيناء كما جاء في التوراة والقرآن مجرد أسطورةٍ، وهذا أمرٌ يجب أن يبقى مفتوحاً للنقاش بين المؤرخين وذوي الاختصاص، دون أيّ خوفٍ، وأن يسمح بالرأي والرأي الآخر حتى نصل إلى الحقيقة التاريخية، إن أمكن ذلك. وعندما تكلم طه حسين في كتابه الشعر الجاهلي عن أسطورة إبراهيم وابنه إسماعيل، تمت محاكمته وأجبر في الطبعة اللاحقة على تغيير العنوان إلى الأدب الجاهلي، وحذف الفقرات المتنازع عليها. لسْتُ من ذوي الاختصاص، لذلك ليس لي رأيٌ في هذا المجال. لكن كل ما يهمني إعطاء الحق لكل من يريد أن يبحث في الموضوع ويعرض آراءه في هذا المجال بكلّ حرّيةٍ. وفي هذا المجال اتبع مقولة: من قال لا أعرف فقد أفتى. وفي نفس الوقت، أبقى منفتحاً على كلّ الاحتمالات دون أي تحفّظٍ.

س-14 في موضوعٍ للصديق موسى في مجلة الملحدّين العرب في العدد الثامن عشر والتاسع عشر طرح فكرة قدمها الباحث توم هولاند حول أصول الإسلام ونظرية أن محمّداً نفسه قد يكون شخصيةً وهميةً باعتبار أقدم مصادر ونصوص الإسلام كتبت كلّها في فترةٍ زمنيةٍ واحدةٍ بعد ما يقارب المئتي سنة من وفاة شخصية محمّد وفي منطقة جغرافية أقرب إلى بلاد الشام. فبحسب هذه الفكرة من أين أتى كلّ هذا العنف والبربرية في عقائد وشرائع الإسلام؟ وهل كانت شرّاً لا بدّ منه لكي يستطيع الإسلام الوليد البقاء حياً؟

أعرف هذه النظريات التي تستحق فعلاً الاطلاع عليها، وهناك كتابٌ مهمٌّ قرأته مؤلّف كندّي اسمه Dan Gibson وعنوانه Quranic Geography وهناك كثيرٌ من الكتب في الغرب التي تتبع هذا المنهج الذي يشكك في مصداقية ما تنقله لنا المصادر الإسلامية، وما يعلم في مدارسنا وجامعاتنا وجوامعنا ووسائل إعلامنا العربية والإسلامية. كل ما يمكنني قوله: إننا ما زلنا في بداية الطريق، وقد لا نصل أبداً للحقيقة التاريخية. فهناك حلقاتٌ مفقودةٌ في التاريخ الإسلامي. ومن المعروف مثلاً أن الكتابة التي كانت تستعمل في منطقة مكة لم تكن الكتابة العربية التي كتب بها القرآن، بل الكتابة اليمينية. ما يعني أن القرآن لم يكتب في مكة أو في المدينة، بل ما بين الشام والعراق. وفيما يخصّ همجية القرآن والشرائع الإسلامية، فمصدرها التعاليم التوراتية والعادات في تلك المنطقة. فنظام الحرب كما نصّ عليه القرآن نفس النظام المذكور في التوراة.



سامي الذيب في حوار مع.....

س-15 الديانة المسيحية عاشت فترةً كانت فيها غايةً في الدموية والتصفية أيام محاكم التفتيش وحرق الساحرات وقتل الطوائف لبعضها البعض في مجازرَ كرنفاليةٍ. وبعد انقضاء عصور الظلام وبزوغ فجر النهضة تغيّر كلّ هذا وقلمت أظفار وأنياب الدين المسيحي.. هل ترى أنه من الممكن أن يعيش الإسلام تحولاً مشابهاً، وأن يتخلّص من جانبه المظلم؟ كُتبتُ مقالاً مطولاً في هذا الخصوص في الحوار المتمدن⁽⁵⁾ عنوانه «هل من وسيلة لتطوير الإسلام لملاءمة حقوق الإنسان؟» من يهّمه الأمر يمكنه الرجوع إليه.

تطوير الإسلام أصعب من تطوير المسيحية لأنّ النصّ الأساسي في المسيحية ليس نصّاً قانونياً تشريعياً، بل نصّاً أخلاقياً، خلافاً للقرآن والسنة، والسيد المسيح وتلاميذه لم يكونا قادةً عسكريين، خلافاً لمحمّد والخلفاء من بعد. فمحمّد أسوةٌ حسنةٌ للمسلمين، وداعش على سبيل المثال لم تعمل شيئاً لم يفعله محمّد وليس له أساسٌ في القرآن والسنة. وقد اقترحتُ في مقالٍ في الحوار المتمدن⁽⁶⁾ عنوانته «الإسلام مصران أعور» حلاً جذرياً. أنقله هنا: «الحل الوحيد أمام المسلمين هو - صراحةً - وضع القرآن والسنة مع مومياء الفراعنة في متحف القاهرة، وإعمال العقل وتغيير جميع المناهج التعليمية من الروضة إلى الجامعة، ومن الجامع إلى وسائل الإعلام. هذه هي الوسيلة الوحيدة لخروج العالم العربي والإسلامي من محنته وللحفاظ على السلام في العالم. فعلينا تشجيع جميع الحركات الإلحادية في العالم العربي والإسلامي، ودعمها بكلّ قوانا لأنها الوحيدة التي يمكنها أن تخلّصنا من ورطتنا، فالإسلام والسلام لا يمكن لهما أن يجتمعا في عالمنا. ورغم أنّي مسيحيٌّ، لا أقول بتحوّل المسلمين للمسيحية، لأنّ الديانة المسيحية معقدةٌ عقائدياً. وإذا ما استثنينا بعض المتحولين للمسيحية القلائل، يصعب على المسلم تقبّل المسيحية بصورةٍ عامّة، إلا اللهم إذا جعلناها ديانةً خفيفةً على المعدة، فنفرّغها من العقائد الغيبية للاحتفاظ فقط بشخصِ المسيح كقدوةٍ حسنةٍ، وبتعاليمه الأخلاقية. وفي انتظار ذلك، لا يبقى أمام المسلم خيار إلا الإلحاد».

س-16 هل لك مشاريع مستقبليةً قريبةً كنشر كتابٍ جديدٍ؟

حالياً أعمل على إنهاء الطبعة الثانية من ترجمتي الفرنسية للقرآن بالتسلسل التاريخي، وتصحيح ترجمتي الإنكليزية والإيطالية، وتكميل طبعتي العربية للقرآن. وآمل أن أنتهي من هذه المهمة خلال الأشهر القليلة القادمة. وبعدها حالاً سأصدر كتاباً حول أخطاء القرآن اللغوية والإنشائية معتمداً على طبعتي العربية للقرآن. وسيكون من 100 صفحة، لا أكثر، لتسهيل قراءته، وقد أقوم بترجمته للفرنسية، وسيكون الكتاب متوافراً مجاناً.



سامي الذيب في حوار مع.....

من جهةٍ أخرى أعمل على سلسلة من الكتب لتدبرّ بعض آيات القرآن متبعاً المنهج التالي:
- تجميع كل ما قاله المفسرون القدامى والمعاصرون من جميع المدارس والمذاهب مرتبين وفقاً لتاريخ وفاتهم. وقد استندت في ذلك على موقع (التفسير) (7) وغيره من المواقع (قراءة 80 تفسيراً)
- ترجمةً حرفيةً أو مختصرةً لما جاء في هذه الأقوال.
- مقدّمةً مطوّلةً تعرض معنى كلمات الآية وتذكر الآيات والأحاديث التي اعتمد عليها المفسرون في فهمهم لهذه الآية، بشكلٍ مختصرٍ لما جاء في هذه التفاسير.
وقد صدر لي حتى الآن ثلاثة كتبٍ في هذه السلسلة هي:

- كتابٌ حول الآية السابعة من سورة الفاتحة (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين). وهذا الكتاب يبيّن وفقاً للمفسرين من هم المغضوب عليهم ومن هم الضالون. وهو متوافقٌ باللغة الفرنسية والإنكليزية والالمانية.

- كتابٌ حول الآية 256 من سورة البقرة (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم). وهذا الكتاب يبيّن وفقاً للمفسرين ما معنى عبارة لا إكراه في الدين. وهو متوافقٌ باللغة الفرنسية والإنكليزية.

- كتابٌ حول الآية 28 من سورة آل عمران (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير). وهذا الكتاب يبيّن وفقاً للمفسرين علاقة المسلمين بغير المسلمين من خلال نظرية الولاء والبراء، واللجوء إلى التقية في علاقتهم عندما يخافون منهم. وهو متوافقٌ باللغة الفرنسية.

وأشير هنا إلى أن ما قاله كلٌّ مفسرٍ حرفياً حول هذه الآيات هو باللغة العربية. لذلك يمكن للقارئ العربي الاستفادة من هذه الكتب، وحتى إن لم تُفهم مقدمة الكتاب باللغات المذكورة.
سوف أستمر في نشر كتبٍ أخرى تتبع هذا المنهج حول آياتٍ مهمّةٍ، منها:

- كتابٌ حول الآية 60 من سورة التوبة (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب



سامي الذيب في حوار مع.....

والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)، التي تستعمل كركيزة لتمويل الإرهاب وتدمير البلاد اليوم.

- كتابٌ حول الآية 29 من سورة التوبة (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)، التي تستعمل لفرض الجزية على غير المسلمين من الحركات الإرهابية.

- كتابٌ حول الآية 5 من سورة التوبة (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم)، التي تسمى آية السيف وتعتبر الركيزة التي يعتمد عليها الفقهاء لنسخ جميع الآيات المتسامحة، من بينها الآية (لا اكراه في الدين) والآية (لكم دينكم ولي دين) والآية (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).
هذه السلسلة إذًا محاولةٌ مني لفهم موضوعيٍّ موثّقٍ لمعنى آيات القرآن كما جاء في كتب التفاسير القديمة والمعاصرة، بعيداً عن منهج الدعاية والتمويه الذي يلجأ له السياسيون ورجال الدين والإعلاميون المسلمون اليوم.

س-17 هل هناك رسالةٌ تحب أن توجّهها لقراء المجلة؟

يجب أن نحبّ الجميع، مهما كانت انتماءاتنا الدينية أو الفكرية، وأن نتعلم الحوار دون عنفٍ، وأن لا نخاف من الاختلاف في الرأي. فكلّ تقدّمٍ إجتماعيٍّ وإقتصاديٍّ وفكريٍّ مبنيٌّ على المعادلة التالية:

الأطروحة، نقيض الأطروحة، التوليف

Thesis, antithesis, synthesis

فمن صدام اليهودية بالمسيحية خرج الإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=400299 - 1

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=400037 - 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=468096 - 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=447733 - 4

http://www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=419540 - 5

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=475750 - 6

www.altafsir.com - 7

<http://www.ahewar.org>

الحوار المتمدن

الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن
يسارية , علمانية , ديمقراطية
"من أجل مجتمع مدني علماني ديمقراطي
حديث يضمن الحرية والعدالة الاجتماعية للجميع"

رواية فاتنة



سام مار



رواية فاتنة



سام مار

العميد: هل لديك شيءٌ تقولينه لتدافعي عن نفسك؟

فاتنة: الدكتورة تهينني أمام الصف، ورائدة ليست صديقتي بل تحاول تصفية حساباتٍ قديمة

د. سناء: تظنين الآخرين حقودين مثلك؟

العميد: علينا فصلك مؤقتًا للأسف ريثما يتسنى لنا التحقيق بالموضوع يا فاتنة.

فاتنة: لست متفاجئة. شكرًا على عدم فصلي نهائيًا على الأقل

تنظر سناء ورائدة في عيني بعض مع ابتسامة

تغادر فاتنة

راندي: فاتنة...كيف حالك اليوم؟

فاتنة: كيف تتصرف مع مشاعرك عندما تتأذى كثيرًا؟

راندي: اخترع قصةً يكون العالم فيها عادلًا، وسيناريو للوضع ينتهي كل شيءٍ فيه لصالحني حتى ما بذوني به.

فاتنة : ذلك يحزنني

راندي: الحقد يشبه شرب زجاجة سمٍّ وتأمل موت الشخص الذي تكرهه نتيجة ذلك كما يقول مانديلا.

فاتنة: صحيح، لكن عندما تصبح المعركة معركة بقاء فكل الأسلحة عادلة، أليس كذلك؟

راندي: ربما ...

فاتنة: سأعتبر إجابتك نعم.

تكتب فاتنة في دفترها السري تلك الليلة:

لا أعرف إن كان ما سأفعله أخلاقيًا ، لكنه ضروريٌ لبقائي. أنا لن أفعله لأنهم كانوا لا أخلاقين ، بل لأنها معركة بقاءٍ

ووجودٍ ومستقبل.

الفصل التاسع والعشرون

فاتنة تخبر د. رامي ما حدث مع د. سناء ورائدة

رامي: هذا ليس عدلاً! وكيف سيحقق العميد وبماذا؟

فاتنة: لا أعتقد أن التحقيق سيكون حقيقيًا. فقط إضاعة وقت. أنت تعرف أن العميد نفسه مهدد إذا قام بمساعدة

شخصٍ متهمٍ بالإساءة للدين. على الأغلب سيقوموا بفصلي لفترة بشرط أن أعود تائبًا. لكن ليس لدي وقتٌ لذلك، أريد

إكمال دراستي والسفر. كما أنني لا أريد تمثيل التوبة.

رامي: والدي عميد كلية الطب، بإمكانه التحدث مع العميد.

رواية فاتنة



سام مار

فاتنة: إذا كان بإمكانه أن يقول لي ماذا سيفعلون قبل صدور القرار ستكون قد ساعدتني كثيراً.

رامي: سأتصل بك عندما أسمع شيئاً

تقضي فاتنة الليلة في قلقٍ شديد

رامي يتصل بها في الصباح: فاتنة...لدي أخبارٌ سيئة

فاتنة: ماذا؟

رامي: هل كنت تعرفين أن د. سناء ابنة وزير سابق وله اتصالاته مع المسؤولين؟ سيقوموا بفصلك يا فاتنة. و د. سناء طلبت تخييرك بين اعتذارٍ علنيٍّ مع فصل لسنة وشكر في نهاية الاعتذار لتسامحها معك، أو فصلك نهائياً إذا رفضتِ هذا الشرط. العميد اعتذر من والدي وقال أن الموضوع أكبر منه بسبب مركز والد د. سناء، وجود شاهدة على موضوع العنف، ووجود طلبة متدينين قدموا شكوى للعميد أيضاً يتهمونك بها بازدراء الأديان والتشكيك بالقيم. فاتنة: شكراً لك رامي. أقدر لك هذه الخدمة.

رامي: أنا آسف جداً لأنني لا أستطيع المساعدة. إذا سمحت لي يمكنني الاتصال بالدكتورة سناء وترتيب طريقةٍ تطلبين فيها الصفح وتفادي كل تلك المشاكل.

فاتنة: هي من أخطأ بحقي! ثم إن المسألة أصبحت مسألة ذلٍ وإذلال! أفضل الموت على الاعتذار منها.

رامي: لم أعهدك هكذا يا فاتنة أين المنطق؟ فقط قولي لها كلمتين وانتهى.

فاتنة: ليس بهذه الطريقة لا! إسمع رامي أنا سأتصرف لا عليك.

رامي: لكن يا فاتنة...

فاتنة: شكراً رامي. نتحدث لاحقاً، إلى اللقاء

رامي: إلى اللقاء....

فاتنة تتردد قليلاً ثم تُجري اتصالاً: ألو...جميل؟

الفصل الثلاثون

فاتنة: أريد أن أراك لأطلب منك خدمةً يا جميل.

جميل: أين ومتى؟

فاتنة: في أقرب وقت...مقهى العاصمة يناسبك؟

جميل: سأرسل لك سائفاً خلال نصف ساعة

فاتنة: لا...أراك هناك بعد ساعة.



سام مار

رواية فاتنة



جميل: أراكِ هناك
في مقهى العاصمة
فاتنة: جميل...أنا محرجةٌ جدًّا مما سأقوله وسأنفهم لو رفضت
جميل: لن أرفض قولي
فاتنة: هل تسمح لي باستغلالك كصديقٍ فقط وبدون مقابل؟
يبتسم جميل: هل استغلالي سيجعلك سعيدة؟
فاتنة: أجل :)
جميل: استغليني إذاً كما تشائين
فاتنة: جميل...
جميل: أجل ما هو طلبك؟
فاتنة: أقصد جميل أنك تسمح لي أن أستغلك :)
جميل يبتسم
فاتنة: لا أعرف مدى المساعدة التي يمكن أن تقدمها لي...مشكلتي ليست مع شخصٍ عادي بل ابنة وزيرٍ سابقٍ و..
يقاطعها جميل: وزير سابق؟
فاتنة: أجل لذلك لا أعرف إن كان بإمكانك المساعدة و..
جميل: وزير سابق؟
فاتنة: ...؟
جميل:
فاتنة: لماذا تضحك؟
جميل: ما بك يا فاتنة؟ أنتِ تكلمين جميل رفيق...على كلِّ، أنتِ تحاولين استنهاض كبريائي أليس كذلك؟ لقد نجحتي...
من هي سيئة الحظ؟
فاتنة: سأبدأ منذ البداية...
تسرد فاتنة القصة لجميل منذ البداية، وتنساب دموعها عندما تصل إلى النهاية
جميل: تلك النكرة الحقيرة! ماذا تريدين أن يحدث لها؟ حادث سيارة؟ انتحار؟
فاتنة: جميل هل أنت مجنون؟ فقط أريد ألا يفصلوني وألا تتأخر دراستي، وتبقى هي بعيدةً عني.
جميل: لا، هي أرادت إذلالك، لذلك يجب أن تدفع الثمن
فاتنة: لا أريد مشاكل

رواية فاتنة



سام مار

جميل: لن يكون لديك مشاكل...أما هي فمشاكلها بدأت الآن
فاتنة: ماذا ستفعل؟ أرجوك لا تؤذيها أكثر مما أرادت إيدائي لأن ذلك ليس عدلاً
جميل: أرادت فصلك وتدمير مستقبلك أو إذلالك وإيذاءك. لذلك اختاري إذلالها وإيذاءها أو تدمير مستقبلها تماماً
فاتنة: أنت طاغية يا جميل :)
جميل: لن أضيع فرصة لخدمتك
فاتنة: اللعنة عليك أيها الطاغية :) أشعر بأنني سيئة الآن...لأنني أشعر أن الفساد شيءٌ لذيذٌ عندما يخدم مصالحك...
هل هكذا يصبح الشخص طاغية؟
جميل: لم أسمح في حياتي لشخصٍ أن يتحدث معي بهذه الطريقة...ولا حتى أقرب أصدقائي .
فاتنة: بما أن مخاوفي ستزول...أخبرني...كيف تبرر لنفسك سحق الآخرين يا طاغيتي؟
جميل: كما بررتي لنفسك اليوم. لو لم تبرري لما اتصلت بي.
فاتنة: انا أسألك لأنني أريد أن أبرر نفسي كما تفعل أنت...فأجبنني.
جميل: أنت لا تؤمنين بالدين كما تأكدت منك اليوم. هذا يسعدني لأنه يجعل الشرح أسهل. أليس المتدينون يبررون ظلم أصحاب الطوائف الأخرى أو النظر إليهم بدونيةٍ بأنهم مختارون من قوةٍ عليا؟
فاتنة: أجل ...
جميل : هذه طبيعة في الانسان...في غريزة البقاء...الفرق أنني ارى نفسي القوة العليا نفسها، وهم دوني لأن لي سلطة عليهم. ولو كان لأحدهم سلطة علي لخضعت له مضطراً. إنه قانون الطبيعة.
فاتنة: أنت لا تؤمن بالآلهة إذًا؟
جميل: لا
فاتنة: انت مجنون :)
جميل: لا أنا واقعي
فاتنة: لكن...ألا تشعر بمعاناة من هم دونك؟
جميل: وهل أنا مسؤولٌ عن معاناتهم؟
فاتنة: أنت القوى العليا في عالمك، لذلك إذا لم تفعل ما بوسعك لتخفيف معاناتهم فأنت مسؤولٌ بشكلٍ أو بآخر.
جميل: هل تمتحنيني أخلاقياً؟
فاتنة: بل أمتحن نفسي...وأريد منك أن تمتحن نفسك
جميل : لماذا؟
فاتنة: لكي لا أشعر بالذنب على علاقتي بك

رواية فاتنة



سام مار

جميل: تشعرين بالذنب على علاقة صداقة؟

فاتنة: بل على الإعجاب بطاغية

جميل: من هي تلك المرأة التي لا تجذبها القوة؟

فاتنة: كنت أعرف أن كلامي عن أن نبقي أصدقاء فقط بعد هذا الطلب لا معنى له. لكن أريد أن نحاول أن نبقي كذلك فقط.

جميل: ما أجملك عندما تكذبين... أنت تعرفين أنني أحبك

فاتنة: هل بإمكانني ان أكون صريحةً معك يا جميل... بدون أن يحدث لي «حادث»؟

جميل: طبعًا، من يحب شخصًا لا يؤذيه

فاتنة: تمامًا! لقد اختصرت علي الكثير بتلك العبارة. جميل أنا لا أعتقد أنك تحبني حقًا. أنت مهووسٌ بي فقط. الهوس

بشيءٍ أكثر ما يخيفني في هذا العالم. الهوس العاطفي مثل الهوس الديني

جميل: سأثبت لك أنه حبٌ وليس هوس. أعطني وقتًا فقط.

فاتنة: موافقة، لكن عديني ألا تؤذيني أبدًا ولا أي شخصٍ قريبٍ مني، حتى لو كنت لغيرك. هذا شرطي

جميل: أعدك

فاتنة تبتسم: خربت أخلاقي (:)

جميل: الأخلاق تتبعك وليست أنت من تتبعينها أيتها العظيمة.

فاتنة: يكفي اليوم! إسمع...

جميل: كلي آذانٌ صاغية

فاتنة: فصل ستة أشهر للدكتوراة ولرئاسة. ولا أريد اعتذارًا. فقط تأديبهم ألا يتعرضوا لي مرةً ثانية.

جميل : سيتم ذلك. سيخافون عند ذكر اسمك

فاتنة: أنا شريرةٌ الآن! قد أندم على كل هذا لاحقًا

جميل: لا، أنت واقعيةٌ الآن، لن تندمي

فاتنة: سنرى...

تكتب فاتنة في دفترها السري في تلك الليلة:

ربما أنني أكذب على نفسي...ربما أنني فقط أبرر. لكن هناك شيءٌ يشدني إلى جميل...ربما أستطيع إصلاح عيوبه...وبهذا

أجعل كل شيئًا أفضل للجميع...ربما...أتمنى لو كنت أستطيع أن أفعل ذلك ليس فقط مع جميل...بل مع الله نفسه!

رواية فاتنة



سام مار

الفصل الواحد والثلاثون

فاتنة تعود للبيت بعد نسيان هاتفها طوال اليوم لتجد ثلاث رسائل صوتية من د. سناء:

٨:٣٠ صباحًا: فاتنة أنا آسفة عمًا بدر مني

٩:١٥ صباحًا: آنسة فاتنة أنا آسفة جدًا على رعونتي وتصرفاتي الصبيانية، أرجو عفوك عني.

١١:٢٥ صباحًا: آنسة فاتنة أنا أطلب الرحمة والعفو أرجوك، والدي رجلٌ كبير بالسن ولا يحتمل السجن، إذا حُكم في السبع قضايا فساد والرشوة وسرقة المال العام وغيرها من التهم الموجهة له فسيموت في السجن.

فاتنة تتصل بجميل : جميل! قلنا ستة أشهرٍ فصل فقط!

جميل: صحيح وهذا ما فعلت

فاتنة: ووالدها؟ سجن؟

جميل: لم تقولي لي شيئًا عن الرفق بوالدها، فتصرفت

فاتنة: لم نتفق على ذلك!

جميل: ولم نتفق على عكس ذلك

فاتنة: هل تريد أن أخاف منك في المستقبل؟

جميل: في المستقبل لا تتركي الأمور تتأزم هكذا قبل اللجوء إلي حتى لا أضطر إلى ردود الفعل القوية

فاتنة: أنت غريب... لا أعرف بماذا أشعر تجاهك. قل لي، كيف كانت النساء الأخريات اللواتي عرفتهن؟ ماذا قلن لك؟

جميل: لم يكن لدي علاقة في حياتي. فقط أخرج مع نساءٍ كثيرات.

فاتنة: لم أتوقع ذلك أبدًا... لم تجرب علاقة لكنك تريد الزواج بي دفعةً واحدة؟ وقبل أن تعرفني؟ ما هذا التناقض

جميل: من قال لك أنني لا أعرفك

فاتنة: من أين عرفته قبل أن تطلب شراي من أبي؟ من رؤيتي في حفلة تخرج؟ وما هو السر أنك أردت ذلك منذ بلغت

أنا سن الرشد؟

جميل: لم أحاول شراءك هو قال لنا أن كل شيء بيده وعلينا إرضاءه ليقبل تزويجك. منذ رأيتك في تلك الحفلة أحببتك

فاتنة: سبحان مقلب القلوب والأبصار

جميل: يال جرأتك بالحديث معي!

فاتنة: أريد أن أفهم كل شيء. هل ذلك خطأ؟

جميل: لا لكنك تحققين معي بتهمة الحب!

رواية فاتنة



سام مار

فاتنة: الحب أم الهوس؟ في ذلك أحقق. لكن جميل أريدك أن تعرف أنني أقدر لك كل شيء فعلته من أجلي إلى الآن. وأريد أن أعتذر على تصرفي عندما أتيت مع والدك لزيارة أُمي في المستشفى. أنا مدينة لك. جميل: في الحقيقة أتينا لنعرض تسفيرها للعلاج في الخارج. فاتنة: جميل أنا قبلت منك خدمة الآن، أما في ذلك الوقت فكنت أراك مقبرة أحلامي جميل: أنا مقبرة أحلامك؟! أنا حلم كل فتيات العالم! فاتنة: ليس كلهن، أتعرف نقطة مقتل الأنثى؟ أقصد التناقض الأساسي الذي يجعل الكثير من النساء يُسنن الاختيار؟ جميل: لم أعرف بوجود شيء كهذا فاتنة: النساء ينجذبن إلى الرجل الطموح صاحب الأحلام الحية...المشكلة أن هذه الصفات نفسها هي التي تجعل من الرجل سريع الملل ينقل قلبه من منزلٍ إلى آخر. إنظر كيف قلت لي أنك تنتقل بين النساء بدون علاقة، ثم تريد مني الزواج بك! وإلى الآن لا يوجد سبب مقنع لهذا الحب الذي تحدثني عنه جميل: أريد أن نقضي أمسية معًا...وسأشرح لك كل شيء. فاتنة: موافقة جميل: حقًا؟ أنت غريبةٌ ومليئةٌ بالمفاجآت فاتنة: كل وجودي مفاجأة، على أية حال، والد سناء ردّ يدك عنه جميل: لا تريديه أن يحاسب على الفساد؟ فاتنة: بل ألا يحاسب على أفعال ابنته. أين كان الفساد قبل الآن؟ جميل: ربما أنني أمهل ولا أهمل؟ لكن كما تريدين، سنسمح له بدفع غرامات مالية إداً فاتنة: كيف تتحكم بكل شيء؟ لا يوجد قاضي ولا شخص ليقول لك لا؟ جميل: يوجد، في السجن أو أسوأ. فاتنة: أريد أن يتغير ذلك جميل: ماذا تقصدين فاتنة: إذا استمرت علاقتنا أريدك أن تغير من أساليبك جميل: تريدين أن تلعب دور «كاي» زوجة مايكل في فلم العرّاب؟ فاتنة: بل أريد أن لعب دور فاتنة ...



سام مار

الفصل الثاني والثلاثون

الدكتور رامى يتصل بفاتنة
رامى: أشعر أنك تغيرتي معي..ولا تريدين أن نخرج معًا. أتفهم أنك لم تريدي علاقةً حقيقيةً على أية حال، لكنني اشتقت لك..
فاتنة: أنت شابٌ رائعٌ وتستحق أفضل مني و...
رامى: لا! لا! لا تفعلي ذلك... لا تريدين جرح كبريائي فتجرحينه أكثر بهذا الكلام لأنني أفهم مغزاه!
فاتنة: رامى أنا ...
رامى: مع السلامة يا فاتني أنا وأنت انتهينا
فاتنة: مع السلامة يا صديقي
في تلك الليلة...يتناول رامى الكثير من أقذاح الفودكا...الكثير..على أنغام أغنية قديمة «لو نويت تنسى اللي فات...واللي كان والزكريات...ليه تجرحني بكلامك...طب ما تهجر من سُكَّات...لو نويبييت..»
تتصل فاتنة براندي وتشكو له أنها متأثرةٌ لأنها لم تستطع الاحتفاظ برامى كصديق
راندي: فكري فقط بالأوقات الجيدة التي قضيتها معها...ولا تلتفتي لما قاله عند الفراق
فاتنة: راندي لماذا أسمع ضجة شارع حولك ؟
راندي: لا شيء
فاتنة: لا أخبرني
راندي: والدي طردني من البيت وأمي قالت لي أنها تتمنى أن أموت...فكرت بالانتحار ثم تذكرت ما قلتيه لي مرة أن الإنسان يعيش على الأمل. وأنا ما زال لدي أمل
فاتنة: هذا القول كان للمياء...لكن راندي لماذا لم تتصل بي حالًا؟ وأنا أتصل بك لاشكو عن مشكلة لا تقارن بما تمر به!
لماذا غضبوا عليك؟
راندي: لأنني قلت لهم عندما فاتحوني بالزواج لا أريد الزواج أبدًا فأنا لا أنجذب للنساء!
فاتنة: وأين ستقضي ليلتك؟
راندي: في الشارع طبعًا، أبي قال لي إذا عدت الليلة سيقتلني
فاتنة: أليس لك أصدقاء غيري؟ أقصد صديق تقضي الليلة عنده
راندي: صديقي الوحيد توقف عن الحديث معي بسبب «الإشاعات» «فبالتأكيد لن يريد استقبالي ليؤكددها!
فاتنة: اسمع، تعال إلى بيتي، لكن لا تدق الباب، شبك غرفتي في الطابق الثاني من السهل أن تصله إذا رميتُ لك حبلًا وربطته بسريري الثقيل. ستنام هنا لرى ما ستفعل غدًا.

رواية فاتنة



سام مار

راندي: لا يا فاتنة هذا خطرٌ عليك
فاتنة: لا تخف سمعتي سيئةٌ على أية حال والإشاعات عني ليست بحاجةٍ لتأكيد!
راندي: كل امرأةٍ ذات جمالٍ أخاذٍ سمعتها هكذا هنا..إلا إذا قرت في بيتها
فاتنة: المهم تعال
راندي: لا يا فاتنة، سأذهب وأعلن توبتي النصوح وأقول أنني قلت ذلك لكي لا يكلموني عن الزواج، لا أمل غير ذلك.
اطلبي لي التوفيق من الله.
فاتنة: موفق...

الفصل الثالث والثلاثون

الأم: يا ابنتي هل جننتي؟ تريدين أن تخرجي نهاية الأسبوع وتقولين لي أن لا اقلق مهما تأخرتي؟
فاتنة: تمامًا هذا ما قلته
الأم: هل تظنين نفسك في أوروبا؟
فاتنة: لا، أعرف أين أنا ولكنني أرفض واقعي. من ماذا تخافين على أية حال؟ أن تسوء سمعتي أكثر فلا أتزوج؟ أنا لا أريد الزواج. ولن أكون علنية إلى درجة أن تسوء معاملة الناس لك بسببي. إذًا دعيني أفعل ما أشاء
الأم: يا ابنتي لماذا أنت هكذا؟ أريد أن أطمئن عليك قبل أن أموت
فاتنة: اطمئني! لو لم يضيع ابي علي البعثة الدراسية لما كنت قادرةً على وضعي تحت الرقابة!
الأم: يا ابنتي لكن المجتمع هنا يعتبر سمعتك قيمتك.
فاتنة: أمي اسمعي ، انا لست غبية، لو كنت أخطط البقاء هنا أو الزواج لكنت حريصةً جدًا على هذه الأمور . ولكنني أرفض تلك الحياة، وأريد أن أعيش بطريقةٍ مختلفة. أنا لا أفعل ما أفعل لأتحدى، بل لكي أعيش! ألم تملي من هذا الموضوع؟ إنه عيد ميلادي الحادي والعشرين لست طفلة!
الأم: مع من ستكونين؟
فاتنة: جميل رفيق
الأم: ماذا؟؟؟؟؟ مجنونة؟ معتوهة؟ مُختلة؟!
فاتنة: شكرًا يا أمي على رؤيتك لي كمختلة لكن أين الجنون في ذلك؟
الأم: أولًا هو يستطيع أن يفعل بك ما يشاء ويرميك دون زواج ولا غيره! ثانيًا كان يريد الزواج منك ورفضني حتى النخاع والآن تخرجين معه بدون زواج؟ تتصرفين عكس العالم؟

رواية فاتنة



سام مار

فاتنة: ما زلت أرفض الزواج منه، أما الخروج معه فلم أكن أعرفه وأبي أراد أن يبيعي لا أن يحسن حياتي فرفضت.
الأم: وماذا لو لم تنتهي العلاقة بالزواج؟!
فاتنة: لن تنتهي بالزواج، هو يريد الزواج بي لسبب ما، لماذا أتزوجه وأربط نفسي به بدل شق طريقي؟
الأم: هل المسألة تحدي فقط؟ ما هو طريقك؟ رجل يعرض عليك المال والمركز! ويبدو أنه يعجبك وإلا لما خرجتني معه!
وهو يحبك! الزواج هو الطريق الصحيح. استيقظي! الشرف يا بنتي! الشرف إذا ذهب لا يعود أبدًا!
فاتنة: سلمي لي على الشرف وهو في طريقه إلى الخارج يا أمي
الأم: فاتنة تريدينني أن أموت حزينة؟
فاتنة: يا أمي أرجوك أقسم لك أنني تعبت من هذه الدراما على نفس الموضوع! في وضعي بالذات أنا خارجة من هذه البلاد ولو بقيت فيها لن أتزوج أبدًا فما أفعله لا علاقة له بمستقبلي. قلت لك لو كنت أخطط للبقاء لغيرت تصرفاتي. ثم أنني حذرة نسبيًا من إثارة الفضائح العلنية مثلًا في الجامعة صديقي الشاب الوحيد مثلي و...
الأم: مثلي؟؟ أستغفر الله العلي العظيم! ما هذا الزمن؟ ثم هل يعرف الناس أنه مثلي أم يظنون عشيقتك؟ لا أعرف إن كانت معرفتهم أفضل أو أسوأ
فاتنة: أمي...توقفي
تضم فاتنة أمها
الأم: أنا فقط أريد مصلحتك يا ابنتي
فاتنة: أعرف...اطمئني.
الأم: عديني ألا تكوني غبيةً وأن يكون لديك إجابةً منطقيةً لكل تصرفٍ كما لديك الآن.
فاتنة: أعدك.
فاتنة تكتب في دفترها السري في تلك الليلة:
أنا لستُ ملاكًا..ولستُ مثاليةً...ولستُ كاملةً...ولستُ عاهرةً..أنا امرأة

الفصل الرابع والثلاثون

فاتنة على الهاتف: إذًا...ان سألني الوقت حول عيد ميلادي الواحد والعشرين معك يا جميل؟
جميل: بما أنك لا تريدين حفلاً بتلك المناسبة فلتكن مفاجئةً إذًا، السائق سيكون عندك الساعة الخامسة. المكان يحتاج بعض الوقت للوصول إليه
فاتنة: موعدٌ مبكرٌ...إسمع، هل لديك سائقة فتاة وسيارة عادية؟ أقصد ليست فارهةً جدًّا ومحصنةً من الرصاص؟
جميل : ماذا؟

رواية فاتنة



سام مار



فاتنة: من أجل أمي فقط. هي تعرف أين أذهب لكن جوقة الترحيب أمام بيتي قد تسبب لي المشاكل.
جميل: عمًاذا تتكلمين؟

فاتنة: جميل أنت تعرف أين أعيش وماذا أقصد ولماذا طلبت هذا الطلب.

جميل: حسنًا، لدي خادمة تستطيع أن تقود السيارة إلى بيتك.

فاتنة: لدي طلبٌ آخر

جميل: ما هو؟

فاتنة: بعد تلك الأمسية، أريدك أن تأتي معي لزيارة حي الرماد الشعبي

جميل: هل هذه محاولة اغتيال؟

فاتنة: لا، أريدك فقط أن ترى بعض الأشياء . حتى حي بيتي المتوسط لا يكشف لك ما سيكشفه حي الرماد.

جميل: تريدني أن أظهر في حيِّ شعبيّ وبدون حراسة؟

فاتنة: أنت لست معروفًا كوالدك، سنجد لك طريقة تنكر.

جميل: تعرفين؟ لماذا لا نזור حي الرماد أولًا إذًا؟ لا أريد أن أفكر في الموعد القادم في ذلك الحي أثناء أمسيننا معًا، لدينا

أربعة أيام قبل الموعد، متى نذهب لحي الرماد؟

فاتنة: غدًا غدًا

جميل: أراك غدًا

يصل جميل وفاتنة التي وضعت شالًا على رأسها إلى حي الرماد ...أفقر أحياء العاصمة وأعلها نسبة جرائم

جميل: ما الذي أتى بك إلى هنا في السابق؟

فاتنة: هذه أول مرة..فقط كنت أسمع.

جميل: تسمعين ماذا؟

فاتنة: أنّ هذا هو الجحيم...إنظر إلى شبكة الصرف الصحي المفتوحة...الأطفال المشردين في الشوارع...نظرات المحرومين.

بماذا تشعر عندما ترى ذلك؟

جميل: بأنها مسؤوليتهم. هذه نتيجة خياراتهم.

فاتنة: والأطفال!

جميل: نتيجة خيارات أهلهم السيئة.

فاتنة: ولكن ...أنت تستطيع تغيير كل ذلك!

جميل: من عمل منهم لتغيير وضعه قد يمكنه تغييره...أنا لن أغيرهم بل هم يغيرون أنفسهم

فاتنة: لكن بعضهم عاجزٌ يا جميل...وجد نفسه بظروفٍ يستحيل تجاوزها.

رواية فاتنة



سام مار

جميل: فاتنة، تصل مكتب والدي آلاف طلبات الاستجداء أو طلب العمل من هؤلاء، كما تعلمين بما أنّ والدي يريد مني استلام كل شيء من بعده كوني الإبن الوحيد، أقوم بالاستجابة لبعض طلباتهم بين فترةٍ وفترة.
فاتنة: والبقية ؟

جميل: فاتنة الأمور ليست بهذه البساطة، هناك ديناميكياتٍ سياسيةً واجتماعيةً ربما أنت لا تفهمينها بعد. الشخص صاحب المركز يجب أن يتصرف بحكمة
فاتنة ساخرة: سمعت شيئاً من هذا القبيل في السابق...

جميل: متى سنغادر هذا المكان نظراتهم لا تروق لي وأشعر أنهم سيحطمون السيارة بعد قليلٍ انظري كيف يتجمعون.
فاتنة: حسناً

في تلك اللحظة يضرب أحد الشباب الذي امتلأ وجهه بالندبات على السيارة : لماذا تظن أنك تستطيع أن تحتفظ بها لوحدها؟ أعطنا منها القليل...

جميل يمد يده إلى حافظة السيارة لإخراج مسدس

فاتنة: لااااا! أرجوك اتركه ولنخرج من هنا حالاً!

جميل يخرج هاتفه ويأخذ صورة ثم ينطلق بسرعة

فاتنة: لماذا أخذت صورة؟

جميل: فاتنة، فعلت ما طلبت، أراك نهاية الأسبوع، خادمتي ستكمل توصيلك لبيتك من هنا بينما آخذ سيارتي الأخرى إلى البيت. لدي الكثير من الأعمال اليوم وأضيف لها شيئاً آخر الآن.

فاتنة: لاااا أرجوك! أنا من طلبت مجيئك إلى هنا لا أريد التسبب بأذى إنسان! هذا لم يكن قصدي

جميل: هو من أذى نفسه

فاتنة: ماذا ستفعل به؟

جميل: لا شيء

فاتنة: قل لي

جميل: لا

فاتنة: أرجوك لا تقتله

جميل: حسناً

يأخذ جميل رشفة من علبة مشروب الطاقة الذي كان يتناوله...ثم يسحق العلبة بقبضته وهو سارح في الأفق بنظرة

فيها شيء من القسوة

فاتنة: جميل...أعطني هاتفك

رواية فاتنة



سام مار

جميل: لماذا؟

فاتنة بدلال: أريد أن أرى إن كنت تتحدث مع بنات غيري (:

جميل يبدو عليه الهدوء فجأة: أنت تعرفين كيف تحصلين على ما تريدين من أي رجلٍ بدون حروب... يلزمني امرأةٌ مثلك إلى جانبي... خذي امحي الصورة كما تشائين

فاتنة: جميل

جميل: أجل؟

فاتنة: أقصد ما قلته، جميل (:

في ذلك المساء تكتب فاتنة في دفترها السري:

«أنا مجنونة»

الفصل الخامس والثلاثون

إنها عطلة نهاية الأسبوع... فاتنة تجهز نفسها أمام المرآة مرتديةً فستاناً أزرق اللون يضيق على خصرها المتناسق، مُظهرًا ضمور بطنها و تناسق وركها، مكشوفًا من الظهر ليظهر تقوس ظهرها المُعْري بينما يرتخي عليه شعرها الحريري المالس الذي أطلقت له العنان، ينتهي الفستان فوق الركبة بمسافةٍ تجعل من جلوس فاتنة مُشكلةً قومية، على الفستان شرائط فضيةً تتناسب مع الشرائط على محفظتها الزرقاء ومع طقم إكسسوارات فضيٍّ مع أحجارٍ زرقاء؛ قرطٌ وعقدٌ يلتف حول رقبتها ويعكس اللون في عينيها الملتهبتين دوماً. ومن العقد تتدلى قلادةٌ مُرصعةٌ تتناسب مع البروشيه. وترتدي أيضاً حذاءً عالي الكعب أزرق اللون. أحمر الشفاه يظهر شفيتها المبرومتين برماً محكماً وكأنهما صُنعتا حسب أحلام الرجال. رموشها الطويلة التي يظن المرء للوهلة الأولى انهم من البلاستيك المتقن اكتحلتا وعينيها بالاثمد الشديد السواد ليظهر بياض عينيها الذي لا تكاد ترى فيه حُمره، مع بعض الكحلة الزرقاء على الأطراف الخارجية. تعضُّ على شفيتها وتغمز نفسها بثقةٍ ثم تمسك حقيبتها وتنظر إلى الساعة. مواعيد جميل لا تُخطيء. في الخامسة تماماً تتوقف سيارة خادمة جميل أمام البيت. عندما تخطو فاتنة خارج الباب إلى السيارة تعلقو صافرات «جوقة الترحيب» ويصرخ أحدهم «الله...الله.عظمة على عظمة يا ست»

ويصرخ آخر: «ابتعد من وجهي لأرى نعم ربي ! « وأما ثالث فيصيح «يا ليتني حذاءك...»

تنطلق السيارة بفاتنة

فاتنة: إلى أين؟

الخادمة: إلى المطار

فاتنة: ماذا؟ لماذا المطار؟

الخادمة: تعليمات السيد جميل يا سيدتي

رواية فاتنة



سام مار

تفهم فاتنة أن الخادمة غير مسموح لها بالإفصاح. تتحدث معها في مواضيع أُخرى.
تتجاوز الخادمة حواجز المطار دون إيقاف إلى أن تصل الحاجز الأخير
الخادمة : وصلنا ياسيدي

بستقبل فاتنة أربعة رجالٍ يرتدون البدلات السوداء ويمشون معها إلى طائرةٍ صغيرة. هذا النوع من الطائرات النفاثة حديثٌ جدًّا ولم يبدأ بالانتشار بين أغنياء العالم حتى العام ٢٠١٨ فهي قادرةٌ على الإقلاع عامودياً لكنها أسرع من الطائرة العاموديّة بكثيرٍ وقادرةٌ على كسر حاجز الصوت.

فاتنة : أين جميل؟

أحد الرجال: في انتظارك يا سيدتي.

تدخل فاتنة إلى الطائرة، تتفاجأ أن جميل هو الطيار

فاتنة: أنت تستطيع قيادة طائرة؟

جميل: لا، سأتدرب الليلة، هيا بنا

فاتنة: حسناً لماذا لا أتدرب أنا إذاً كون كلانا لا خبرة له؟ دعني أجرب

جميل: ليس لديك إجاباتٍ عادية؟ دائماً إفحام؟

فاتنة: أغلق الباب وانطلق أكاد أمل!

جميل بينما يغلق الأبواب ويجهز الطائرة للإقلاع: هل بدأتِ تفهمين الآن لماذا أريدك؟ أنت تتصرفين وكأنك معتادةٌ على

هذه الأمور، أنتِ عبقريةٌ بالفعل يا فاتنة. دائماً تفرضين نفسك.

فاتنة: هل فكرت في إخباري إلى أين سنذهب ولماذا طائرة؟

جميل: ألم أقل لك أن المرة القادمة لن تري أحداً غيرنا لأميال؟

يشعل جميل محركات الطائرة...ثم يبدأ بالارتفاع عامودياً...يتسارع بالارتفاع ثم يتوقف على ارتفاعٍ عالٍ قبل أن ينطلق

إلى الأمام بتسارعٍ هائلٍ جدًّا

فاتنة: كنت أقصد مكاناً هادئاً وليس منفي

جميل: إنه منفي العشاق

فاتنة: كم نحتاج لنصل إلى منفي العشاق؟

جميل: بضع دقائق. هذا الشيء سريعٌ جدًّا

فاتنة تنظر من الشباك: أين اختفت المدينة بهذه السرعة؟

جميل: نسير بسرعة ٢٧٠٠ كم في الساعة أي أكثر من ضعف سرعة الصوت ماذا تتوقعين؟

رواية فاتنة



سام مار

فاتنة: كسرنا حاجز الصوت؟ لكنني لم أسمع شيئاً
جميل: لأننا أسرع من صوت كسر الحاجز، الناس خارج الطائرة فقط تسمعه.
فاتنة: صحيح، أشعر بالغباء الآن
جميل: آسف لم أقصد، على العكس أنت ذكية جداً، أنا أعرف هذه المعلومة ولم أستنتجها لوحدي. لا تكوني قاسيةً على نفسك هكذا
فاتنة: جميل! اول مرة أكون مع شخص لا يريد الإنزال من قيمتي!
جميل: لماذا أنزل من قيمتك؟ الذين يفعلون ذلك عادةً هم من يرون أنفسهم أقزاماً أمامك فيريدون إنزالك إلى مستواهم...أما أنا، أنا جميل رفيق!
فاتنة: حسنا ستحصل على قبلة الليلة!
جميل: جميل!
فاتنة: لماذا تنادي على نفسك؟
جميل: أقصد جميل ما قلتيه
فاتنة: أعرف ما قصدته (:
جميل: أعرف أنك تعرفين (:
يبدأ جميل بتخفيض سرعة الطائرة والنزول باتجاه قمة جبل، وعلى القمة بيتٌ خشبيٌّ موجودٌ في نصف بحيرةٍ فوق القمة البركانية ولا يوجد طريقٌ له عبر البحيرة، فقط مكانٌ لهبوط الطائرة في الباحة الأمامية
جميل: الخدم انصرفوا في الطائرة الأخرى. لا يوجد أحدٌ هنا سوانا. هل هذه الخصوصية تكفيك؟
فاتنة: تم الإبهار
تهبط الطائرة
جميل: بماذا تشعرين؟
فاتنة: بأنني مجنونة...جداً
جميل: لماذا؟
فاتنة: هل جربت أن تكون في مكانٍ منعزلٍ عن العالم مع طاغية؟
جميل: أنت أكبر طاغيةٍ يا فاتنة وتعرفين ذلك...أعتذر أنني لم أمتدح فستانك إلى الآن...فقد شغلني عنه وجهك وعيونك وقوامك..

فاتنة: إفتح باب الطائرة لا أريد تقبيلك هنا
يبتسم جميل ويفتح الباب...يدخلان إلى البيت ويقودها جميل إلى شرفةٍ في خلفية البيت تطل على البحيرة المحيطة مباشرةً، وفيها ضوءٌ خافت، و دولابٌ معدنيٌّ كبير. يضغط جميل على زرٍّ فينقلب باب الدولاب فإذا به مليءٌ بمشروباتٍ

رواية فاتنة



سام مار

فاخرة جدًا وكل زجاجةٍ موصولةٍ بأنبوب
فاتنة: ما هذا ؟
جميل: بار إلكتروني بدل أن نضيع وقتنا بخلط المشاريب بأنفسنا
فاتنة: وماذا لو أردتُ أن أخلط لك مشروبًا على ذوقي؟
جميل: يوجد خيارٌ يدويٌّ يمكنك طلب النسب
فاتنة: وأين مدفأة النار؟
جميل: كيف عرفتِ أن هناك مدفأة نار؟
فاتنة: لأن كل شيءٍ تفعله كامل... ولا ينقصه شيء... إضافةً لأنني عرفت ذلك عندما رأيت كرسيتين هزازين.
جميل: لنبدأ سهرتنا!
يكشف جميل عن المدفأة، ويطلب «كوزموبوليتان» لفاتنة بينما تطلب هي له «الجن مع التونيك»
تنعكس النيران في عيني فاتنة... وتشتعل في قلب جميل....

الفصل السادس والثلاثون

ضوء مدفئة الحطب إضافةً إلى أضواء زرقاء خافتة تعطي الغرفة التي فيها جميل وفاتنة جوًّا مميزًا.
جميل: أولًا أريد أن أقدم لك هدية عيد ميلادك
فاتنة: أحضرت هديةً أيضًا؟
يقدم جميل صندوقًا كبيرًا لفاتنة
فاتنة: هل تسمح لي بفتحها؟
جميل: طبعًا
تكشف فاتنة غلاف الهدية لتجد صندوقًا عليه صورة وعاء طبخٍ وعدة مطبخ
جميل يراقب الاستغراب على وجه فاتنة فيستطرد بسرعة: افتحي الصندوق
تفتح فاتنة الصندوق فتجد صندوقًا أصغر في الداخل عليه صورة هاتفٍ حديثٍ جدًا
فاتنة: شكرًا جميل و...
جميل: افتحيه
تفتح فاتنة الصندوق فتجد علبة سوداء فاخرةً جدًا... تفتحها لتجد مفتاح سيارةٍ ثمنها ثروةٌ كاملةٌ
فاتنة: ما هذا يا جميل؟
جميل ضاحكًا: هديتك، ستقودينها من المطار إلى البيت، أصدرت لك رخصة قيادةٍ أيضًا
فاتنة: جميل، الموضوع ليس مضحكًا... زعلتني

رواية فاتنة



سام مار

جميل: ماذا؟

فاتنة: هل كنت تتوقع مني بأي شكلٍ من الأشكال أن أقبل هذه كهديّة؟

جميل: لمّ لا؟

فاتنة: جميل، سأعطيك خمس ثواني لتفكر في الموقف وتعتذر وتبدأ من جديد. لا أمزح

جميل: حسناً... ربما تسرعت قليلاً لكن...

فاتنة: قليلاً؟

جميل: كثيراً... كان يجب أن أبدأ بشيءٍ صغيرٍ و...

فاتنة: لا، كان يجب أن تبدأ بشيءٍ رمزي. قبولي دعواتك إلى أماكن فاخرة شيءٍ وقبول عطايا شيءٍ آخر تمامًا! الأولى جزءٌ

من العلاقة أما الثانية فتأكيد سيطرةٍ وفرض مكاناتٍ أو حتى فرض علاقة! لم أتوقع منك هذا يا جميل! أنت تخرج مع

فاتنة وليس مع فتاةٍ عشرينيةٍ عادية! خذ مفتاحك وغير الموضوع!

جميل: أمرك... أنا آسف

فاتنة تشرب كأسها دفعةً واحدة: اعتذارك مقبول، الآن إطلب لي شراباً قوياً على ذوقك

جميل: إليك الابسينثي، مشروب فان جوخ وبيكاسو

فاتنة: تريد أن تسبب لي الهلوسة بسبب عشبة الدودة التي يحتويها هذا الشراب؟ أيها اللعين:

جميل: من أين تعرفين ذلك؟! المهم... أنا آسف على موضوع الهدية و...

فاتنة: أيّة هدية؟

جميل: صحيح... بدأنا من جديد

فاتنة: إذاً قل لي من أنا في نظرك؟

جميل: أنتِ فاتنة

فاتنة: أقصد من أنا كإنسانة في نظرك؟

جميل: قصدت فاتنة كصفة وليس إسم (:

فاتنة: (جميل :)

جميل: اطلبي لي شراباً على ذوقك

فاتنة: إليك مشروب ساينت جيرمان الذي يحتوي زهرة العجوز، لا يسبب الهلوسة كخيارك لي، لأنّي طيبةٌ و لست مثلك (:

جميل: أنا؟ ماذا فعلت لك لتقولي ذلك؟

فاتنة: أتعرف يا جميل... أنت طيبٌ جداً معي... ولطيف... لكن هذا ليس لأنك كذلك، مثل الله

رواية فاتنة



سام مار

جميل : مثل الله!؟

فاتنة: كل دين الإله يريد أن ينعم على أتباعه لكنه يريد أن يعذب البقية. ماذا يكشف ذلك عن شخصيته؟ هو ليس شخصاً جيداً، لكنه جيدٌ مع أتباعه.

جميل: مجنونة

فاتنة: ما أقصده...هو...هل يمكن أن أقنعك بأن تكون طيباً مع الجميع؟
جميل: لو كان ما تقوليه صحيحاً فلا أعتقد أنك تستطيعين تغييره... لكنك مخطئة
فاتنة: كيف؟

جميل: أنا حازمٌ في تعاملي لكن ذلك ليس شراً. تعلمت ذلك من والدي. هل تظنين أن الرجال مثل والدي يصلون إلى مراكزهم بالصدفة؟ هناك قواعد علمني إياها والدي لا تستطيعين نقض منطقتها
فاتنة: دعني أجرب

جميل: أولاً، إذا التقى رجلين في تصادم مصالح، فقط الرجل الغبي سيجعل الحظ يحدد من الراح
فاتنة: العبارة صحيحة فقط إذا كان هناك قالبٌ أخلاقي. أي مثلاً أن يتغلب عليه بذكائه أو قدرته
جميل: لا، خطأ، الرجل الطموح يقهر بقية الرجال بطريقتين، إذا كانت قدراته خارقةً يقهرهم بقدراته، إذا لم تكن كذلك يقهرهم بأن يتحكم بزمام الأمور بأية طريقة
فاتنة: لا أحتمل الغدر أبداً وأحتقر من يطعن في الظهر
جميل: فاتنة، نسيت أننا نتحدث عن رجلين يتبارزان، أي في حالة تأهب، لا يوجد طعن في الظهر. لكن قد يوجد معاناة،
قرأتي كتاب ١٩٨٤ لجورج اورويل؟

فاتنة: طبعاً

جميل: تذكرين تلك العبارة «كيف يتحكم رجلٌ بآخر يا ونستون؟ ونستون: بأن يجعله يُعاني»
فاتنة تتقدم بمشيتها المغربية تجاه جميل ثم تقرب وجهها منه: وكيف يتحكم رجلٌ بامرأة يا وينستون؟
جميل يحاول تقبيلها، ترجع رأسها: لا...أجبنني أولاً
جميل: بأن يجعلها تحبه؟

فاتنة: نوعاً ما، لكن قل لي، كيف يملكها؟

جميل: أنتِ تؤمنين أن الرجل يملك المرأة؟ ظننت ذلك ضد مبادئك تماماً
فاتنة تسحب ثلجتها من شرابها...وتمررها على شفيتها وهي تتحدث ثم تقترب من جميل حتى تلامس شفيتها أذنه

رواية فاتنة



سام مار

وتهمس: إذا جعلها تشعر أنها أعظم امرأة في العالم...تصبح مُلكه!
شفتي فاتنة أصبحتا باردتين كالثلج...تطبق بهما فاتنة بنعومة على جزء من إذن جميل فيشعر بنعومتها وبرودتها معاً..ثم يشعر بلسانها الدافئ يمر بين شفتيها على أذنه بنفس الوقت ..بينما تمرر فاتنة الثلجة على رقبته تاركة خطا بارداً...تتبعه بتمرير لسانها الدافئ يبطنه...ثم ترجع رأسها الى الوراء وتنظر في عينيه ...وتبدأ بالابتعاد جميل: إلى أين ؟
يسحبها إليه بقوةٍ ويقبل شفتيها، بعد القبله تُرجع فاتنة رأسها إلى الوراء وتغمض عينيها فيمطرها جميل بالقبل على وجهها ورقبتها
فاتنة بدلال: جميل...لا...لا...
جميل يقبلها أكثر، فجأةً تفتح عينيها، تنظر في عينيه بقوة، ثم تندفع لتقبيله كالنمرة...يطفىء جميل الضوء وتبقى المدفأة فقط

الفصل السابع والثلاثون

بينما يتبادل جميل وفاتنة القبل على ضوء مدفئة الحطب يبدأ جميل بخلع فستان فاتنة من الأعلى ...تتوقف فاتنة عن التقبيل ثم تنظر اليه بابتسامة قبل ان تخلع هي الفستان كاشفةً ملابس داخلية زرقاء-فضية متناسقة تظهر مفاتيها. ثم تنسحب من تحت جميل بسرعة وتخرج الى الشرفة و تناديه : تعال.

يتبعها جميل وعندما يفتح الباب ينهر بمنظر فاتنة بجسدها المتناسق تحت ضوء القمر الفضي وكأن لون الملابس الداخلية الأزرق-الفضي متناسب تماماً مع لون انعكاس ضوء القمر على باقي جسدها.
يندفع جميل باتجاهها ويبدأ بتقبيلها على رقبته والجزء المكشوف من صدرها...ترمي فاتنة الى الوراء ثم تقول: دخيلك دخت...دخت
يتوقف جميل للحظة، تتركه فاتنة وتدخل ثم تعود و هي تلتحف غطاء السرير حولها.

فاتنة: أحضر غطاءً أنت أيضاً وعد لنجلس تحت القمر.



سام مار

رواية فاتنة



جميل: ولكن...
فاتنة: ألا تريد أن تجلس معي تحت القمر؟
جميل:...بلى ولكن...
فاتنة: هل أنا مملّةٌ إلى هذه الدرجة ؟ (:
جميل يحضر غطاءً هو الآخر ويجلس إلى جانب فاتنة على الأرجوحة التي على الشرفة
فاتنة: جميل...
جميل: القمر؟
فاتنة: لا، قصدت إسمك يا جميل (:
جميل: فاتنة
فاتنة: معك حق، أنا إسمٌ على مُسمى
جميل: من أين تعلمتي ان تتكلمي هكذا؟ كم عمرك؟ حقًا ٢١ أم أنك مصاصة دماءٍ عمرها قرون؟
فاتنة: ألم تراني في ضوء الشمس سابقًا؟ قل لي، ما هذا المكان؟
جميل: منفى العشاق
فاتنة: من سمّاه منفى العشاق؟
جميل: أنا، في الحقيقة هذا البيت اشتراه والدي منذ كنت طفلًا. كان يقول لي أنه لا يشعر بالأمان إلا هنا.
يطوق جميل فاتنة بذراعه وهما جالسان
فاتنة: أشعر بالأمان أنا أيضًا...أليس ذلك غريبًا؟
جميل: لماذا؟
فاتنة: ألم تكن على وشك قتل رجلٍ في حي الرماد ؟ لم أرَ أي ترددٍ على وجهك وأنت تهتمّ بإشهار مسدسك.
جميل : أين الغرابة في شعورك معي بالأمان لم أفهم؟
فاتنة: ألا ترى وجه العلاقة؟
جميل: طبعًا لا، هل يخاف الشبل من أمه لأنها تقتل حمار الوحش؟
فاتنة: أقنعتني (:
جميل يحاول تقبيلها فاتنة تتمنع ثم تضع إصبعها على شفته
فاتنة: أشعر بالنعاس، أنت نم هنا على الأرجوحة الجو دافئ. سأنام في الداخل.
جميل: حسنًا...
في الصباح يستيقظ جميل على رائحة الطعام، فاتنة ربطت شعرها وارتدت بدلة تمرينٍ خفيفة.

رواية فاتنة



سام مار

فاتنة: صباح الخير! سمحت لنفسي بإعداد فطور بسيط. تحب أن تشرب الشاي أم القهوة؟

جميل: مشروب الطاقة

فاتنة: ستشرب الشاي معي إذًا، ثم تعيدني إلى البيت

جميل: لماذا لا نقضي اليوم هنا؟

فاتنة: لأنّ أُمِّي اتصلت بي أكثر من ١٢ مرة .

جميل: ألم تقولي لها أنك ستقضي الليلة هنا؟

فاتنة: لا قلت لها أنني سأتاخر فقط

جميل: لكنك كنت تعرفين أنك ستقضي الليلة هنا

فاتنة: كيف عرفت؟

جميل: لأنك أحضرت هذه الملابس في حقيبتك !

فاتنة: لكل جوادٍ كبوة ولكل عالمٍ هفوة ولكل صارمٍ نبوة! كيف غاب ذلك عني؟

جميل: لا تكوني قاسيةً على نفسك هكذا

يتناولان الفطور متبادلين أحاديث عادية

-في مكانٍ آخر، تجري أحداث من نوعٍ مختلف-

يوسف نجح بعقد لجنة الإفراج عن السجناء التي تلتقي مع أخيه أبو صابر

مدير اللجنة الشيخ عدنان: يا سيد أبو صابر أعطنا سببًا للإفراج المبكر عنك، أهل القتيلة تنازلوا عن حقهم لكن ماذا

عن الحق العام؟

أبو صابر: أنا مسجونٌ لأنني لم أقبل التنازل عن ديني وشرفي يا سيدي الشيخ. القابض على دينه هذه الأيام كالقابض

على الجمر.

الشيخ عدنان: لكن الجريمة حدثت في مكان عام ويجب حفظ هيبة القانون

أبو صابر: هل أصبح غسل العار جريمة؟ يا سيدي الشيخ ضع نفسك مكاني، ماذا ستفعل لو قالت لك ابنتك انا ذاهبةٌ

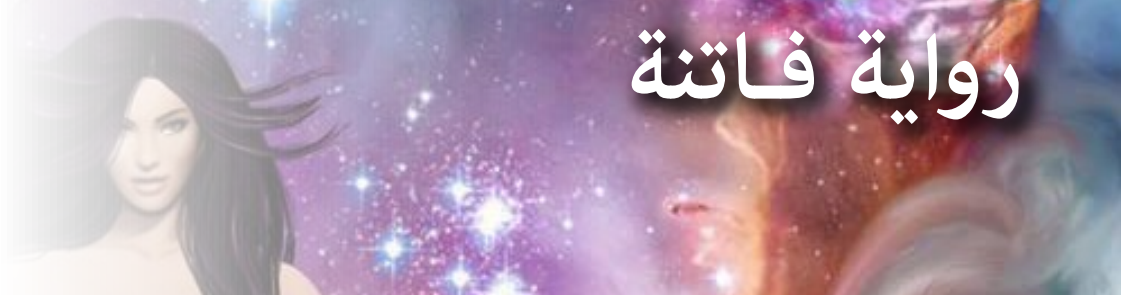
لمضاجعة رجال كفار بدون عقد نكاح؟

الشيخ عدنان: سنعرض الموضوع على اللجنة العليا، وسأوصي أنا بالإفراج عنك تحت بند التوبة النصوح.

يبتسم يوسف وأبو صابر برضى



سام مار



رواية فاتنة

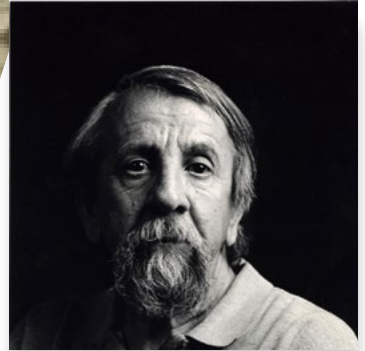
الفصل الثامن والثلاثون

جميل يعيد فاتنة إلى المطار ومنه تعيدها الخادمة إلى البيت.
الأم تستقبل فاتنة على الباب: يا ابنتي ما الذي تفعلينه! ألا تعرفين حكم المجتمع على من تتصرف هكذا؟
فاتنة: أعرف، الإعدام
الأم: على الأقل أعادتك فتاة إلى البيت، لكن أين كنت؟
فاتنة: في منفى العشاق
الأم: اللعنة على تلك الكتب والمسلسلات الرومانسية التي لعبت بعقلك
فاتنة: منفى العشاق مكانٌ حقيقيٌّ يا أمي (: تعالي أحدثك عنه
الأم: لا لا أريد أن أعرف، ضغطي ارتفع
فاتنة: سلامتك يا أمي
تتفاجيء فاتنة عندما تدخل البيت....

يتبع في العدد القادم ...

ما ليس من القرآن

وما ضاع منه



سامي الذيب

تكفير من يقول بنقصان أو زيادة في القرآن:
تجمع مصادر التاريخ الإسلامي بأن أحد أسباب قتل
عثمان أشنع قتلة، هو اتهامه بتغيير القرآن، وهو ما قاله
محمد ابن الخليفة أبو بكر لعثمان قبل قتله



سامي الذيب

ما ليس من القرآن و ما ضاع منه

يُتهم الشيعة بأنهم يقولون أن القرآن محرّف، ولذلك نجد حملة من التيار السني ضدهم، وأنقل هنا فقرة من كتاب عنوانه الشيعة وتحريف القرآن:

(يا أبناء الشيعة الإثني عشرة: إن الإيمان بصحّة القرآن الكريم أصل من أصول الدين وأركانه، والكافر به ولو بحرفٍ من حروفه فقد كفر به وبأصل من أصول الدين، وإن عدم الإيمان بحفظ القرآن وصيانته يجرّ إلى إنكار القرآن وتعطيل الشريعة التي جاء بها رسول الله لأنه حينذاك يُحتمل في كل آيةٍ من آيات القرآن الحكيم أنه وقع فيها تبيدٌ وتحريفٌ، وحين تقع الاحتمالات تبطل الاعتقادات والإيمان، لأن الإيمان لا يكون إلا باليقينيّات وأمّا بالظنيّات والاحتمالات فلا يكون)

ويضيف هذا الكتاب: «صرّح كبار علماء السنّة أن من اعتقد أن القرآن فيه زيّادةٌ أو نقصٌ فقد خرج من دين الإسلام. ويُستشهد في هذا الخصوص بعددٍ من فقهاء المسلمين الذين يعتبرون أن من يعتقد ذلك فهو كافرٌ. وحقيقة الأمر أن بعضاً من السنّة والشيعة يُقرّون بأن هناك آياتٌ ضاعت من القرآن أو أنها ليست من القرآن.

ما عليه القرآن الآن وما عدد آيات القرآن:

القرآن الحالي يتضمّن 114 سورة ممزوجةً تخلط بين السور المكيّة والمدنيّة خلافاً لأي منطقٍ، وفي السور المكيّة آياتٌ مدنيّةٌ تمّ حشرها حشراً بين الآيات المكيّة.

وعدد آيات القرآن يختلف حسب الروايات. ويشير البعض إلى وجود التراقيم التالية:

- الترقيم المدني الأول (6000 آية)

- الترقيم المدني الأخير المتداول في المغرب (6214 آية)

- الترقيم المكيّ (6219 آية)

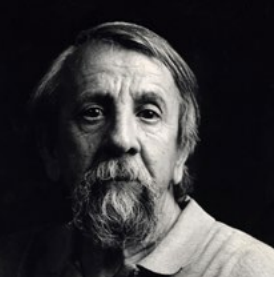
- الترقيم الشاميّ (6226 آية)

- الترقيم الكوفي (6236 آية) ويتبعه كلٌّ من مصحف الملك فؤاد في عام 1923 ومصحف المدينة الذي يوزّعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

- الترقيم البصري المتداول في السودان (6204 آية)

- ترقيم المستشرق الألماني جوستاف فلوجل «Flügel» لعام 1834 (6238 آية)

- ترقيم الدولة العثمانية حوالي عام 1880 (6344 آية)



سامي الذيب

ما ليس من القرآن و ما ضاع منه

وهذا لا يعني أن النص القرآني يختلف في الطول أو القصر وفقاً للروايات، ولكن تم تقسيم الآيات بصورة مختلفة؛ وهذا الأمر يخلق ارتباكاً عند أتباع نظرية الإعجاز العددي للقرآن، فعلى أيّ عددٍ يجب الإعتماد؟ ولذلك يطالب القرآنيون، وهم من أوائل المدّعين بوجود إعجازٍ عدديٍّ في القرآن، بأن يتم الإتفاق على تعدادٍ موحدٍ وترقيمٍ موحدٍ لآيات القرآن، حتى يتمكنوا من الهلوسة براحتهم دون الإصطدام باختلاف تعداد آيات القرائين وحتى يوسّعوا عدد مستمعهم الذين يضحكون عليهم.

ما يعتبره البعض ليس من القرآن:

المسلمون متفقون عامّةً أنّ كل ما في القرآن هو جزءٌ لا يتجزأ من القرآن، وأن كل ما في القرآن هو من القرآن، وأن القرآن محفوظٌ من التحريف إعتماداً على قول القرآن «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»، فلا زيادة ولا نقصان فيه، هذا منطلقٌ عقائديٌّ لا يعيره الباحث أي اهتمامٍ ويراها مجرد هراءٍ في هراء، فالباحث يتعامل مع القرآن كنصٍّ بشريٍّ وليس ككتابٍ نازلٍ من السماء، إذ لا ينزل من السماء إلاّ المطر والنيازك وبراز الطيور، وهذا الإعتقاد يخالف ما نجده في المصادر الإسلاميّة ذاتها، فهناك من اعتبر أن بعض السور أو بعض الآيات ليست من القرآن ولذلك قام بحذفها من نسخته، ونذكر هنا على سبيل المثال:

أنكر عبد الله ابن مسعود على لجنة عثمان إضافة المعوذتين إلى القرآن (أي سورتي الفلق والناس، وهما آخر سورتين وفقاً لترتيب مصحف عثمان: 20-113 و21-114)، وكذلك الأمر في الفاتحة (أي السورة 1-5).
فيكون عدد سور قرآن ابن مسعود 111 سورة بدل 114 سورة يتضمّنهما قرآن عثمان.

يقول السيوطي حول هذا الموضوع: «أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن وهو في غاية الصعوبة، لأنه إذا قلنا إن النقل المتواتر كان حاصلًا في عصر الصحابة كون ذلك من القرآن، فإنكاره يوجب الكفر وإن قلنا لم يكن حاصلًا في ذلك الزمان فيلزم أن القرآن ليس بمتواترٍ في الأصل».

ويُشار هنا إلى أن قرآن ابن مسعود كان واسع الإنتشار في الكوفة وقد رفض تسليم قرآنه لحرقه معتبراً أن نصّه أفضل من نصّ زيد بن ثابت، وأنه كان يجب اختياره لجمع القرآن بدلاً من زيد، فقد أصبح مسلماً في مكة قبل مولد زيد، ويخبرنا اليعقوبي: «جمع عثمان القرآن وألفه، وصيّر الطوال مع الطوال، والقصار مع القصار من السور، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت، ثم سلقها بالماء الحار والخل، وقيل أحرقها، فلم يبق مصحفٌ إلاّ فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود، وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، وكتب إليه عثمان: أن أشخصه، إنه لم يكن هذا الدين خبالاً وهذه الأمة فساداً، فدخل المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنه قد قدمت عليكم دابةٌ سوءٍ، فكلمه ابن مسعود بكلامٍ غليظٍ فأمر به عثمان، فجزّ برجله حتى كسر له ضلعان».



سامي الذيب

ما ليس من القرآن و ما ضاع منه

ويظهر أن مصحف ابن مسعود استمر موجوداً حتى عام 389 هجرية حيث تم حرقه بعد فتنه بين الشيعة والسنة ببغداد، ويقول السرخسي في المبسوط: «ونحن أثبتنا التابع بقراءة ابن مسعود فإنها كانت مشهورة إلى زمن أبي حنيفة رحمه الله تعالى حتى كان سليمان الأعمش يقرأ ختماً على حرف ابن مسعود وختماً من مصحف عثمان والزيادة عندنا تثبت بالخبر المشهور».

ويقول المعتزلة بأن سورة المسد (111-6) ليست من القرآن، فقد كان عمرو بن عبيد إمام المعتزلة يتمنى ويقول: «وددت أنني أحك سورة تبت يدًا أبي لهب وتب»، لأن المعتزلة كانوا قدرية، وهذه السورة نزلت على أبي لهب وهو لا يزال حياً ومخاطباً بالدعوة، وفيها إخبار بأنه من أهل النار.

ويقول الخوارج أن سورة يوسف (12-53) أيضاً ليست من القرآن، وهذا القول ينسب إلى طائفتين منهم هما العجاردة والميمونية، وحجتهم في هذا أن القرآن جاء بالجد، وسورة يوسف اشتملت على قصص الحب والعشق.

وقد ابتدع الدكتور رشاد خليفة من القرآنيين فكرة الإعجاز العددي للقرآن اعتماداً على رقم 19، الذي جاء في الآيات 74: 27 - 30 «وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ». وقد استقبل المسلمون نظريته هذه

بالتزمير والتطويل والتهليل، إلا أن حساباته اصطدمت بآيتين أفسدت عليه نظريته وهما الآيتان 9: 128 و129

«لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»

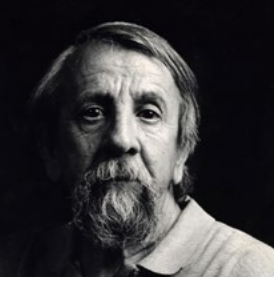
فقام بحذفهما من ترجمته الإنكليزية للقرآن، وقد تبنى نفس الفكرة تلميذه التركي أديب يوكسل في ترجمته الإنكليزية، مضيفاً الآيتين دون ترقيم ووضع ملاحظة للآية 127 مشيراً إلى أنهما ليستا من القرآن.

ما ضاع من القرآن وفقاً للتيار السنّي:

تذكر كتب التراث الإسلامي، أن الملاك جبريل كان يراجع القرآن كل سنة مع النبي، وفي آخر سنة كانت المراجعة قبل وفاته، وكان الملاك يحذف عدداً من الآيات في كل مراجعة.

ورغم ما يتضمّن هذا الكلام من خرافة إلا أن السيوطي (توفي عام 1505) يذكر لنا إن عدد آيات سورة الأحزاب 33-90 كان 200 آية أو أطول من سورة البقرة 2-87 التي تتضمن 286 آية، ولكن لم يبق منها حالياً إلا 73 آية.

ويعطي السيوطي أمثلة أخرى لسور وآيات اختفت من القرآن وينقل عن أبي عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال لا يقولن أحدكم أخذت القرآن كله وما يدرية ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقبل قد أخذت منه ما ظهر



سامي الذيب

ما ليس من القرآن و ما ضاع منه

ويلاحظ أن سورة التوبة هي السورة الوحيدة في القرآن التي لا تبدأ بالبسملة: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». ويرى مالك بن أنس أنه سقط منها الكثير عندما سقطت البسملة، وهناك من يرى أنه لم يبق منها في القرآن الحالي إلا ربعها، مما يعني أنه سقط منها ثلاثة أرباع آياتها بما فيه البسملة.

وتشير بعض الروايات إلى أن ابن كعب يضيف إلى قرآنه سورتي القنوت، وهما سورة الخلع وسورة الحفد، وهذا نصهما وفقاً لمصادرٍ مختلفة:

سورة الخلع: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ وَلَا نَكْفُرُكَ وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ».
سورة الحفد: «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَخْفِدُ نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ أَلْجِدُ إِنْ عَذَابَكَ بِالْكَفَّارِ مُلْحِقٌ».

وكان الكثيرون يعتبرون هاتين السورتين جزءاً من القرآن ومنهم ابن عباس وأبو موسى الأشعري وأنس بن مالك، وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري والحسن البصري. وكان عمر بن الخطاب يقرأ هاتين السورتين في الصلاة، وقد وضعهما جلال الدين السيوطي في آخر تفسيره «الدر المنثور» بعد (المعوذتين) إيماناً منه بأنهما سورتان من القرآن. ولو اعتمدنا على الروايات الصحيحة والموثوقة عند أهل السنة فإن القرآن الحالي لا يبلغ نصف القرآن المنزل على محمد.

ضاع ثلثي القرآن وفقاً للشيعة:

يذكر الكليني الملقب «ثقة الإسلام» (توفي عام 941) «إِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ جَبْرَيْلُ إِلَى مُحَمَّدٍ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ آيَةٍ»، علماً بأن القرآن الذي بين أيدينا يتضمن 6236 آية، مما يعني أن قرابة ثلثي القرآن قد ضاعاً وفقاً للشيعة، وفي كلامه عن مصحف فاطمة، يقول الكليني: «مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَاللَّهُ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ». وقد ذكر الفيض الكاشاني (متوفي عام 1680) في المقدمة السادسة لتفسيره (الصافي): «إن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد، منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغيرٌ ومحرّفٌ، وإنه قد حذف عنه أشياء كثيرة، منها إسم عليّ في كثيرٍ من المواضع ومنها غير ذلك وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله [...]». ويرد على هذا كله إشكال وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا الاعتماد على شيءٍ من القرآن إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرّفًا ومغيرًا، ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجةً أصلاً فتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك».



سامي الذيب

ما ليس من القرآن و ما ضاع منه

ويتهم بعض الشيعة الخليفة عثمان (توفي 656) بحذف أو تعديل نصوص قرآنية تشير إلى علي (توفي 661)، منافسه السياسي، ويقولون إن سورا كاملة وعددا من الآيات اختفت أو اجتثت من القرآن. ويذكر كاتب سني 208 أمثلة للتحريف الذي يزعمه الشيعة، ولكن هناك كتابٌ شيعي ينفي مثل هذه الإتهامات عن الشيعة ويضيف أن ادعاءات تحريف مماثل، أكثر عددا توجد في كتب سنية.

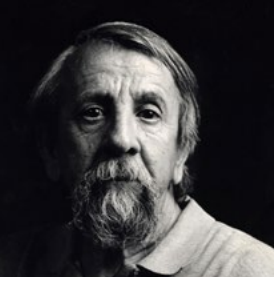
ومن بين تلك السور التي يعتقد بعض الشيعة أنه تم حذفها من مصحف عثمان سورة الولاية وسورة النورين، كي لا يحصل علي بن أبي طالب على الخلافة بعد وفاة محمد، ونحن ننقلهما هنا لمجرد العلم. فالعلم بالشيء خيرٌ من الجهل به:

سورة الولاية

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي وبالولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم﴾ ﴿نيي وولي بعضهما من بعض، وأنا العليم الخبير﴾ ﴿إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم﴾ ﴿والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا باياتنا مكذبين﴾ ﴿إن لهم في جهنم مقاما عظيما إذا نودي لهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين﴾ ﴿ما خلفهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب، وسبح بحمد ربك وعلي من الشاهدين﴾

سورة النورين

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم﴾ ﴿نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم﴾ ﴿إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم﴾ ﴿والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم﴾ ﴿ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم﴾ ﴿إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم﴾ ﴿إن الله قد أهلك عادا وثمودا بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون﴾ ﴿وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين﴾ ﴿ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون﴾ ﴿إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون﴾ ﴿إن الجحيم مأواهم وأن الله عليم حكيم﴾ ﴿يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون﴾ ﴿قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون﴾ ﴿مثل الذين يوفون بعهدك أي جزيتهم جنات النعيم﴾ ﴿إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم﴾ ﴿وإن عليا من المتقين﴾ ﴿وإن لنوفيه حقه يوم الدين﴾ ﴿ما نحن عن ظلمه بغافلين﴾ ﴿وكرمناه على أهلنا أجمعين﴾ ﴿فإنه وذريته لصابرون﴾ ﴿وإن عدوهم أمام المجرمين﴾



سامي الذيب

ما ليس من القرآن و ما ضاع منه

﴿ قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون ﴾ ﴿ يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آياتٍ بيناتٍ فيها من يتوفاه مؤمناً ومن يتوليه من بعدك يظهر من بعدك يظهر ﴾ ﴿ فأعرض عنهم إنهم معرضون ﴾ ﴿ إنا لهم محضرون ﴾ ﴿ في يومٍ لا يغني عنهم شيءٌ ولا هم يُرحمون ﴾ ﴿ إن لهم جهنم مقاما عنه لا يعدلون ﴾ ﴿ فسبح باسم ربك وكن من الساجدين ﴾ ﴿ ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون ﴾ ﴿ فصر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون ﴾ ﴿ فاصبر فسوف يبصرون ﴾ ﴿ ولقد آتينا بك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين ﴾ ﴿ وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون ﴾ ﴿ ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين ﴾ ﴿ يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً فخذه وكن من الشاكرين ﴾ ﴿ إن علينا قانتا بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجوا ثواب ربّه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم يعذبون ﴾ ﴿ سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون ﴾ ﴿ إنا بشرناك بذريته الصالحين ﴾ ﴿ وإنهم لأمرنا لا يخلفون ﴾ ﴿ فعليهم مني صلواتٌ ورحمةٌ أحياءٌ وأمواتاً يوم يبعثون وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قومٌ سوء خاسرين ﴾ ﴿ وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمةٌ وهم في الغرفات آمنون ﴾ ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾

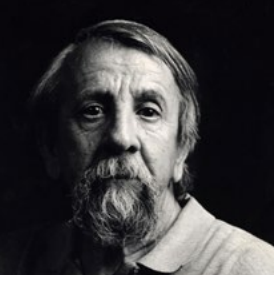
عواقب ضياع أجزاء كبيرة من القرآن:

أدى ضياع أجزاء كبيرة من القرآن إلى تفكك أوصال القرآن.

لنفرض أنك وجدت قطعاً من تمثال كبير مهشم ، فتحاول أن تعيد تركيب أجزاء هذا التمثال.. ولكن إن ضاعت أجزاء من هذا التمثال، فإنك سوف تصل إلى تمثال غير مكتمل مليء بالثقوب، فمثلاً ترى أنه بلا أنف، أو بلا ذراع أو بلا رجل أو بلا عين إلخ. وهذا ما نلاحظه في القرآن، فإن أنت قرأت آية سورة من سور القرآن، خاصة الطويلة منها، تجد أن تركيبها معيب، حاول أن تأخذ سورة البقرة على سبيل المثال وضع فهرساً لمحتوياتها وابحث عن الروابط بين تلك المحتويات، فستجد بأن القرآن يقفز من موضوع إلى آخر دون أي سبب معقول.

وترى تفكك أوصال القرآن ضمن الآية الواحدة في بعض الأوقات، فلنأخذ مثال الآية الثالثة من سورة البقرة: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعْوُوا ﴾. فما علاقة اليتامى مع الزواج من أربعة؟

وقد رأى البعض أن ما بين الجزء الأول من الآية والجزء الثاني ضاع ثلث القرآن.



سامي الذيب

ما ليس من القرآن و ما ضاع منه

وتقول الآية الأولى من سورة المائدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

فما علاقة الوفاء بالعقود والمحرمات في مجال الطعام؟ لا شيء البتة، مما يثبت أن جزءاً من النص القرآني قد فقد.

اختصر الشيخ مصطفى راشد الحالة التي عليها القرآن الآن في مقال (1) نأخذ منه خلاصته:

أن القرآن الكريم المسمّى بمصحف عثمان، الموجود بين أيدينا الآن، هو ما تمكّن عثمان بن عفان من جمعه أو أراد ذلك، وتمسك به دون باقي المصاحف، ثم أحرق باقي المصاحف، مثل مصحف عبد الله ابن مسعود، ومصحف ابن عباس، ومصحف عائشة، وغيرهم مما جعل الصحابة والمسلمين، وعلى رأسهم السيدة عائشة، يكفرون عثمان ويطالبون بقتله، ثم يرفضون دفنه بعد قتله في مقابر المسلمين. وبالفعل دفن في مقابر اليهود بمنطقة حش كوكب بالمدينة.

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هناك الكثير من الآيات المفقودة، وعلينا أن نكون صادقين مع الله ونقر ونفتي بأن القرآن غير مكتمل وأن من يقول بغير ذلك فإما جاهل أو يكذب على الله وهو الكفر بعينه والعياذ بالله.

المصدر : 1 - <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=334809>

نُشر سابقاً في الحوار المتمدن

د. سامي الذيب

مدير مركز القانون العربي والإسلامي : <http://www.sami-aldeeb.com>

كتبي : <http://www.sami-aldeeb.com/sections/view.php?id=14>

طبعتي العربية للقرآن بالتسلسل التاريخي والرسم الكوفي المجرد:

<http://www.sami-aldeeb.com/articles/view.php?id=315>

كتابي عن الختان: <http://www.sami-aldeeb.com/articles/view.php?id=131>

من يجد مشكلة في التحميل، يمكنه الاتصال بي على عنواني: sami.aldeeb@yahoo.fr

إنهم يلوحون بكتبهم المقدسة بوجه المارة، يصرخون بوصاياهم على المثليين، يركعون على ركبهم ويتعبّدون منصّةً حجريةً تحتوي على وصاياهم العشرة، في حين يطالبون بالسماح للصلاة في المدارس. إنهم يتوسّلون للرب أن ينقذ أميركا من خصومها السياسيين وخصوصًا الديمقراطيين، إنهم يتجمّعون في ملاعب كرة القدم بالآلاف ليُصلّوا لخلّص البلد.

إنهم محتالو الرب، مسيحيو الكافتريا (أو مؤمنو البوفيه كما نسمّيهم) الذين يختارون مقتطفاتٍ من الإنجيل للتبشير بها بعنايةٍ أقلّ من عنايتهم باختيار الطباق الجانبية للغداء. ينضم اليهم بعض المبتكرين الأصوليين الذين لا يستطيعون إيجاد نصّ يلائم توجهاتهم ومعتقداتهم لذلك يلوون العبارات ويعدلون التفسير ليثبتوا بأنهم يقدّسون كلمة الكتاب المقدس .

إنها لم تعد مسألة إيمان شخصي مع وجود هؤلاء السياسيين والقادة الاجتماعيين وحتى رجال الدين الذين يستشهدون بكتابٍ لا يبدو أنهم قرأوه وفهموا كلماته. أميركا حاليًا محاصرةً بجهل الكتاب المقدس، يقولون بأن التغيير المناخي مستحيلٌ بسبب وعد الرب إلى نوح. الوصايا الفسيفسائية من العهد القديم هي ما تقود الحكومة الأمريكية حيث أن نظرية الخلق يجب تعليمها بالمدارس، مساعدة السوريين على مقاومة الأسلحة الكيميائية هو علامةٌ على اقتراب ساعة النهاية .. كل هذه النقاشات مستمرةً على يد السياسيين الإنجيليين وأتباعهم رغم أنه لا شيء مما ذكر أعلاه موثّق بالنصوص المكتوبة أصلاً .



By: Kurt Eichenwald

ترجمة : أسامة الوراق - McKie Theman

الكتاب المقدس

عدم فهمه خطيئة



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

الإنجيل ليس ذلك الكتاب الذي يظنه الأمريكيون الأصوليون والانتهازيون السياسيون، أو بالأحرى ليس الكتاب الذي يريدونه. لقد تم إثبات قلة معلوماتهم عن الإنجيل، فوفقًا لاستطلاع رأي قام به مركز بيو للدراسات (Pew Research Center) سنة 2010، كانت رتبة الإنجيليين أعلى قليلًا من الملحدون بخصوص فهم العهد الجديد وتعاليم يسوع .

- الأمريكيون يوقرون الكتاب المقدس ولكن القدر الكبير منهم لا يقرأه ...

كما كتب جورج غالوب الابن George Gallup Jr. وجيم كاستيلي Jim Castelli واضعي استطلاعات الرأي والبحوث التي تركز على الدين في الولايات المتحدة الأمريكية. وجدت مجموعة بارنا The Barna Group الشركة المختصة باستطلاعات الرأي المسيحية سنة 2012 بأن الإنجيليين يتقبلون سلوكيات ومعتقدات القادة الفريسيين- وهم قادة صوره العهد الجديد كأعداء ليسوع ورسالته- أكثر من تقبلهم لتعاليم يسوع نفسها .

رحلة نيوزويك Newsweek الاستكشافية هذه في تاريخ الإنجيل ليست لحساب مذهبٍ على آخر وليست للجدال عن وجود الرب من عدمه، إنها فقط لتسليط الضوء على كتابٍ قد أساء الناس استخدامه ويدعون توقيره وهم لم يقرؤوه أصلًا، خالقين الكثير من المآسي للآخرين بسببه حيث يقود جهل الذين يدعون أنهم مثقفون إنجيليًا العائلات إلى طرد أبنائهم من بيوتهم وقلب الجيران على بعضهم .

إنه يزيد من حالات الكراهية ويقيد العلم ويستخف بالذكاء، الموضوع مهمٌ جدًا ولا يمكن للأمريكان تجاهله مهما تفاوتت درجات تدينهم سواء كانوا ملحدون أو مؤمنين .

هذه الدراسة موثقة في الكثير من أجزائها بواسطة دراسات اللاهوتيين والأكاديميين المختصين وبعض منها يعود إلى قرونٍ مضت، إنها مجرد مراجعةٍ لتاريخ الإنجيل وإعادة لسرد كلماته، وكل هذا من خلال معرفة من أين أتى الإنجيل ومن جمعه وفهم ما يقوله أعظم كتاب في التاريخ والأهم من هذا .. ما لا يقوله .



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

لعبة الهاتف مع كلمة الرب

لا يوجد مبشرٌ تلفزيونيٌّ قد قرأ الإنجيل من قبل، كما لم يقرأه أي سياسي إنجيلي، لم يقرأه البابا، لم يقرأه أنا ولم تقرأه أنت. ففي أحسن الأحوال ما قرأناه جميعاً هو ترجمةٌ سيئةٌ لترجمةٍ أخرى لترجمةٍ أخرى من نسخةٍ مستنسخةٍ يدويًا من نسخةٍ أخرى وهذه بدورها منسوخةٌ من نسخةٍ أخرى مئات المرات.

هناك فارقٌ زمنيٌّ قدره حوالي 400 سنةٍ ما بين كتابة أول المخطوطات المسيحية وتصنيفها ضمن طيّات العهد الجديد (وهو نفس الفارق الزمني بين وصول ركاب سفينة المايفلاور Mayflower - وهي سفينة إنكليزية جاء بها المهاجرون من ميناء بلايموث في إنجلترا إلى العالم الجديد - وبين اليوم). تمت كتابة أول كتب العهد القديم قبل حوالي 1000 سنة من هذا، أي بكلماتٍ أخرى هناك حوالي 1500 سنةٍ ما بين قيام أول مؤلفٍ إنجيليٍّ بوضع قضيبٍ في الطين وما بين اختيار الكتب التي كانت ستشكل ما يُسمى العهد الجديد ولم يكن هناك أي مطابع حتى بعد 1000 سنةٍ لاحقًا. لم يكن موجوداً لديهم التكنولوجيا لحفظ الأشياء في أماكن عديمة الهواء للحفاظ على الورق بحالته الاعتيادية لمدة قرون. الفخار الجاف معرّضٌ للكسر، مخطوطات البردي والرق قابلةٌ للتفتت، الحبر البدائي معرّضٌ للزوال .

في ذلك الوقت كانت الطريقة الوحيدة لتميرير الكتابات من جيلٍ إلى آخر هي النسخ اليدوي، كان هناك محترفون يكرّسون حياتهم لهذا العمل المضمي ولكنهم لم يبدووا بنسخ أي كتاباتٍ من وقت يسوع إلا بعد قرون من كتابتها، قبل ذلك كان الناسخون المبتدئون يتكفلون بهذا العمل .

كُتبت هذه المخطوطات أولاً بواسطة لغة الكويني Koiné (اللغة الدارجة لدى اليونانيين ما بين الحقتين الكلاسيكية والبيزنطية) ولا يتكلمها الكثير من الناسخين الغير محترفين وليس لديهم الإلمام الكامل بقواعدها. بعضهم نسخ المخطوطات دون أن يفهموا الكلمات. وكانت لغة الكويني تكتب بما يُسمى بالخط المستمر scriptio continua أي كتابة بلا مسافات وفواصل وعلامات ترقيم فمثلا جملة weshouldgoeatmom يمكن ترجمتها إلى (We should go eat , Mom) (يجب أن نذهب لتأكل , يا أمي) أو (We should go eat Mom) (يجب أن نذهب لتأكل أمي) يمكن للجمل إن تعني أشياء أخرى بحسب وجود المسافات بين الكلمات فمثلا godisnowhere يمكن أن تعني (God is now) (here) (الرب هنا الان) أو (God is nowhere) (الرب غير موجود) .



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

لم يكن أي من هذا مهمًا لعدة قرون لأن المسيحيين كانوا متأكدين من أن الرب لم يرشد أيدي الكتاب الأصليين فقط وإنما أرشد أيدي الناسخين أيضًا. لكن تم اكتشاف عشرات الآلاف من مخطوطات العهد الجديد في المائة سنة الماضية ويعود عمرها إلى قرون ويعلم الأكاديميون الإنجيليون الآن بأن هناك اختلافًا طفيفًا ما بين النسخ الأحدث والنسخ الأقدم. في الواقع حتى النسخ التي من نفس الحقبة الزمنية تختلف فيما بينها. « هناك اختلافات بين المخطوطات تفوق بعددها عدد الكلمات التي في العهد الجديد » كما يقول الدكتور بارت د. إيرمان Bart D. Ehrman الأكاديمي الإنجيلي البارز والبروفيسور في جامعة نورث كارولينا وصاحب العديد من الكتب المختصة بالعهد الجديد.

معظم هذه التناقضات يُشكّل أكثر من مجرد خطأ إملائي أو قواعدي، وهذه التناقضات موجودة في المخطوطات المستقبلية وهناك أيضًا تغييرات طفيفة قام بها الناسخون لما رأوه خطأً خلال إعادة النسخ. فمثلًا في نسخة قديمة من لوقا (الإصحاح الثالث الآية 16) :

“...John answered, saying to all of them”
أَجَابَ يُوحَنَّا الْجَمِيعَ قَائِلًا: «أَنَا أَعْمَدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلَكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى
مَنِّي...»

نجد أن الخلل هنا هو أنه لا أحد سأل يوحنا أي شيء حتى يجيب.
لذلك قام نساخ القرن الخامس بتغيير ذلك إلى : “...John, knowing what they were thinking, said” «يوحنا ,
الذي يعرف بماذا كانوا يفكرون , قال ... »

و اليوم نجد بأن النسخ الإنكليزية من الإنجيل قد عادت إلى النص الأصلي الصحيح والمخير بذات الوقت «أجاب يوحنا
الجميع» في حين أن نسخًا أخرى مثل إنجيل الحياة الجديدة The New Life Version Bible وهي نسخة إنجيل
بلغة إنكليزية مبسطة قام بترجمته كل من غليسون وكاثرين ليديارد Gleason & Kathryn Ledyard قام باستخدام
النصوص المضاربة للأصلي .

النقاش هنا عن شيء أكبر من مجرد كون أحد الناسخين في العصور الوسطى قد قرّر بأن الرب لم يرشد يد لوقا، فهناك
اختلافات كثيرة بين النسخ تضرب على الوتر الحساس، فالنساخ قد أضافوا مقاطع كاملة إلى العهد الجديد وأزالوا كلمات
وجمل من شأنها أن تناقض المعتقدات العادية .



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

لنأخذ مثلاً قصةً مشهورةً جدًّا من العهد الجديد والتي تبتدئ من سفر يوحنا (إصحاح 8 آية 3) « وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكُتَبَةَ وَالْفَرِّيْسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكْتَ فِي زِنَا. وَلَكَمَا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ » فبحسب قوانين موسى في العهد القديم فإن الزانية تُرجم لحدِّ الموت، فيسأل الفريسيون يسوع عما إذا وجب ترك الزانية أو قتلها كمحاولةٍ منهم لإجباره على الاختيار بين تقديس قوانين موسى وبين تعاليمه المتسامحة، يجيبهم يسوع: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ» فيغادر الجمع ويطلب يسوع من المرأة أن لا تزني مجدداً .

إنها قصةٌ رائعةٌ ومعروفةٌ حتى للذين لديهم معرفةٌ عابرةٌ للإنجيل وتم تجسيدها في فلم ميل غيبسون The Passion of The Christ - آلام المسيح - ويستخدمها منافقو المسيحيين كثيراً عند الإشارة إلى خطايا الآخرين. لكن لسوء الحظ فإن يوحنا لم يكتب هذه القصة وإنما أضافها الناسخون بوقتٍ ما خلال العصور الوسطى. حيث أن هذه القصة لا تظهر في أي من الأناجيل الثلاثة السابقة متى ومرقس ولوقا ولا تظهر حتى في النسخة اليونانية القديمة لإنجيل يوحنا. وحتى لو كان إنجيل يوحنا مجرد كتابٍ معصومٍ لإخبارنا عن رفع يسوع فالقصة ببساطة لم تحصل أبداً. إضافةً لذلك ووفقاً لأيرمان فإن أسلوب كتابة القصة يختلف عن أسلوب السرد الموجود في باقي إنجيل يوحنا كما أن هذا المقطع يتضمّن عباراتٍ لا تظهر في باقي الإنجيل. حيث يقول الأكاديميون بأن هذه الكلمات أصبحت متداولةً بعد وقتٍ طويلٍ من كتابة الإنجيل .

بالنسبة لمسيحيي الحركة الخمسينية العنصرة Pentecostal، وهي حركةٌ دينيةٌ بروتستانتيةٌ ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فهم يستغلّون بعض الآيات من إنجيل مرقس (إصحاح 16 آيات 17-18).

- 17 «وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي، وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَةِ جَدِيدَةٍ.»
18 «يَحْمِلُونَ حَيَاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرؤُونَ.»

أي أن أتباع المسيح سيتمكنون من التكلم بلغاتٍ لم يعرفوها من قبل وسيمتلكون قوىً خارقةً مثل القدرة على إخراج الشياطين ومعالجة المرضى والإمساك بالثعابين من دون أن يتأثروا.. لذلك يقوم قساوسة العنصرة بإصدار أصواتٍ مبهمَةٍ - وفقاً للمقاطع في إنجيل مرقس - حيث يقومون بهذا للدلالة على أن الروح القدس تسري بهم. كما أن هذه المقاطع هي سبب ظهور مسيحيي العنصرة الذين يُمسكون الثعابين بأيديهم .



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

لكن مجدداً هذا النص يأتي من أحد الناسخين بعد وقتٍ طويلٍ من كتابة إنجيل مرقس. ففي الواقع وفي النسخ الأقدم من كتاب مرقس إذا توقفنا عند الإصحاح الثامن أية 16 سنجد أن هناك نهايةً غريبةً حيث أن النساء الثلاثة ذهبن إلى مدفن يسوع الذي تم وضعه به بعد صلبه ليقابلن رجلاً هناك ويطلب منهن أن يخبرن تلاميذ يسوع بأن يسوع الذي قام من بين الأموات سيقابلهم في أرض الجليل. تهرب النساء من هناك ولا يخبرن أي أحدٍ عما حصل بسبب خوفهن . في النسخ القديمة المكتوبة باللغة اليونانية تنتهي القصة هنا، الآيات الإثنا عشر التي تتبع الأحداث أعلاه في الأناجيل الحديثة - ظهور يسوع إلى مريم المجدلية وتلاميذه ثم ذهابه إلى السماوات - ليست موجودة هناك، إنه شيء من الصعب نسيانه إذا فكرنا به ملياً . هذا الشيء واردٌ أيضاً في الكثير من الأجزاء المهمة في الإنجيل كما في :

رسالة يوحنا الأولى (إصحاح 5 أية 7) «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُّسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ.» .

لوقا (إصحاح 22 أية 20) «وَكَذَلِكَ الْكَاسُ أَيْضًا بَعْدَ الْعِشَاءِ قَائِلًا: «هَذِهِ الْكَاسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ.» .

لوقا (إصحاح 24 أية 51) «وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ»

أول من استخدم هذه الآيات هم المترجمون الذين كتبوا نسخة الملك جيمس وهي غير موجودة في النسخ اليونانية الأقدم منها بمئات السنين .

هذه ليست الأجزاء الوحيدة التي يظهر أنها قد أُضيفت إلى الإنجيل لاحقاً. فهناك الكثير الكثير الذي لا يمكننا التطرق إليه من دون ملء أعدادٍ كثيرةٍ من مجلة Newsweek .

استحالة الترجمة

و هنا تأتي مشكلة الترجمة الدقيقة، العديد من الكلمات في النسخة اليونانية للعهد الجديد لا تملك ما يرادفها باللغة الإنكليزية. هناك اختلافاتٌ كثيرةٌ من حيث صيغة الجملة وإنشائها وأسلوبها وكل هذه الاختلافات تُعتبر تحدياتٍ بوجه تحويل كتب العهد الجديد إلى الإنكليزية ولا يمكن حل هذه المشكلة بواسطة أي من طرق برليتز Berlitz (شركة مختصة في التدريب والتعليم اللغوي مقرها الرئيسي في ولاية نيو جيرسي في الولايات المتحدة). لغة الكويني هي لغة يونانية قديمةٌ ولا يتحدث بها الآن أحد، ولهذا تختلف الترجمة الإنكليزية عن النسخ الأصلية لأنها تعكس آراء وأفكار المترجمين الحديثين .



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

المعيار الذهبي للأناجيل الإنكليزية هو نسخة الملك جيمس الذي اكتمل سنة 1611، لكنه لم يكن ترجمةً للنص اليوناني الأصلي. حيث أن لجنة كنيسة إنجلترا اعتمدت على المخطوطات اللاتينية التي هي ترجمةً للنص اليوناني الأصلي. وفقاً لجيسون دايفد بيدون Jason David BeDuhn بروفييسور الدراسات الدينية في جامعة شمال أريزونا ومؤلف كتاب الحقيقة في الترجمة Truth in Translation فقد كان صعباً جداً على اللجنة أن تجد كلمات إنكليزية صحيحة، وحين قامت اللجنة بمقارنة الترجمة اللاتينية مع النسخ اليونانية القديمة وجدت تناقضاً فقررت أن تعتمد على النسخة اللاتينية الأحدث باعتبارها الأصح واعتبار النسخ اليونانية القديمة خطأ .

كان هدف المترجمين هو صنع إنجيل يكون عملاً رائعاً ودقيقاً بترجمته وواضحاً بمعانيه، لكن هذا لم يحصل. « إنجيل الملك جيمس هو أحد الأعمال الأدبية الإنكليزية الجميلة » يقول بيدون «لكن باعتبار الهدفين الآخرين. فإن هذه الترجمة مقصّرة».

هذه الإضافات القليلة من المترجمين في إنجيل الملك جيمس تحولت إلى عبارات ثلاث أفكار مترجمين أكثر في الأناجيل الإنكليزية اللاحقة. بعبارة أخرى، المعتقدات الدينية هي التي حدّدت خيارات المترجمين، فمثلاً كلمة προσκυνέω (تُلفظ proskuneo) هي كلمة يونانية استخدمت حوالي 60 مرة في العهد الجديد، وهي موجودة مع أسطر مثل «to pros-trate oneself» (يركع الشخص) و«to praise God» (حمد الرب) وتمت ترجمتها إلى اللاتينية «adoro» (يعشق) بينما في إنجيل الملك جيمس تحولت الكلمة إلى «worship» (يعبد) ولكن هاتين الكلمتين لا تحملان نفس المعنى، ففي وقت كتابة إنجيل الملك جيمس لم يمكن استخدام كلمة worship لتعني حمد الرب وكذلك لتعني تقديس النفس، إنها ليست ترجمةً مثاليةً لكنها ترجمةً مقبولةً .

و نتيجةً لهذا سجد أن الناس في كتاب الملك جيمس قد «عبدت» الكثير من الأشياء، فالعبد كان يعبد مالكة وأحد التجمعات الشيطانية كانت تعبد ملاكاً، والجنود الرومان الذين كانوا يستهزؤون بيسوع كانوا يعبدونه كذلك. وسط كل هذه الحالات فإن الكلمة لا تعني «تبارك مجد الرب» ولا حتى معنى مقارباً لها، بل تعني الركوع للنفس بالتالي فإن الأناجيل الإنكليزية مثل النسخة العالمية الجديدة The New International Version (وهي ترجمة إنكليزية للإنجيل برعاية منظمة Biblica الغير ربحية) والنسخة القياسية الأمريكية The New American Standard Bible (أكثر نسخة مترجمة حرفياً صدرت في القرن العشرين) والإنجيل الحي The Living Bible (نسخة مترجمة بحرفية أخرى تمت باستخدام النسخة القياسية الأمريكية كقالب) ونسخ أخرى قد قامت بإسقاط كلمة Worship عند استخدامها لما عدا الرب أو يسوع. بالتالي فإنه حين تظهر كلمة προσκυνέω في العهد الجديد بجانب يسوع يكون معناها العبادة وحين تستخدم مع شخص آخر يكون معناها الانحناء أو الركوع. بترجمة كلمة واحدة لمعاني عدة فإن هذه الأناجيل الجديدة قد أضفت دعماً لغويا إلى الفكرة التي تقول بأن الناس الذين عرفوا يسوع قالوا بأنه إله.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

بعبارةٍ أخرى، ومع بعض الخدع الترجمية فإن البنية الأساسية التي تنبثق منها المسيحية - أوهية يسوع - قد تم إسنادها بالإنجيل وحتى في الأماكن التي تحتوي آيات مناقضة .

هذا النوع من التلاعب يحصل مراتٍ عديدةٍ، ففي الفليبيين يتم ترجمة الكلمات من إنجيل الملك جيمس لترمز ليسوع على انه « being in the form of God » (كائنٌ في هيئة الرب) الكلمة اليونانية لـ form (هيئة) تعني ببساطةٍ أن يسوع كان صورةً للرب. لكن الناشرين لبعض الأناجيل قرروا أن يدرجوا معتقداتهم في الترجمة التي ليس لها صلةً باليونانية. الإنجيل الحي مثلا يقول أن يسوع كان الرب was God على الرغم من أنه واضحٌ جدًا بأن المترجمين المعاصرين قد اخترعوا كلمة was للتو .

هناك ما يثير المشاكل لدى المسيحيين ألا وهو الثالث - الاعتقاد بأن يسوع والرب هم نفس الشخص مع الروح القدس ككيانٍ مستقلٍ - هو شيءٌ أساسيٌّ ومحيرٌ عقائديًا، فأين في المخطوطات اليونانية يظهر بأن الرب ويسوع هما جزءٌ من ثالثٍ ما ؟

لن تجد الجواب بأي مكان، وفي هذا الخداع تكمن قصة قتلٍ جماعي .

الإمبراطور المعتوه

لماذا يقوم الرب بالحديث بالهمسات والألغاز أثناء نشر رسالته للعالم؟ هذا تصرفٌ أحمقٌ، ولكن الاعتقاد بأنه رفض نشر رسالةٍ واضحةٍ أدى إلى مقتل آلاف المسيحيين بيد المسيحيين أنفسهم، في الواقع إن المسيحيين قد أبادوا من أتباع يسوع أكثر مما قامت به أي طائفةٍ أو أمةٍ أخرى .

هؤلاء الذين يؤمنون بالثالث قد أبادوا المسيحيين الذين لم يؤمنوا به، المجاميع التي آمنت بأن يسوع كان كيانين - الرب والإنسان - قامت بقتل هؤلاء الذين آمنوا أن يسوع كان مجرد لحمٍ ودمٍ. البعض يظن أن الرب قد أوحى بكتابة العهد القديم، وآخرون مقتنعون بأنه نتاج إلهٍ مختلفٍ، إلهٍ شريرٍ . البعض يؤمن بأن الصلب قد جلب الخلاص للإنسانية، وآخرون يصرون أن هذا لم يحصل وآخرون يؤمنون بأنه لم يتم صلب يسوع .



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

بعد مئات السنين من موت يسوع، تبنت بعض المجاميع كتاباتٍ متضاربةٍ عن حياته ومعنى ألوهيته وقتلوا من اختلف معهم. فلقرون عديدة كانت المعركة بين المسيحيين معركة أفكارٍ ثم تحولت إلى معركة دماءٍ. والسبب في معظم هذه النزاعات هو عدم وجود مخطوطةٍ مقبولةٍ من الجميع تبين ما معنى أن تكون مسيحيًا لذلك كان لدى كل الطوائف كتابها الخاص بها.

كانت هناك أناجيل عديدة، فقد كان هناك إنجيل مريم المجدلية وإنجيل سمعان بطرس وإنجيل فيليبس وإنجيل برنابا أحد طوائف المسيحية - الغنوصية - تؤمن بأن التلميذ توما لم يكن فقط أخ يسوع التوأم بل كان مؤسس الكنائس عبر آسيا. كانت المسيحية في فوضى خلال أيامها الأولى وخصوصًا مع اتهام الطوائف لبعضها بالهرطقة. وبعدها في أوائل القرن الثالث أعلن الإمبراطور الروماني قسطنطين بأنه أصبح من أتباع يسوع مُنهيًا اضطهاد إمبراطورتيه للمسيحيين ومُمهّدًا لإنهاء الخلافات بين الطوائف.

كان قسطنطين معتوهًا شرسًا حيث قام بقتل ابنه البكر وقطع رأس زوج أخته وقام بقتل زوجته بغليها وهي حية. وهذا حصل بعد تركه لعبادة إله الشمس وتحوله للمسيحية محدثًا بذلك تغييرًا هائلًا في مسار التاريخ المسيحي ومؤثرًا بالكامل على الكتب التي اختيرت لتتحول إلى العهد الجديد.

في ذلك الوقت كان الخلاف الرئيسي يتمركز عن ألوهية يسوع حيث أن أتباع الكاهن أريوس Arius كانوا يقولون بأن يسوع لم يكن إلهًا والرب هو من خلقه. في حين قال أتباع المطران الكسندر Alexander بأن يسوع كان إلهًا وموجودًا دائمًا وأبدًا. هذا النزاع وصل إلى شوارع القسطنطينية حيث أن الجميع - أصحاب المحلات والخبازين والتجار وغيرهم - كانوا يتناقشون عن أي نظريةٍ كانت صحيحةً. قسطنطين، وبسبب فهمه القليل لعلم اللاهوت انزعج من هذا النزاع وخاف أن يسبب شرخًا في أرجاء الإمبراطورية ويضعف نفوذه السياسي لذلك قرر أن يتم العمل للوصول إلى اتفاقٍ بشأن هذا الموضوع .

قام قسطنطين بعقد اجتماعٍ في نيقيا المطلّة على البحيرة، تم إرسال دعواتٍ إلى المطرانات وقادة الفرق المختلفة - رغم انه لم يدعو الجميع - تضمن الجمع المثقف والجاهل، المتعصبين والناسكين. وصل قسطنطين وهو يلبس الجواهر والذهب على رداءه القرمزي واللؤلؤ في تاجه وهو متلهفٌ للتوصل إلى حقيقة ذلك النجار الفقير الذي عاش منذ 300 سنة .



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

الأشياء المقبولة اليوم من دون ادني تفكير تم تبنيتها أو دعمها في نيقيا. مثلا في العهد القديم نرى أن الرب قد استراح في اليوم السابع جاعلاً إياه يوم السبت Sabbath. وألان اليوم السابع من الأسبوع هو الأحد. السبت هو يوم اليهود للعطلة والتعبد (حتى يسوع نفسه أحتج على التقديس اليهودي للسبت) كلمة الأحد Sunday لا تظهر في الإنجيل ولا يظهر السبت ولا أي شيء آخر. لكن قبل أربع سنواتٍ من مجمّع نيقيا كان قسطنطين قد أعلن الأحد كيووم عطلةٍ لتقديس إله الشمس.

تم تبني قواعد الصلاة في نيقيا حيث تم اعتماد الصلاة وقوفا وليس ركوعا كما يفعل اليهود، كما لم يأتي ذكر سبت اليهود . العديد من علماء اللاهوت والمؤرخين المسيحيين قرروا بأنه لإرضاء قسطنطين والتزامه تجاه أتباع اله الشمس المنتشرين في الإمبراطورية تم تأخير السبت المقدس يوماً واحداً مناقضاً بذلك الكلمات الواضحة لما أصبح بالنهاية الكتاب المقدس. وبينما لم يُذكر أي شيءٍ عن تاريخ ولادة يسوع في الإنجيل، كان الرومان يحتفلون بولادة اله الشمس يوم الخامس والعشرين من ديسمبر في روما، ويقول المؤرخون المسيحيون من القرن الثاني عشر ميلادي بأن تاريخ عيد الميلاد-Christ-mas قد جاء بالأصل من عيدٍ وثني .

انقضى معظم وقت اجتماع نيقيا في النقاش حول كون يسوع إنساناً وابن الرب كما يدعي اريوس أو هو الرب نفسه كما يقول التسلسل الهرمي للكنيسة. أتباع اريوس استخدموا أدلةً من رسائل بولص وكتاباتٍ مسيحيةٍ أخرى حيث نجد في انجيل مرقس المقطع الذي يتكلم عن المجيء الثاني ليسوع حيث نراه يقول :

But of that day and that hour knoweth no man, no, not the angels which are in heaven, neither »
» the Son, but the Father
«وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الابْنُ، إِلَّا الْآبُ»

في رسالة بولص الأولى الى كورنثوس نجد أنه كتب :

» there is but one God, the Father...and there is but one Lord, Jesus Christ »

«لَكِنَّا إِلَهُ وَاحِدٌ: الْآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ.»



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

و نجد في رسالته الأولى الى تيموثاوس :

“For there is one God, and one mediator between God and men, the man Christ Jesus”

«لأنَّهُ يُوجَدُ إِلَهُ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَنَا لِلَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ،»

كتابات بولص تدل على انه يستدل على الرب ككائنٍ مستقلٍ ويسوع كابنه، ونرى هذا في إنجيل متي حين يقول سمعان بطرس ليسوع «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!» فيجيب يسوع :
«طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانَ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»
و نرى ان يسوع نادى الرب بـ (أبي) حين تم صلبه .

ولكن قسطنطين اتخذ جانب أولئك الذين قالوا بأن يسوع كان إلهًا ورجلًا. لذلك تبنى مجتمع نيقيا هذا الاعتقاد وقد نُفي كل من لم رفض التوقيع على هذا، ودُبح آخرون بعد عودتهم إلى بيوتهم وابتعادهم عن روما، وبعض الذين وقَّعوا على هذا الكلام بعثوا رسائل إلى قسطنطين مبينين بها أنهم وقَّعوا على محضر مجتمع نيقيا خوفًا على حياتهم فقط .
بعد خمسين عامًا، وفي عام 381 م قام الرومان بعقد اجتماعٍ آخر وهذه المرة في القسطنطينية نفسها حيث تم التوصل إلى اتفاقٍ جديدٍ - لم يعد يسوع بموجبه كائنين بل صار ثلاثة، الأب والابن والروح القدس - أُعيدت كتابة محضر نيقيا ونُفي من لم يوقع وحصلت مذبحة أخرى. هذه المرة دُبح من رفض الثالوث، هذا المفهوم الذي لا وجود له في النص اليوناني نهائيًا، بل غالبًا ما يكون مناقضا له.

إلى هذا اليوم ما زال المصلون يصلون أيام الأحد في كل أنحاء العالم وفقا لما تم التوصل إليه في مجتمع نيقيا ويصلون تأكيدًا للثالوث، على ما يبدو، لا أحد منهم يعرف أن الكلمات التي يقولونها ليست من الإنجيل أصلاً وكانت سببًا في شلالٍ من الدماء (بعض المسيحيين المعاصرين يستخدمون إنجيل يوحنا للدلالة على الثالوث - رغم انه لم يذكره بصراحة - إنهم فقط يعتمدون على الترجمة السيئة من اليونانية وما أدرجه الناسخون بالإنجيل)



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

لكي نفهم كيف تمت صياغة الإنجيل، يجب أن نفهم بأن المعتقدات التي صارت جزءاً من المسيحية تم إدراجها بواسطة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، ففي القرن الخامس الميلادي صوتت المجالس السياسية والدينية على الكتب التي ستصنع العهد الجديد. ومع وجود روما لمساندتهم قام معتنقو هذا المعتقد بالقضاء على باقي الطوائف وحاولوا تدمير كتبهم ومخطوطاتهم.

لا ننسى أنهم أصلاً يعملون وفقاً لوثائق مشوهة بشكل كبير. حيث اكتشفت أخطاءً ومراجعات كتبها النساخ في القرن الخامس. اعتُبرت بعض الكتب التي تتكلم عن العهد الجديد وكذلك بعض رسائل بولص مزورةً تغرض لتشويه اللاهوت، لا عجب إذا عندما نرى التناقضات الموجودة في العهد الجديد، بعضها تافهٌ والبعض الآخر يخلق مشاكل للإنجيليين الذين يزعمون أنهم يعيشون وفقاً لكلمة الرب .

ماذا عن الملوك الثلاثة؟

دعنا نستذكر قصة ميلاد المسيح حتى نبين كيف تتضاعف تأثيرات التناقضات الصغيرة التافهة لتصل أبعاداً عميقة. لقد ولد يسوع كابن لإحدى عائلات بيت لحم. وكان والده يوسف النجار يعتزم طلاق أمه مريم إلى أن حلّمت مريم أنها حملت بطفلٍ بواسطة الروح القدس. لكن بعكس زعم القصة، لم يشهد ولادة طفلها أي حكماءٍ ولم يرضى من فوقهم نجمٌ أثناءها. لقد نزع يوسف وعائلته إلى مصر، حيث مكثوا عدة سنواتٍ عادوا من بعدها إلى أرض إسرائيل آمليين العيش في منطقة يهودا، لكنهم اضطروا للاستقرار في بلدةٍ صغيرةٍ تسمى الناصرة لتعدّر ذلك.

لعلك ترى، عزيزي القارئ، اختلافًا بين هذه القصة وتلك التي تعرفها. أين الملك الذي يظهر لمريم؟ ألم يولد يسوع في مذود؟ ألم يردهم أحدهم لعدم وجود مكانٍ يؤويهم في فندقه؟ ثم أين ذكر هدايا الذهب والبخور والمرّ؟ وماذا عن هروبهم إلى أرض مصر؟ كيف عاشوا في الناصرة أثناء طفولة يسوع وليس قبل ولادته؟

قد تبدو هذه الرواية عن حياة يسوع غريبةً، لكنها إحدى الروايات الموجودة في الأناجيل. فنرى أن إنجيلي متى ولوقا يرويان قصة ميلاد المسيح برواياتٍ متخالفةٍ تمامًا ومتناقضة. وحتى ينسج المسيحيون قصة ميلاد المسيح المألوفة، عمدوا إلى خلق قصةٍ هي مزيجٌ من القصتين، أهملوا في بنائها تناقضاتهما. والقصة التي أوردناها للتو تحذو حذوهم، فتستعمل أجزاءً من القصص التي يذكرها الإنجيلان يتم عادةً تجاهلها. ممّا يعني أن القصة متداولةٌ بأربع نسخٍ: نسختان نتجتا عن مزج قصصٍ مختلفةٍ، ونسختان تأتيان مباشرةً من الأناجيل، ولك أن تختار فيما بين كل تلك النسخ.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

أضف إلى ذلك، أن ثمة أخطاءً منطقيةً فادحةً في الموضوع تتبدى لكل قارئٍ متمعنٍ للكتاب المقدس. فمثلاً، يرى الكثير من المسيحيين أن العهد القديم يتنبأ بأن المسيح سينحدر من نسل داوود، والذي كان أحد أبرز الشخصيات التوراتية وثاني ملوك مملكة إسرائيل. وكلٌ من متّى ولوقا يقدمان إثباتاتهما على ذلك، حيث يتتبع كلاهما سلالة يسوع من أبيه وحتى الملك داوود.

ولكن، يوسف النجار لم يكن والد يسوع، فيسوع هو ابن الله، أليس كذلك؟ ناهيك عن أن نسب يسوع يختلف بين الإنجيلين، وتحديداً، لا يتفق الإنجيلان على اسمي والد وجدّ يوسف النجار. والشخص الوحيد الذي تمكن من محاولة تتبع نسبه إلى الملك داوود هو مريم والدة يسوع، ولكن أياً من الإنجيلين لا يأتي على ذكر ذلك. ونجد كذلك تبايناً في قصص الأناجيل الأربعة فيما يتعلق بقصة موت وقيامته المسيح. فيذكر إنجيل مرقس أنه عندما مثل يسوع بين يدي بيلاطس البنطي لم يتفوه يسوع سوى بكلمتين وحيدتين دون أن يحظى بحكم البراءة. بينما ينقل إنجيل يوحنا محادثاتٍ مطوّلة دارت بين يسوع وبيلاطس الذي صرّح مراراً وتكراراً أن هذا السجين اليهودي بريء يستحق إخلاء سبيله. ومما يجدر ذكره، أن إنجيل يوحنا كان آخر ما كُتب من الأناجيل، وقد جاء في وقت ازداد فيه تأثير غير اليهود على المسيحية؛ مما يفسر تحلل الرومان من مسؤولية قتل يسوع، واستقرار اللوم على اليهود عوضاً عنهم، الأمر الذي أسس لقرون تلت ذلك من معاداة السامية.

ولنتنقل إلى السؤال عن شخصيات الذين ذهبوا ليدهنوا جسد يسوع بالحنوط في قبره؟ في إنجيل متّى اشتملت المجموعة على مريم أمه، وامرأةٍ أخرى أيضاً اسمها مريم، وقابلهم ملاكٌ عند القبر. أما في إنجيل مرقس فكانت مريم المجدلية، ومريم أم يسوع وسالومة إضافة إلى شابٍ قابلهم. وفي إنجيل يوحنا، تذكر القصة مريم وحدها دون أن يقابلها أحد. وحسب متّى، فقد توجه التلاميذ إلى الجليل بعد الصلب ورأوا يسوع يصعد إلى السماء؛ أما سفر أعمال الرسل، والذي كتبه لوقا، فيقول أن الرسل لبثوا في القدس ورأوا يسوع يصعد إلى السماء من هناك.

بعض هذه التناقضات ما هي إلا تعارضات بين ما يعتبره الإنجيليون evangelicals أمراً مطلقاً من جهة، وبين ما قاله يسوع فعلاً من جهةٍ أخرى. فعلى سبيل المثال، بينما يتحدث الإنجيليون دوماً عن القيم الأسرية، نرى أن يسوع كان يرى في الأسرة عائناً في الطريق إلى الله، حيث نجده يقول في إنجيل متّى: «وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمَّ أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي يَأْخُذُ مِثَّةً ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوْلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ وَآخِرُونَ أَوْلِينَ» [متّى ١٩: ٢٩].



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

ثم هنالك ما يعتبره العديد من المسيحيين الأصوليين أحد أهم عناصر الكتاب المقدس، ألا وهو عقيدة الظهور الثاني للمسيح ونهاية العالم. والشيء الذي يريد الإنجيليون المعاصرون أن يؤمنوا به في هذا الإطار لا يتفق مع ما يقوله الكتاب المقدس.

ففي إنجيل مرقس، يقول يسوع عن نهاية العالم:
«الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمِضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ» [مرقس: ١٣: ٣٠]،
أو بعبارة أخرى، سيشهد معاصرو يسوع نهاية العالم.
ويزيد بولس الأمر توضيحًا في الرسالة الأولى إلى كورنثوس حين يقول:
«الْوَقْتُ مُنْذُ الْآنَ مُقَصَّرٌ» [٢٩: ٧].

ونظرًا لاقتراب النهاية يدعو بعد ذلك المسيحيين لأن يعيشوا وكأنما كانوا بلا زوجاتٍ، وأن يتعاملوا مع مقتنياتهم وكأنها ليست ملكًا لهم. لكن بعض الإنجيليين يعارضون هذه الكلمات الواضحة باقتباسهم من رسالة الرسول بطرس الثانية حين يقول: «أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ.» [بطرس الثانية ٣: ٨].

لكن هذا يوقعهم في مشكلتين: أولاهما أن الاقتباس المذكور لا يُبطل ما قاله يسوع أو الرسول بولس. والثانية، أن رسالة بطرس المذكورة قد اعتبرها الكثير من قادة المسيحيين منذ القدم رسالةً مزورةً، وهو رأيٌ تدعمه الغالبية العظمى من علماء الكتاب المقدس اليوم.

ومع أن كل هذه الأمور هي حقائق، فهي لا تحطُّ من قدر الكتاب المقدس. وأولئك المسيحيون الذين تغضبهم هذه الحقائق، عليهم أن يوجِّهوا غضبهم على الكتاب نفسه لا على من يشير إلى وجودها فيه.

صراع الله مع التناين

إذا ما ادَّعى أحدهم صدق قصة الخلق التوراتية أمامك، فعليك بسؤاله، «آية واحدة من قصص الخلق التوراتية تعني؟»
قلَّة هم المسيحيون المؤمنون الذين يعرفون أن الكتاب المقدس يحتوي عدة نسخٍ عن قصة الخلق.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

أولاًها تظهر على الصفحة الأولى من الإصحاح الأول من سفر التكوين، وهي النسخة التي يميل أغلب الناس لتبنيها. لكنه ليس من الصعب أن نجد النسخة الثانية، فهي موجودة في الإصحاح الثاني من سفر التكوين نفسه، بل إنها ترد على الصفحة ذاتها عادة. يستهل الإصحاح الأول من سفر التكوين القصة بالكلمات التالية: «فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.» [تكوين ١: ١]. أما الإصحاح الثاني من نفس السفر فيبدأ القصة قائلاً: «هَذِهِ مَبَادِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ يَوْمَ عَمَلَ الرَّبِّ الالهَ الارضَ وَالسَّمَاوَاتِ» [تكوين ٢: ٤].

ويعرف كل من قرأ السفر بتأن أن القصتان تناقض إحداهما الأخرى. فالإصحاح الأول يبدأ بفصل الله الماء إلى جزأين، خالقاً الأرض فيما بينهما. أما الإصحاح الثاني فيصف عالماً لا يكثر فيه الماء، وأن الماء يأتي لاحقاً. في الإصحاح الأول نجد النباتات قد خُلقت قبل الشمس والنجوم؛ ونرى ترتيب ذلك معكوساً في الإصحاح الثاني. في الإصحاح الأول يسبق خلق النبات والحيوان خلق الإنسان، بينما يأتي النبات والحيوان بعد الإنسان في الإصحاح الثاني. في الإصحاح الأول يتم خلق آدم وحواء في ذات الوقت، أما في الإصحاح الثاني فيتم خلق حواء من ضلع آدم.

ليست هذه التباينات غريبةً عن النمط السائد في أسفار العهد القديم، بل إن العديد من الإنجيليين يصرون أن موسى هو من كتب الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (بما فيها سفر التثنية، والذي يتحدث عن موت ودفن موسى)، لكن علماء الكتاب المقدس قد وصلوا إلى استنتاج مفاده أن اثنتين من فرق اليهود قامتا بكتابة أغلب أسفار العهد القديم، حيث جهزت كل فرقة نسختها من العهد القديم، ثم تم دمج النسختين دوماً أدنى محاولةً للتوفيق بين تناقضاتهما.

تُعرف هذه التكرارات باسم الثنائيات doublets، ويقول بصددها ريتشارد إليوت فريدمان -Richard Elliot Fried- وهو باحثٌ في شؤون الكتاب المقدس من جامعة جورجيا الأميركية: «في أغلب الأحيان، تشير إحدى النسخ إلى الإله في سياق القصة باسم يهوه، بينما تشير إليه الأخرى فقط بلقب الإله.» وحالما يتم فصل النص إلى جزئين تبعاً للفظة التي تشير إلى الإله تتكشف صفاتٌ أخرى تميّز النصين أحدهما عن الآخر. ويكمل فريدمان مشيراً إلى تركيبة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم: «هذه الملاحظات تدعم الفرضية القائلة أن أحداً ما قام بأخذ مصدرين قديمين وقام بتقطيعهما إلى أجزاء أصغر أعاد استعمالها بعد ذلك في نسج نصٍ جديدٍ.»

وبأخذ هذه الثنائيات بعين الاعتبار عند قراءة العهد القديم، يتكوّن لدى القارئ إحساسٌ أنه يسير فيما يشبه قاعة مرايا. خذ على سبيل المثال قصة نوح والطوفان كما ترد في سفر التكوين. في الإصحاح السادس يأمر الله نوحاً أن يبني الفلك ويملاّه بالحيوانات «فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هَكَذَا فَعَلَ» [تكوين ٦: ٢٢].



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

أما في الإصحاح السابع، فزى الله يأمر نوحًا ثانيةً بملء الفلك بالحيوانات، «فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ الرَّبُّ» [تكوين ٧: ٥]. في المرة الأولى أمر الله نوحًا أن يجلب إلى الفلك زوجًا واحدًا من كل نوع، لكن التعليمات اختلفت في المرة الثانية، حيث كان على نوح جلب سبعة أزواجٍ من كل نوع من البهائم الطاهرة، وزوجًا واحدًا من البهائم التي ليست طاهرة.

وتزيد القصة إغراقًا في الغرابة، ففي سفر التكوين ٧: ٧-١٢، يدخل نوحٌ وعائلته الفلك، ثم يبدأ الطوفان. ثم في الآية التي تتلو ذلك تكوين ٧: ١٣، يدخل نوحٌ وعائلته الفلك مجددًا ويبدأ الطوفان مرةً أخرى. ويذكر السفر أن الطوفان غمر الأرض مدة أربعين يومًا (تكوين ٧: ١٧)، أو مئة وخمسين يومًا (تكوين ٧: ٢٤). ومع ذلك، فقد أمضى نوحٌ مع عائلته عامًا كاملًا على متن الفلك (تكوين ٨: ١٣).

ونجد التناقضات حتى في أكثر القصص شيوعًا. فكل طفلٍ صغيرٍ يعرف أن داود هو من قتل جُلِيَّاتٍ، حيث نجد هذا التفصيل في سفر صموئيل الأول ١٧: ٥٠. لكن إياك أن تقص على الأطفال القصة كما ترد في الآية ٢١: ١٩ من سفر صموئيل الثاني، وإلا سببت لهم الارتباك، ذلك أن تلك الآية في كثيرٍ من النسخ تخبرنا أن قاتل جُلِيَّاتٍ هو إحنان. ونجد في بعض نسخ الكتاب المقدس أن القصة تم تعديلها لتتوافق مع ما ورد في سفر الأخبار الأول عن قتل إحنان لأخي جُلِيَّاتٍ. تكمن خطورة هذه التعارضات بين الروايات في إصرار الإنجيليين على صلاحية العهد القديم كأداةٍ مشروعَةٍ في نقضها للعلم. لكن الأمثلة التي أوردناها تبين بوضوح أن الكتاب المقدس لا يكف عن نقض نفسه بنفسه.

يحتوي الكتاب المقدس على ثلاث نسخٍ مختلفةٍ عن قصة الخلق، وربما كانوا أربعمًا حسب رأي بعض الخبراء. فبالإضافة إلى النسختين الموجودتين في سفر التكوين، هنالك ثلاثة تشير إليها أسفار إشعياء والمزامير وأيوب. وفي هذه النسخة نجد أن خلق العالم كان نتيجةً لمعركةٍ عظيمةٍ دارت بين الله وما يعتبره اللاهوتيون تنينًا مائيًا اسمه رَهَبٌ. وليس رهب هو الكائن الأسطوري الوحيد الذي تعايش مع الله أو خلقه الله، فالله لاعِبٌ وحشًا بحريًا اسمه لَوِيَّاتَانُ، وفي نسخة الملك جيمس نقرأ عن الحريش unicorn (وذلك على الرغم من أن الترجمة الصحيحة من الأصل العبري لا تتفق مع ذلك). كما نجد ذكرًا لأفاعٍ من نارٍ وأخرى تطير، إضافة إلى الأصلة cockatrice، لكن هذه الكلمة تم استبدالها في وقتٍ لاحقٍ بلفظة «حية». وإذا توجهنا إلى سفر الخروج تطالعنا قصصٌ عن سحرة فرعون مصر الذين كانوا يحولون العصي إلى أفاعٍ والماء إلى دمٍ. ويحدثنا سفر التكوين عن زواج «أبناء الله» من «بنات الإنسان» ليخرج من نسلهم أطفالًا؛ وأبناء الله حسب سفر أيوب والمزامير ليسوا سوى الملائكة.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

يحب الإنجيليون اقتباس سفر التكوين كتحدٍ للعلم الذي يُدرّس في المدارس، لكنهم لا يحبون الحديث عن أسفار العهد القديم التي تذكر الوحوش والسحر.

في هذه اللحظات ترتكب سارة بيلين الخطيئة

في النسخة الأميركية المعتمدة الجديدة للكتاب المقدس New American Standard Bible، والمسماة بالكتاب المقدس الحي Living Bible، نجد أن ترجمة الرسالة الأولى إلى تيموثاوس تخبرنا كيف أن ممارسي المثلية الجنسية لن يرثوا مملكة الرب. لكن هذه الترجمة تنطوي على شيءٍ من الغرابة، إذ أن تعبير المثلية الجنسية لم يتم اختراعه إلا بعد مضي ١٨٠٠ عام من التاريخ المفترض لكتابة تلك الرسالة. فكيف وجد ذلك التعبير طريقه إلى ما بين دفتي الكتاب المقدس؟ الجواب بسيطٌ: قام منقّحو الكتاب المقدس في العصر الحديث باختلافها مدفوعين بقناعاتٍ دينيةٍ ككثيرين ممن سبقوهم من المترجمين والنسّاح، فعمدوا إلى إدخال شيءٍ أرادوا أن يقولوه لأن النص لم يذكره صراحةً أو بوضوحٍ يتناسب مع معتقداتهم.

يستعمل نص الآية الأصلي في الكتاب المقدس المكتوب باللغة الإغريقية القديمة (المعروفة باسم كوينه KOIVH) لفظة ἀρσενοκοῖται مقابل ما تمت ترجمته مؤخراً إلى مثلي جنسي. أما النسخة اللاتينية فاستعملت تعبير masculorum concubitores، والذي ترجمته نسخة الملك جيمس إلى «أولئك الذين يدنسون أنفسهم مع الذكور»، وقد تكون تلك إشارةً إلى الرجال الذين يمارسون الجنس مع رجالٍ آخرين، كما قد تكون إشارةً إلى غير ذلك.

هذا يحدو بنا إلى السؤال عما إذا كانت الرسالة الأولى إلى تيموثاوس مبنيةً على نصٍ مزورٍ. والجواب عن ذلك هو «نعم» مدويةً، ففي عام ١٨٠٧ قام باحثٌ ألماني اسمه فريدرخ شلايرماخر Friedrich Schleiermacher بنشر مقالٍ لاحظ فيه أن الرسالة الأولى إلى تيموثاوس استعملت حججاً تتعارض مع رسائل أخرى كتبها الرسول بولس.

أضف إلى ذلك أن الرسالة الأولى إلى تيموثاوس تهاجم تعاليم تصفها بالزائفة. لكن هذه التعاليم لم تكن متداولةً أيام بولس، فهي أقرب ما تكون إلى تعاليم الغنوصية، وهي طائفةٌ لم تتكون إلا بعد ممات بولس بفترةٍ طويلةٍ. كذلك نرى أن أيّاً كان كاتب الرسالة، فهو رغم استعماله أحياناً كلماتٍ تشابه كلمات بولس، إلا أنه يعني بها معانٍ مغايرة. واليوم أغلب علماء الكتاب المقدس يتفقون على أن كاتب الرسالة الأولى إلى تيموثاوس لم يكن الرسول بولس.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

لكن دعنا نفترض أن بولس كان من كتبها، وأن تعبير «من يدنسون أنفسهم» فعلاً يشير إلى المثليين. حتى في تلك الحالة يقع المسيحيون الإنجيليون وكل من يفسر الكتاب المقدس بشكل حربي في مشاكل عدة، فبعكس ما يؤمن به الأصوليون، ليس ثمة ترتيبٌ لدرجات الخطايا خارج إطار الوصايا العشر، فالعهد الجديد لا ينادي بالمثلية الجنسية خطيئةً شنيعةً فوق كل الخطايا. كلا، فكل الخطايا تتساوى في وزنها عند الله. وكاتب الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، سواء كان بولس أو غيره، يدين أيضاً خطيئة العصيان والكذب والتمالة. مما يعني أن الإنجيليين لو أرادوا اعتبار هذه الرسالة إدانةً للمثلية، فعليهم إدانة جموع الشباب الأمريكي المنتمي إلى نوادي الأخويات والذين يرتكبون خطايا تتساوى مع المثلية. لكن واقع الحال أننا لا نسمع الأهلالي يتبرؤون من أبنائهم بسبب الخطايا التي يرتكبونها ليالي السبت.

ولنتقل الآن إلى ما تقوله الرسالة الأولى إلى تيموثاوس عن النساء، ففي شهر مارس آذار الماضي هاجمت النائبة الجمهورية عن ولاية مينيسوتا الأمريكية ميشل باكمن Michele Bachmann المثليين واصفةً إياهم بالمتنمرين لمعارضتهم تشريعاً كان سيسمح للمصالح التجارية في ولاية أريزونا الأمريكية بالتمييز في المعاملة ضد الأزواج المثليين. لكن حسب الكتاب المقدس، على ميشل باكمن أن تجلس ملتزمة الصمت، بل إن على كل امرأة تشتغل بالسياسة وتؤمن أن العهد الجديد هو كلمة الله المعصومة أن تستقيل من فورها أو أن تعترف بأنها منافقة.

ذلك أن الرسالة الأولى إلى تيموثاوس هي من أكثر كتب العهد الجديد عداءً للنساء، وهذا العداء في الواقع سمةً فارقةً أخرى تميزها عن باقي رسائل بولس. وفي نسخة الملك جيمس تقول هذه الرسالة أن على النساء أن يلبسن بحشمة وأن لا يزينن شعرهن بصفائر، أو أن يرتدين اللؤلؤ أو الذهب وأن عليهن التزام الصمت. كذلك، تمنع تلك الرسالة المرأة من الوصول إلى مصدر سلطة تتحكم فيه بالرجال، بل حتى تمنع من المرأة أن تكون معلمة، مما يعني أن نساءً من أمثال باكمن، إن كنّ منؤمناتٍ حقاً بأن الكتاب المقدس هو كلمة الله المعصومة عن الخطأ، فعليهن أن لا يدخلن العمل السياسي. لذا، فمع أن هذه الرسالة تحوي فعلاً إشارةً عابرةً إلى ما يمكن تفسيره أنه المثلية الجنسية، نجدها بالمقابل تتحدث بشيءٍ من الإسهاب على مدى ست آيات عن نقائص النساء وعن قصورهن وتفصل حدود ما هو مباحٌ لهن.

لكننا نجد مسيحيين كثر يشيرون إلى مواقع إضافية في العهد الجديد تشجب المثلية، ومن أكثرها شعبية رسالة بولس إلى رومية، والتي، حسب نسخة الملك جيمس، تدين الرجال الذين « اَشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ » [الرسالة إلى أهل رومية ١: ٢٧]، وهي ترجمة تبدو أمينةً إذا ما قورنت بالمصادر الإغريقية المبكرة، كما أن الباحثين أجمعوا على نسبتها فعلاً إلى بولس.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

وبعبارةٍ أخرى، فالرسالة إلى أهل رومية هي جزء حقيقي من الأناجيل، مما يعني أنه ليس بمقدور أتباع التفسير الحرفي التشكيك بمحتواها. وتبعًا لذلك، فعلى الداعية التلفزيوني بات روبرتسون Pat Robertson أن يُعدّ نفسه لقضاء الأبدية في جهنم. فمن على منصة برنامج التلفزيوني نادي الـ 700 The 700 Club، ألقى روبرتسون مؤخرًا خطبة عصماء قرّع فيها باراك أوباما، وكعادته، صلى للرب طالبًا المساعدة قائلاً: «يا الله، نحتاج الملائكة! نحتاج عونك! علينا فعل شيء ما، علينا الدعاء للخلاص من هذا الرئيس.»

وبفعله ذلك، ارتكب روبرتسون خطيئة، ذلك أن الرسالة إلى أهل رومية- والتي يقتبسها الكثيرون لإدانة المثلية- تسرد في سلسلة مطولة من الآيات كيف على الأتقياء أن يتصرفوا تجاه سلطة الحاكم. ففي الآيات ١٣: ١-٢ تقول الرسالة:

«لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلَاطِينِ الْفَائِقَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَالسَّلَاطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرْتَبَةٌ مِنَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِنْ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لِأَنفُسِهِمْ دَيْنُونَةً.»

نعم، الرسالة إلى أهل رومية تحوي آيةً وحيدةً عن المثلية الجنسية، ولكن فيها أيضًا ثماني آيات تدين من ينتقد سلطة الحاكم. وبكلماتٍ أخرى، فالمسيحيون الأصوليون الذين يشجبون أوباما قد ارتكبوا خطيئةً توازي خطيئة المثليين.

لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، ففي ذات الجزء الذي يتحدث فيما يظهر عن المثلية، يجرم بولس الجدل (فهل كل أعضاء الكونجرس ملعونون إذن؟)، والكبر وعصيان الأيوين وخداع الناس (أجل، كل أعضاء الكونجرس ملعونون). لا يوجد ما يميز الجزء المتعلق بالمثلية عن غيره في رسالة بولس، فهو يعتبرها بنفس فداحة الكبر والجدال. ونرى الأمر ذاته يتكرر في اقتباس الأصوليين لآيةٍ أخرى من العهد الجديد بهدف تحقيرهم للمثليين. تأتي الآية من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، والمنسوبة هي الأخرى إلى بولس، وترجمتها جيدة، ويعتقد الخبراء في الموضوع أنها فعلاً من كتابة بولس. لكن حذار أن يقرب الأصوليون الذين يعتمدون عليها من المحاكم، إذ يدين فيها بولس من يقاضي مسيحيين آخرين. وتتساوى في نظر بولس خطايا الزنا والجشع والكذب، والتي يراها على قدم المساواة مع المثلية.

لكن بطبيعة الحال، هنالك الكثير من الأصوليين ممن يجهل مواقع الآيات التي تدين المثلية، مثلما يجهل سياق تلك الآيات. فتراهم يلجؤون إلى سفر اللاويين من العهد القديم، وهو سفر يعج بالمباحات والمحرمات، بل ويحفظون عن ظهر قلب الآية القائلة «وَأذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطَجَعَ امْرَأَةً فَقَدْ فَعَلَا كِلَاهُمَا رِجْسًا.» [لاويين ٢٠: ١٣]، وهم بذلك يبرهنون في كل مرة يقتبسونها جهلهم بمحتوى العهد الجديد.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

تتركز إحدى أهم التعارضات الكامنة في العهد الجديد-بل ربما كانت أهمها على الإطلاق في الكتاب المقدس ككل-حول ما إذا كان صلب المسيح قد نسخ قوانين موسى. ويكمن منبع التعارض في أن بولس ترأس كنيسةً في أنطاكية حاول اجتذاب غير اليهود إليها بالترويج لمسيحيةٍ متحررةٍ خفت من بعض قيود تعاليم موسى كمتطلباتٍ للاتحاق بالدين، مثل الختان، وأكل الطعام الحلال اليهودي وغيرها من القيود الموجودة في العهد القديم. بينما على بعد مئات الأميال كان تلاميذ يسوع مع يعقوب البار، أخي يسوع، يديرون كنيسةً في القدس، وعلى إثر سماعهم عن ما يحدث في أنطاكية دار نقاش حول ما إذا كان على غير اليهود أن يتحولوا يهودًا ويتبعوا تعاليم موسى كشرطٍ لدخولهم المسيحية.

في سياق ذلك أيد بعض التلاميذ ذلك، وهو رأي يتوافق مع ما قاله يسوع في إنجيل متى: «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ.» [متى 5: 17]. وقد حرص مؤلف إنجيل متى على تبيان أن على المسيحي الساعي للخلاص اتباع التعاليم اليهودية كأى متدينٍ يهوديٍ. لكن بولس يؤكد، وتحديداً في الرسالتين إلى أهل غلاطية وإلى أهل رومية، أن خلاص المرء يأتي عبر إيمانه بموت المسيح وقيامته فقط، بل إنه اعتقد أن من يحاول من المسيحيين اتباع تعاليم موسى قد يعرض فوزه بالخلاص للفقدان.

وبعبارةٍ أخرى، فبمقدور اليهود التقليديين إدانة المثلية بالاستناد إلى سفر اللاويين دون الوقوع في الرياء. لكن المسيحي الأصولي لا بد أن يختار: إما أن يتبع تعاليم موسى بأكل الحلال اليهودي، وأن يُخْتَنَ وأن لا يرتدي منسوجات امتزجت فيها الخيوط وما شابه، أو أن يقبل أن طريق الخلاص يكون فقط عبر قيامة المسيح، مما يزيح سفر اللاويين من بين أدواته. وهذا يوئد مشكلةً أخيرةً أمام الأصوليين الراغبين بإدانة المثليين أو غيرهم: فإن هم قبلوا بكتابات بولس وآمنوا أن كل الناس خطاة، فبولس يقول لهم أن الخلاص يأتي من الإيمان بالمسيح والقيامة. وهو خلاصٌ للجميع، فالنص لا يستثني الخطايا التي لا يحبها الإنجيليون.

كما يبدو إذن، لا يحتاج الله عون الأصوليين في تحديد ما سيحدث في الآخرة لمن كان متكبراً أو جشعاً أو مجادلاً أو حتى مثلياً. مما قد يفسر تحذير يسوع لأتباعه من إدانة الغير، متناسين خطاياهم، لدرجة أنه خصص كلمةً محددةً للإشارة لكل من كان مهووساً بذنوب الغير: لقد أسماهم منافقين.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

لا فرصة أمامهم للنجاح

في شهر آب أغسطس من عام 2011 استضاف حاكم ولاية تكساس الأمريكية ريك پيري Rick Perry احتفالية صلاةٍ ودعاءٍ هائلةً في مدينة هيوستن أُجريت فيما كان يُعرف آنئذٍ باستاد رالينت Reliant Stadium، وهو الملعب الذي يستعمله فريق المدينة لكرة القدم الأمريكي الاحترافي. عند البدء اعلى پيري المنصة ومن حوله ثلاثين ألفٍ من المسيحيين. وعلى الشاشة الكبيرة من خلفه عُرِضَ وجهه وقد أغلق عينيه وأحنى رأسه وابتهل بدعاءٍ مطولٍ سأل فيه الله أن يجعل من أمريكا مكاناً أفضل. ومن حوله إخوته في الإيمان بين واقفٍ وراكعٍ، يبكون ويصرخون: آمين.

أما في ولاية لويزيانا الأمريكية، فقد أعلن الحاكم بوبي جنرال Bobby Jindal أنه يعتزم عقد احتفالية صلاةٍ ودعاءٍ مشابهةً في إحدى الحلبات الرياضية في مدينة باتون روج Baton Rouge في الولاية، حيث قام بتوجيه الدعوة إلى ما يزيد عن مئة ألفٍ من القساوسة الإنجيليين. لو شاهد يسوع ذلك كان سيرتاع هلعًا، أو هذا على الأقل ما يخبرنا به الكتاب المقدس.

هنا نرى إحدى أعمق التناقضات وأكثرها عجبًا بين تصرف الإنجيليين وكلمات الكتاب المقدس الواضحة. تُقام استعراضات الصلاة تلك أسبوعيًا، ولا أجد كلمةً أدق من استعراض هنا، وهي إن لم تتم بوجود مرشحين للرئاسة من الحزب الجمهوري في حلبة رياضية، نجدها تُقام أسبوعيًا أيام الأحد في إحدى الكنائس الضخمة الحديثة التي تستطيع احتواء عشرات آلاف المؤمنين، تراهم فيها رافعين أذرعهم يتمايلون يمنةً ويسرةً ويكون ويتضرعون بالدعاء.

لكن يسوع كانت تعاليمه ضد ذلك في عظته على الجبل، وهي أطول خطبة له في العهد الجديد. والتي كما وردت في إنجيل متى، تخبرنا أن يسوع قد جاء على ذكر من كانوا يعرضون تدينهم بشكلٍ سافرٍ على الملأ. والواقع أن استعراضات الصلاة اليوم تقلد إلى حدٍ كبيرٍ أوصاف أحداثٍ مشابهةٍ تسردها النصوص المسيحية المبكرة، وبالأخص طقوس صلاة الفريسيين والصدوقيين، واللذان كانتا من أكبر الحركات الدينية في منطقة يهودا أثناء حياة يسوع. ونجد يسوع في أماكن عدة في الأناجيل يشجب هاتين المجموعتين صابًا بعضًا من غضبه على أسلوب صلاتهم العلني.

تولّد كلمات نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس ارتباكًا في نفس القارئ كونها لم تكتب بالإنجليزية الحديثة، لكن النسخة المنقحة المعتمدة الجديدة توفر بديلًا جيدًا لهذا الغرض، إذ أنها تذكر يسوع قائلًا: «اخْتَرُّوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» [متى ٦:١]



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

ولا يكتفي يسوع بذلك، بل ويزيد محذرًا من كافة أشكال الصلاة الاستعراضية، كالتي صارت موضةً رائجةً بين إنجيلي اليوم. ويكمل يسوع في إنجيل متى

« فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُصَوِّتْ فُؤَادَكَ بِالْبُوقِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاوُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الْأَزِقَّةِ لِكَيْ يُمَجِّدُوا مِنَ النَّاسِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! » [متى ٦: ٢-٣]

فالمتمدين الحق، حسب يسوع، هو من يصلي وحيدًا وفي السر، في غرفةٍ من وراء بابٍ مغلقٍ. وكما قال يسوع:

« فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلَانِيَةً » [متى ٦: ٦]

وترد مسألة نقاش الصلاة والدعاء عشرات المرات في الكتاب المقدس، وفي أغلبها نرى تركيزًا على مسألة قدرة الله على معرفة طلبات الداعي. وفي العهد الجديد تُصور مسألة الدعاء على أنها مسألة ذات طابعٍ شخصيٍّ وخاصٍ جدًا يكون فيها المرء كالمسجون في زنزانه يتضرع إلى الله بالدعاء، يناصر الله فيها من ناحيته الداعي المظلوم.

كذلك نجد أن ثثرة ريك پيري Rick Perry والكثيرين من أمثاله التي يربطون فيها الإيمان بالوطن ومباركة أمريكا، تتعارض مع ما يقوله يسوع عن الدعاء في الكتاب المقدس، كمثل قوله

« وَحِينَمَا تُصَلُّونَ لَا تَكْرُرُوا الْكَلَامَ بَاطِلًا كَالْأَمَمِ فَإِنَّهُمْ يَطُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلَامِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لَأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ. » [متى ٦: ٧-٨]

فلا داعي للدعاء المفصل المطول طالما أن الله يعلم حاجة الداعي. لذا نرى يسوع في إنجيلي متى ولوقا يخبر الناس بأن من أراد الدعاء فعليه الاكتفاء بتلاوة نص الصلاة الربّية. لكن المشكلة هنا أن حتى نص تلك الصلاة قد ورد في الإنجيلين بنصين مختلفين، مما يتطلب من المسيحي أن يختار بينهما.

إنها تقريبًا لأعجوبة أن نرى المنقحين المحدثين يحولون تعبير بولس الموجه «لِلرَّنَاةِ، لِمُضَاجِعِي الدُّكُورِ» [تيموثاوس الأولى ١: ١٠] إلى تعبير «المثليين جنسيًا»، وفي نفس الآن يتجاهلون كلمات يسوع الواضحة البسيطة التي أوردناها من إنجيل متى.

لكن الأكثر إثارةً للدهشة هو أن من ضمن التساؤلات الدائرة حول الكتاب المقدس، نرى أن تعاليم المسيح حول أسلوب الصلاة لا تتناقض ومحتوى النص، بل ترد مرارًا وتكرارًا في أرجاء الكتاب المقدس.

وأقرب موقفٍ وصل فيه يسوع إلى ما يشابه الصلاة العلنية في العهد الجديد كان عندما أطمع الآلاف بخمسة أرغفة خبزٍ وسمكتين. وفي هذه القصة التي وردت في كل الأناجيل نجد النص يصف يسوع يشكر الله أو ينظر إلى السماء وهو يبارك الطعام. لكن كل الأناجيل تذكر أنه بعد ذلك توجه إلى الصلاة وحيدًا بعد أن ابتعد عن الناس.



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

ويحاول بعض الإنجيليين تفسير التناقض الكائن بين كلمات يسوع في إنجيل متى من جهة، ومظاهر الصلاة العلنية في يومنا هذا من جهة أخرى بقولهم أن يسوع شجب الصلاة الجماعية التي يتعمد المصلون أداءها بهدف أن يُروا وهم يصلون. لكن كيف لنا أن نفسر ما نراه في مظاهر الصلاة العلنية اليوم سوى الاستعراض؟

فاليوم نرى حكام ولايات يصلون علناً وصورهم تُشاهد على شاشٍ ضخمةٍ عالية الدقة، ونرى الآلاف من المحتشدين في الصالات الرياضية ينتحبون ويتميلون، والمزيد من الآلاف ينقل التلفزيون صلواتهم من كنائس مهولة الحجم. من الصعب أن نأتي بسببٍ يفسر كل هذا سوى رغبتهم في أن يراهم الناس يصلون. والكتاب المقدس واضح في أن الله حتى يسمع الدعاء لا يحتاج من أحدٍ أن يستقل سيارته متوجهاً نحو استاد كرة قدمٍ ليدعوه.

وهذا يقودنا إلى سؤالٍ بديهي: ما الذي يمنع المزيد من المسيحيين من أن يعارضوا إقامة الصلاة في المدارس؟ فهم لو كانوا يؤمنون حقاً بأن الكتاب المقدس هو كلام الله لعلموا أبناءهم الصلاة الربّية، وطلبوا إليهم أداءها في عزلة غرفهم وحدهم.

لكن مؤازرة هذا الحل لا تلقى دعماً من الناس من خلال مظاهراتٍ ودعواتٍ غاضبةٍ لتنحية قضاةٍ من مناصبهم على الرغم من أنه يتبع تعاليم الأناجيل، وكأنها هو أمر يتعارض مع ما جوهر ما يدعون إليه.

لا تدينوا لكي لا تُدانوا

فإن كانت تلك هي الحال، ما الذي يدفعنا لدراسة الكتاب المقدس؟ أليس حرياً بنا أن نهجر كتاباً تأكله التناقضات وأخطاء الترجمة، كتاباً لم يكتبه شهودٌ على الأحداث أصلاً، وتناثرت على صفحاته كلماتٌ أضافها نسّاخ مجهولو الهوية لحقنه بفكر الكنيسة؟

لا، فالدراسة بين يدي القارئ ليست هجوماً على الكتاب المقدس أو المسيحية، وإنما هي محاولةٌ لإنقاذ الكتاب المقدس من الجهل والكراهية والتحيز التي باتت تكتنفه، نقدمها للمسيحيين الساعين وراء فهمٍ أعمقٍ لدينهم، فهم إن أرادوا حقاً التعامل مع العهد الجديد كأساسٍ لدينهم، يتعين عليهم أن يعرفوه أولاً. فكثيرٌ من المسيحيين ينكبون قراءةً على روايات جون جريشام John Grisham يعطونها اهتماماً يفوق بهراتٍ ما يعطونه للكتاب الذي يعتبرونه الأهم في العالم.

لا يمكننا تجاهل تاريخ الكتاب المقدس وكلماته وما يتبع ذلك من تعقيداتٍ في سبيل محاولة مواءمة محتواه مع ما يريد الناس أن يؤمنوا به وذلك اتباعاً لما يقوله أصحابهم وأفراد عائلتهم وقساوسة كنائسهم. لم يرد لا في الأناجيل ولا في أعمال الرسل ولا الرؤى النبوية أي ادعاءٍ لما راج لاحقاً حول عصمة كلمة الله. وكيف لأحدهم أن يدعي ذلك أصلاً ومؤلفو أجزاء الكتاب المقدس ما كانوا يعلمون أنهم يقومون بتأليف ما سيصبح لاحقاً كتاب المسيحيين المقدس؟



Kurt Eichenwald

الكتاب المقدس عدم فهمه خطيئة

فاختيار كتاباتهم لتكوّن العهد الجديد دون غيرهم من الكتاب قد تم من قبل أعضاء لجان سياسية وكهنوتية بعد ممات أولئك الكتاب بأمد بعيد.

إن الكتاب المقدس هو نتاج بشري بامتياز. فالذين كتبوه وجمعوه ثم نسخوه وترجموه كانوا بشرًا، مما يفسر لنا عيوبه ونقائصه وتناقضاته والخلافات الكهنوتية التي تلف صفحاته. متى فهمنا ذلك وسلمنا به، آن لنا أن نبحت عن أجزاء الكتاب التي لا تعود إلى أوائل المخطوطات الإغريقية، وهي أجزاء تمثل ترجمةً رديئةً. ثم علينا مقارنة الأناجيل ببعضها، حتى يتسنى لنا فهم رسالة هذا الكتاب وتبني أجزاءه التي تحقق باحثو الكتاب المقدس المعاصرين من انتمائها فعلاً للعهد الجديد.

لقد قال يسوع: لا تدينوا، شاحبًا فعل من يبيّن أخطاء الغير ويتجاهل أخطاءه، وقال أيضًا: «وَتَأْنِيَّةٌ مِثْلَهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ» [مرقس: ١٢: ٣١].

ولعل هذه الوصايا هي نقطة بداية جيدة لما قد يأتي.

نُشر في:

Newsweek

رابط المقال:

www.newsweek.com/2015/01/02/thats-not-what-bible-says-294018.html

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

مجلة الملحدين العرب مجلة رقمية مبنية بجهود فردية؛ ولا تتبى أي توجهٍ سياسي؛ هدفها نشر أفكار الملحدين على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم بحرية كاملة.

المعلومات والرسومات والمواضيع المطروحة تُعتبر مسؤولية أصحابها من الناحية الأدبية وناحية حقوق النشر وحفظ الملكية الفكرية.

الناشرون هم من أعضاء مجموعة مجلة الملحدين العرب، أو من الكتاب الملحدين واللادينين ممن تمّ التواصل معهم لأخذ الإذن بالنشر.

يُمنع نشر كل ما هو منافٍ للأخلاق العامة، وكذلك التحريض أو التصريحات العنصرية.

لهيئة التحرير الحق في نشر ما تراه مناسباً من المواضيع الموجودة في مجموعة المجلة على الفيس بوك، فنشر أي موضوعٍ ضمنها يُعتبر تفويضاً للمجلة بنشره.



موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:

www.aamagazine.blogspot.com

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي



البريد الإلكتروني

el7ad.organisation@gmail.com

magazine@arabatheistbroadcasting.org